السومريون

المعلمون الأوائل

Sumerians	**السومريون**
Jumah Al.Talabi	تأليف: د.جمعة الطلبي
first edition 2022	الطبعة الأولى: 2022



العراق-بغداد-شارع المتنبي
ashurbanipal.bookstore
ashurbanipal_books
darashurbanipal@gmail.com
+964 770 656 5807

الرقم الدولي (ISBN)
978-9922-9107-4-1

د. جمعة الطلبي

السومريون

المعلمون الأوائل

العراق - بغداد

يناير 2022



إلى... ذكرى صموئيل نوح كريمر.

تقديم

يكفى السومريون فخراً أنهم علموا البشرية ألف باء المعرفة، فهم من أوجد أعظم اختراع جادت به قريحة الإنسان على مر الزمان: الكتابة. إذ تعد الكتابة من أعظم الوسائل التي ابتكرها الإنسان بهدف التذكر أو الإخبار أو كليهما، فقد عززت الكتابة ذاكرة الإنسان ووسعتها. ومن نافل القول أن الكتابة غيرت أسلوب ونهج حياة الناس تغييراً حاسماً، وشكلت البداية الحقيقة للحضارة البشرية، فهي الحد الفاصل الذي ميز التحضر عن البدائية والبربرية، والحد الذي ميز العصور التأريخية عن سابقتها من العصور القديمة، وهي ثورة في الاتصالات أدت إلى نتائج بعيدة في المجالات الفكرية والاقتصادية، وهي الواسطة والأداة التي دون بها التأريخ وأحداثه. ويكفي السومريون فخراً أنهم أول من أنشأ الحضارة الفاعلى التي سادت منذ الألف الرابع ق.م، وهي الحضارة الأم والحضارة بانية العمران ومؤسسة المدن. ويكفيهم فخراً أن كل ما أوجدوه شكل معجزة فريدة سابقة عن نظيراتها المصرية والإغريقية بل أنها أسهمت في إغنائهما. ويكفيهم فخراً أن التأريخ والحضارة يبدأ بهم ويوصل إليهم. فقد أوجدوا المدارس والمكتبات، ووضعوا علوم الحساب والعلوم الفلكية والطبيعية

والطبيـة، وأنهـم أول مـن وضـع الاصلاحـات وأقـدم مـن شرع القوانـين المعروفـة عـبر التأريـخ. وهـم أول مـن عمـل إلى تسـجيل الأحـداث التاريخيــة، إذ تناقلــوا أخبــار أســلافهم وأهــم الأحــداث وحاولــوا تفسـيرها أو عـلى الأقـل تبريرهـا. وكتبـوا الآداب الخالـدة مـن أسـاطير وملاحــم، وقدمــوا رؤاهــم الدينيــة والروحيــة بطرائــق شــتى منهــا الفنـون المتنوعـة. واخترعـوا العجلـة وهـي أقـصى مـا بلغتـه البشريـة في تطورهـا التقنـي المتواصـل، وهـم أول مـن أوجـد النظـام السـتيني الـذي يُعتمـد إلى الآن في تقسـيم السـاعة والدقيقـة والدائـرة. وقـد آمنـوا بوجـود نواميـس تحكـم الكـون منـذ بداياتـه ولا تـزال تسـيره عرفـت عندهـم باسـم (مـي= Me).

ومـع أنهـم عاشـوا في بيئـة قاسـية قليلـة المـوارد إلا أنهـم جعلوهـا أقـرب إلى الجنـة لدرجـة أنهـا أصبحـت قبلـة للأمـم والشـعوب، فـكان موطنهـم محـط أنظـار جيرانهـم مـن سـكان الصحـاري والجبـال. وقـد تنوعـت ابداعاتهـم وتجلـت في معظـم الجوانـب الحضاريـة، وكانـت ابتكاراتهـم قناديـل شـعت عـلى البشريـة وهدتهـم ونقلتهـم مـن ظـلام عصـور قبـل التأريـخ. فقـد مارسـوا الزراعـة المنتظمـة التـي ترويهـا القنـوات، وعملـوا السـدود لـدرء أخطـار الأنهـار العنيفـة، وأصلحـوا الأهــوار واســتفادوا مــن عطاياهــا مــن طيــور وأســماك، وشــيدوا بيوتهــم الأولى مــن قصبهــا، وربــوا الماشــية، ومارســوا التجــارة في مدياتهـا المختلفـة القريبـة والبعيـدة، وتاجـروا بمـا لديهـم مـن بضائـع ومنتجـات واسـتوردوا مـا يحتاجونـه لصناعتهـم المتقدمـة، وفنونهـم

الجميلة. وكانوا شعباً خلاقاً ارتقى بمختلف مفاصل الحياة الفكرية والجمالية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأنتج واحدة من أكثر الثقافات إبداعاً وإثارة عرفها العالم على الإطلاق، ونقلوا ضياء المدنية إلى كثير من بقاع العالم وبطرائق سلمية من دون حرب أو نزاع، لقد كانوا شعباً جديراً بالتقدير والاحترام والخلود عبر الزمن.

د. جمعة الطلبي

بغداد *- 2022*

(1)
حضارة الطين والقصب

1-1 تمهيد

يمتد الزمن خالداً من حدود بغداد حتى رأس الخليج في امتداد سرمدي يشرح سر وجود واحد من أعظم شعوب الأرض وأكثرها عبقرية: الشعب السومري. إذ يعود الفضل لهذا الشعب بأنه كان الأصل الأصيل لكل الحضارات البشرية في كرتنا الأرضية. وتكمن عبقرية هذا الشعب في المقام الأول في توظيفه لبيئة بأرضية سهلية جرداء تميزت بظاهرة تغيير المياه لمجاريها باستمرار، فالأنهار والقنوات في هذه المنطقة ليست ثابتة، الأمر الذي أثر في حركة السكن والمستوطنات وتغير مواضعها وأهميتها، فكم من قرية ومدينة كانت تجاور النهر وفقدت أهميتها مع تغيير مساره، لقد كان هذا عاملاً حاسماً في تحديد الهجرات وتركز المدن حوله.

تمتد منطقة نفوذ السومريين بين بغداد وأقصى الجنوب عند ساحل الخليج، وقد كانت قديماً وحدة اقتصادية وسياسية ترتوي من النهرين وهي أرض سهلية جرداء ذات حرارة وجفاف شكلها الطمى، وبتأثير الترسبات والري أصبحت منطقة خصبة(خريطة: رقم 1). فقد كان الماء عنصراً حاسماً في هذه المنطقة، وقد أجتمع أهلها حول موارد المياه، فشكلت عامل تقريب بين الناس، وعملوا

على تنظيم الري، وتوحدوا من أجل جلب ما تفتقر إليه بلادهم من مواد على رأسها الأحجار والمعادن والأخشاب.

وقد جرت محاولات عدة لدراسة هذا المركز الحضاري في جوانبه المتعددة ومنها عاملي البيئة والمناخ ومنذ ما يقرب من قرنين من الزمان تقريباً، إلا أنه يمكن القول أن دراسة هذين العاملين لا يمكن أن تكون كاملة ونهائية وتحتاج إلى مزيد من الوقت وكثير من الأدلة، ولكن من الأمور المؤكدة أن بلاد الرافدين شكلها نهري دجلة والفرات. فقد أسهم النهران العظيمان دجلة والفرات وترسباتهما في تكوين وتشكيل المشهد الطبيعي ومسرح الأحداث. وقد شكل التفاعل بين الإنسان والبيئة المحرك الرئيس في التطور والإبداع الذي حصل في كل مفاصل الحضارة. وتشير كثير من الدلائل والمعطيات إلى أنه لم تحدث تغيرات مناخية مهمة في المدة من 4،000-5،500 ق.م (عصر العبيد)، وإن أشارت بعض الدراسات إلى حصول تغيرات مناخية، ولكنها كانت ضئيلة ومحدودة في المنطقة مع مطلع عصر الهولسين(8000 ق.م.). وقد أكد الباحث روبرت ماك آدمز أن: (مناخ المنطقة منذ عصر البلستوسين كان ولمدة من الزمن أكثر مطراً بحيث يسمح بزراعة جافة طويلة البقاء وذات أهمية في السهول الغرينية). وهو ما يشير ضمناً إلى أن المناخ في الماضي كان جافاً مع بعض التغيرات التي تطرأ عليه بحيث تصبح الحالة الجوية شبه رطبة، وفي أحيانٍ أخرى جافة، وهو ما يؤثر بالضرورة على الحياة العامة بمفاصلها؛ البشرية، والحيوانية، والنباتية. لقد دعم الري عملية زراعة كفؤة، وكان عماد الحياة

في هذا الجزء من بلاد الرافدين مع الأخذ في الحسبان أن الأمطار في هذا الجزء من البلاد قليلة ومحدودة لكنها مؤثرة. إذ يشكل سقوطها على الجبال التركية مورداً أساساً للمياه لما توفره من زيادة في مياه النهرين (دجلة والفرات) كونهما مصدر ري منطقة الجنوب الرافديني، وبفضلهما صلحت الزراعة واستقامت التجارة، واتصل الشمال بالجنوب (الخريطة: رقم 2).

تقع منابع النهرين في الجبال التركية، فمنابع نهر دجلة مصدرها جبال طوروس شرقي تركيا، ويبلغ طول النهر نحو 2032كم، وبما أن مياه هذا النهر تروي مساحة كبيرة وواسعة من الأراضي في مناطق الجبال وسفوحها فأنها تفقد عن طريق التبخر كميات أقل مما يحدث لمياه نهر الفرات الذي يقطع رقعة واسعة من السهوب الصحراوية في طريقه نحو الخليج. ويملك نهر دجلة روافد عدة في العراق؛ من أبرزها الزابين (الصغير، والكبير)، ونهر ديالى، ونهر العظيم، على العكس من نهر الفرات الذي ليس له روافد في العراق. وتعتمد كمية المياه في النهرين بشكل رئيس على الثلوج في الجبال التركية، وأن زيادتها تؤدي إلى زيادة في مناسيبهما، ثم فيضانهما. ونشير هنا إلى ظاهرة فيضان النهرين وأثرها في الجوانب المختلفة في حضارة بلاد الرافدين، إذ تميزت فيضاناتهما بالعنف وبعدم أمكانية التنبؤ بها على خلاف الغمر السنوي لنهر النيل. إذ يفيض نهرا دجلة والفرات في شهري آذار ونيسان وهو وقت تكون فيه المحاصيل الزراعية في مراحلها النهائية وقريبة إلى النضج فتهلك المحاصيل ويقضي على الموسم عندما تفيض الأنهار، لذا فإنها

تشكل عامل رعب وقلق للسكان، في حين يحصل العكس في مصر على سبيل المثال، إذ يكون موعد الفيضان عادة في شهري تشرين الأول والثاني، وهو ما يؤدي إلى ترطيب التربة مما يساعد على موسم زراعي جيد. وقد انعكس هذا الأمر في أسطورة الطوفان التي كتبت بأشكال مختلفة في بلاد الرافدين، في حين أنها لم توجد في الفكر المصري بالقوة نفسها. وهناك قضية أخرى تتعلق بتأليه الملك في بلاد الرافدين، وهي ظاهرة كانت محدودة، في حين أن الملك المصري كان إلهاً في جميع الأزمان.

وتشير عملية متابعة مجرى النهرين إلى أن انحدار نهر دجلة يكون أكثر من الفرات، وبما أنه يفقد من مياهه عن طريق التبخر كميات أقل من نظيره الفرات فإن تصريفه أعظم من تصريف الفرات، ولهذا شق قاعاً أعمق كثيراً من الأخير، وهو ما يجعله غير ملائم للري بطريقة السيح لأن مائه يجب أن يرفع ويخرج من النهر ويجلب إلى الحقول. ولهذا السبب يرى بعض الباحثين أن جنوب بلاد الرافدين هو بلد النهر الواحد هو الفرات، ولكن هذا لا يلغي دور نهر دجلة، إذ اعتمدت بعض المدن على مياه هذا النهر، فقد حفر ملك لگش (أنتيمينا) في منتصف الألف الثالث ق.م، قناة منه إلى مدينته، وأكمل ملك لارسا (سين-أدينام) في نحو 1850ق.م مد هذه القناة إلى مدينته لارسا، وحول أهالي نفر المياه من دجلة لمعالجة النقص في مياه الفرات في أثناء العصر الكشي في الألف الثاني ق.م. وجرت مثل هذه الأعمال والنشاطات في العصور اللاحقة وهي تؤشر مكانة نهر دجلة عبر التأريخ كأحد الموارد الأساسية في بلاد الرافدين.

وتقـع منابـع نهـر الفـرات في تركيـا أيضـاً، ويبلـغ طولـه نحـو2720 كـم، ويمـر بسـوريا قبـل دخولـه العـراق ولـه فيهـا رافـدان؛ هـما البليـخ، والخابـور، ويتميـز جريـان هـذا النهـر بالبـطء والهـدوء، وهـو يخـترق رقعـة واسـعة مـن السـهوب الصحراويـة مـما يؤثـر عـلى نسـبة ميـاه نتيجـة التبخـر في منطقـة صحراويـة، إن هذيـن النهريـن هـما مـن خلـق البيئـة الطبيعيـة الـذي سـكنها إنسـان الجنـوب، وعـاش فيهـا، ومـات عليهـا، مكونـاً أدواراً حضاريـة متقدمـة شـكلت الأسـس الموضوعيـة للحضـارات الإنسـانية عـلى مـر العصـور.

وقـد أشرنـا في أعـلاه إلى فضـل النهريـن ومـا يحملانـه مـن الغريـن والطمـى في تشـكيل البيئـة الفاعـلى في منطقـة السـهل الرسـوبي، وأنـه لـولا مـا حملتـه هـذه الأنهـار ورسـبته عـبر آلاف السـنين لمـا وجـدت هـذه المنطقـة. إذ اسـهمت الطبيعـة الأساسـية لتلـك الأراضي الرطبـة في دعـم وتشـكيل المؤسسـات الاجتماعيـة المعقـدة التـي تقـوم عليهـا عمليـة التحـضر في جنـوب بـلاد الرافديـن منـذ العصـور المبكـرة. وقـد حظيـت إدارة النهريـن عـلى اهتـمام السـلطات العليـا في كل المراحـل التاريخيـة لأن الزراعـة اعتمـدت كليـاً عـلى أقنيـة الـري، ولهـذا لا يمكـن فهـم الإنجـازات في كل المجـالات؛ الزراعيـة، والحيوانيـة إلا بالرجـوع إلى أنظمـة الأنهـار الخاصـة وحـالات التربـة المتعلقـة بالغريـن كونهـا أمـوراً أساسـية في وجـود سـكان المنطقـة منـذ القـدم، وشـكلت أسـاس جهودهـم الخلاقـة جميعـاً.

لقـد تركـز الاسـتيطان ومنـذ بدايـة السـكن في القسـم الجنـوبي من بلاد الرافدين(مطلع عـصر العبيـد) عـلى ضفـاف الأنهـار في المواقـع المتاخمـة للأهـوار والمسـتنقعات. واسـتمر اشـغال العديـد مـن هـذه المواقـع المبكـرة

في العبيد 4 (4900-350 ق.م)، وهو ما يمثل نصف المواقع المعروفة في مناطق مسح مدن الوركاء وإريدو لتلك المدة. وكانت أغلب المواقع التي اسست حديثاً تقع على الأسطح المكشوفة من «السلاحف» منذ أقدم العصور. ودُفن عدد لا يحصى من المواقع الصغيرة المتناثرة تحت رواسب عصر الهولوسين. وقد بشرت مستوطنات عصر العبيد هذه بانفجار في المواقع المرئية التي تأسست في أثناء مرحلة الوركاء المبكرة عندما أصبحت جميع (السلاحف) التي يمكن تحديدها تقريباً مأهولة بالسكان. ومن المعروف أن الاستقرار في المراكز الأولى يعتمد على تقلبات التفاعل البشري مع العمليات الطبيعية لتقدم الدلتا. إذ من المعروف أن منطقة الدلتا الداخلية التي تشكلت فيها تلك القرى والمستوطنات ونمت قد تحركت في البداية باتجاه الجنوب الشرقي بعد انخفاض مستوى سطح البحر. عموماً كان لدى سكان الحضر القليل من الخيارات، إذ يمكنهم العثور على مستوطنات جديدة، أبعد من ذلك، من أجل الحصول على أراض رطبة، أو يمكنهم الاستثمار في أنظمة ري أكثر اتساعاً من أجل محاكاة إنتاجية الأراضي الرطبة؛ أو يمكنهم ببساطة المضي قدماً. لقد كانت هذه هي مجموعة من الاختيارات والعمليات التي استمرت حتى يومنا هذا. وقد كانت عبقرية السومريين ودأبهم على العمل وقواهم الخلاقة المبدعة هي العوامل الحاسمة التي جعلت من جنوب بلاد الرافدين مهداً لأولى المدنيات القديمة وينبوعاً من ينابيع العلم والمعرفة في العالم القديم.

1-2 تكوين السهل الرسوبي

يتشكل السهل الرسوبي من منطقة منبسطة حديثة التكوين من الناحية الجيولوجية. وقد تعددت الآراء والنقاشات التي تناولت التغيرات في نظام الأنهار والجداول في جنوب العراق، سواء من الناحية الطبيعة أم البشرية، كما أن هذه النقاشات تعرضت لقضية خلق بيئة أرضية غرينية في المنطقة المعتدة من أور إلى أقصى الجنوب عبر آلاف السنين عن طريق الرواسب الغرينية، وهو موضوع يتعلق بقضية مجاري الأنهار القديمة في هذه المنطقة. وكان المؤرخ الروماني بليني الأكبر(23-79م) أول من ناقش موضوع رواسب الغرين في نهر الفرات، وتناول بعد ذلك الرحالة الأوروبيين هذه الملاحظات التي دونها المؤلفون الكلاسيكيون، إذ نشر الباحث (تي.سي.بيك) عام 1835م، بحثاً أشار فيه إلى أن رأس الخليج كان في الأصل عند سامراء وتحول تدريجياً جنوباً نتيجة تراكم الغرين عبر آلاف السنين. وأحصت الباحثة الأمريكية (و.ج.كارتر) معدل الزحف، وقالت أنه كان نحو(300 كم) في ما لا يقل عن(340 سنة)، وذلك يساوي سرعة 882،35 م في السنة الواحدة. واستمرت الدراسات على هذا المنوال حتى جاء المهندس الفرنسي(دي مورگان)، وهو آثاري عمل في سوسة الإيرانية في مطلع القرن العشرين وأفترض أن حدود الخليج الشمالية كانت تمتد في خط وهمي يمتد من بلد على دجلة حتى هيت على الفرات. ويرى أن كميات الحصى الهائلة المترسبة على شكل طبقات سميكة بين بلد وسامراء إنما هي دليل على الخط الساحلي القديم لرأس

الخليـج، وبفعـل الترسـبات للنهريـن ونهـر الـگارون وروافدهـما ومـا تحملـه الوديـان والعواصـف الرمليـة مـن الجزيـرة العربيـة بـدأت اليابسـة بالتكـون عـلى حسـاب انسـحاب ميـاه الخليـج، وبلغـت هـذه الحالـة صورتهـا في حـدود الألـف الرابـع ق.م، إلى مواقـع أور وأريـدو، ومـن ثـم واصـل انسـحابه في العصـور التاريخيـة اللاحقـة. وقـد تبنـى هـذه النظريـة بعـض الآثاريـين ومنهـم (سـيتون لويـد) الـذي وضـع خارطـة للمنطقـة في ضـوء هـذه النظريـة، وأعـترض آخـرون وشـككوا بالنظريـة مسـتندين بذلـك إلى بعـض معـالم الاسـتيطان القديـم التـي اكتشـفت في أطـراف الأهـوار وتحـت مسـتوى مياههـا، فالمسـح الأثـري الـذي أجراه(جـورج رو) لمنطقـة هـور الحـمار أشـار إلى وجـود خيـط مـن التـلال يمتـد في خـط مسـتقيم تقريبـاً مـن تـل اللحـم إلى شـمالي البـصرة، وأن وجـوده يشـكل حجـة قويـة ضـد النظريـة التـي تقـول أن ميـاه الخليـج كانـت تغطـي هـذه المنطقـة حتـى عصـور متأخـرة، وأن وجـود مواقـع مثـل: تلـول الكربـاسي، واللحـم، والعقـرم، وأبـو الصلابيـخ في منطقـة هـور الحـمار الحديثـة يؤكـد حقيقـة أن هـذه المنطقـة كانت مأهولـة أوائـل الألـف الثـاني ق.م، في الوقـت الـذي كانـت هـوراً ولم تكـن مغمـورة تحـت ميـاه الخليـج، فضـلاً عـن اكتشـاف موقـع (تـل الصوان)عـلى ضفـاف دجلـة قـرب سـامراء الـذي يعـود تاريخـه إلى حـدود الألـف السـادس ق.م، إذ ينـافي وجـوده مـا قيـل عـن امتـداد ميـاه الخليـج حتـى حـدود سـامراء.

وتشـير دراسـات أخـرى إلى أنـه في نحـو 6150 ق.م وصـل رأس حـوض الخليـج إلى مسـتواه الحـالي. وفي القـرون الثلاثـة اللاحقـة بـدأ معـدل

ارتفاع المياه بالبطء، وفي هذه المدة امتدت المستنقعات القديمة إلى أقصى الجنوب الشرقي حتى تلّو (گرسو)، ووضعت الأنهار رواسب في وادي الفرات من أور إلى الفاو. وعلى مدى القرون الأربعة التالية، ومع تباطؤ ارتفاع مستوى سطح البحر إلى حد شبه توقف، توسعت الدلتا، واستمرت الأهوار في التكوّن. وبعد هذا السكون المؤقت، وبحلول عام 5450 ق.م، استؤنفت عملية ارتفاع مستوى سطح البحر بمعدل نصف متر في القرن (نصف سنتيمتر في السنة)، واستمر هذا الأمر على مدى الألفية التالية. وفي ما تبقى من عصر العبيد ارتفع البحر من 2-4 أمتار أخرى، ووصل إلى ارتفاع نحو 2,5 متر فوق المستوى الحالي. وبحلول عام 4550 ق.م، كان البحر قد غمر بالكامل وادي الفرات والمستنقعات القديمة، وامتد إلى الداخل حتى أور. وهكذا، في مطلع عصر الوركاء توقف الخليج عند أقصى مستوى له، وبدأت الأنهار جولة أخرى من بناء دلتا المستنقعات، وامتدت إلى الداخل على الأقل حتى أسس الوركاء نفسها. وقد ظلت مستويات سطح البحر مستقرة في جميع أنحاء الوركاء وجمدة نصر، وتراجعت قليلاً في بداية عصر السلالات المبكرة، ثم عادت إلى أعلى مستوياتها. وكان لهذا الاستقرار القوي على مدى ألفي عام تقريباً آثار عميقة على تلك المنطقة التي أطلق عليها روبرت ماك آدامز «قلب المدن»، في دراسته النهائية لعام 1981م. وقبل آدامز، كان الافتراض القائل بأن المدن نشأت على السهل الرسوبي لبلاد الرافدين نتيجة البراعة في تقنيات الري وما صاحبها من زيادات في إنتاج الحبوب، ولا سيما الشعير. لقد تصور آدامز مناطق نائية حضرية أكثر تعقيداً

تشمل زراعة الحبوب وتربية الماشية واستغلال المستنقعات الخلفية، وكلها مهمة للبقاء الحضري، ولكن بهذا الترتيب النسبي. ومع ذلك، فقد عارض وجهات النظر الأكثر تأكيداً لأولئك الذين يعكسون تلك الأدوار النسبية، بالنسبة للحالة السومرية، ويضعون الجزء الأهم من الدلتا في مركز السومريين. وأدعى عالم آخر هو الألماني (مايسنر) أن رأس الخليج كان في الماضي السحيق في مكان ما في منطقة أهوار (الحمار)، ومع هذا فقد أعترف أنه من غير الممكن تعيين المكان الدقيق لخط الساحل القديم باستعمال حسابات غير أكيدة لترسبات الغرين السنوية. وقد ظلت نظرية الزحف للدلتا سائدة في أثناء النصف الأول من القرن العشرين، وأعاد أشهر علماء الآثار (گوردن تشايلد) في الخمسينيات من هذا القرن صياغة نظرية (دي مورگان)، إلى أن جاء جيولوجيان بريطانيان هما (ليس وفالكون) بنظرية ثورية في هذا المجال بينا فيها أن الانخساف على مر الزمان عطل تأثيرات الغرين، ولم يجدا بحسب نظريتهما أي دليل تاريخي مقبول على أن رأس الخليج كان في وقت من الأوقات أبعد كثيراً إلى الشمال عن موضعه الحالي. وقد تبنى كثير من العلماء والآثاريين هذه النظرية. وعاد الآثاري(هنريك لارسن)عام 1975م إلى أحياء نظرية(دي مورگان) مرة أخرى، بالقول: أن الوضع المورفولوجي (شكل بنية المكان) في جنوب بلاد الرافدين كان أكثر تعقيداً مما زعم أي من أسلافه، إذ نظر إلى المدى الواسع من التقلبات في ارتفاع مستوى البحر الذي بدأ نحو 17،000 ق.م، وكان الخليج فيها مجرد منخفض طويل ضيق يحمل الدفرق المشترك لنهري دجلة والفرات في شكل نهر إلى بحر

العـرب. وأن مسـتويات المياه في البحـر قـد ارتفعـت بشـكل متقطـع مـا بـين 12،000-8،000 ق. م، وأن الارتفـاع عندمـا وصـل إلى مـا يقـرب المستوى الحـالي أو أعـلى منـه أزاح خـط السـاحل داخـل الـبر إلى هـور الحـمار، وأنـه يمكـن تفسـير الترسبات الغرينيـة عـلى سـطح بنيـة هـور الحـمار (مـع ملاحظـة أن هـور الحـمار تشـكل حديثـاً في القـرن السـابع الميـلادي عـلى وفـق رأي بعـض الباحثـين)، والجهـة المواجهـة للبحـر مـن هـور الحـمار بتقـدم الدلتـا باتبـاع مـا بلغـه مسـتوى مقـارب لسـطح البحـر نحـو 4000 - 3000 ق.م، وهـذا يفـترض 150-180كـم في الأقـل مـن زحـف الدلتـا في أثنـاء 5000 سـنة الماضيـة. وهكـذا فـأن زحـف الدلتـا حـدث بنسـبة 30–36م في السـنة، وفي رأيـه أن (النصـوص المسـمارية) التـي تربـط مـدن الألـف الثالـث ق.م، أور وأريـدو بالبحـر يبـدو أنهـا أصح مـما كانـوا يعتقـد سـابقاً. وقـد تبنـى فرضيـة الزحـف الحديـث هـذه بعـض الباحثـين؛ منهـم (روبـرت آدمـز)، و(هـوت)، و(سـانلافيل).

وبـين الباحـث (هانـز نيسـن) أن مسـتوى البحـر كان أعـلى مـن الآن بنحـو 2،75م في عـصر العبيـد مـما جعـل كثـير مـن أقسـام جنـوب بـلاد الرافديـن غـير صالحـة للسـكنى حتـى حـدث انحسـار في 3500 ق.م، وأدى إلى إزالـة المـاء عـن هـذه الأقسـام، ولا سـيما السـفلى منهـا. وقـد اعـترض الباحثـان ديفيـد وجـين اوتـس عـلى هـذا الـرأي، كـما أنـه يناقـض مـا أشـار إليه(سـانلافيل)من أن مسـتوى البحـر في كل عـصر العبيـد كان أخفـض مـما هـو عليـه الآن، وأن هـذا الـرأي لا يمكـن إيـراده لتفسـير غيـاب الاسـتيطان.

مصادر الفصل الأول

1 . الأحمد، سامي سعيد (1989). الخليج العربي في التاريخ القديم. بغداد.

2 . الأحمد، سامي سعيد(1985). الزراعة والري. حضارة العراق، ج ، بغداد.

3 . أوبنهايم، ليو(1981). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد.

4 . أوتس، جين(1988). نشوء الحضارة. ترجمة، لطفي الخوري، بغداد.

5 . أور جيسون والحمداني عبد الأمير(2014).أنماط الاستيطان في سومر وأكد. مجلة سوبارتو، عد 8.

6 . بوتس، دانيال(2006). حضارة وادي الرافدين، الأسس المادية. ترجمة، كاظم سعد الدين، بغداد.

7 . بوتيرو، جين وآخرون(1986) .الشرق الأدنى الحضارات المبكرة. ترجمة عامر سليمان. الموصل.

8 . تشايلد، كوردن (1966). التطور الاجتماعي. ترجمة، لطفي فهيم، القاهرة .

9 . تيومينيف، س(1986). اقتصاد الدولة في سومر القديمة. في. العراق القديم، دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية. ترجمة، سليم طه، بغداد.

10 . الحسني، فاضل باقر (1978). تطور مناخ العراق عبر الأزمنة الجيولوجية والعصور التاريخية. مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، مج١٠.

11 . الخلف، جاسم محمد(1965). جغرافية العراق. القاهرة .

12 . دباغ، تقي(1985). البيئة الطبيعية والإنسان. حضارة العراق، ج1، بغداد.

13 . سفر، فؤاد(1974). البيئة الطبيعية في العراق القديم. سومر، مج 30، ج 1و2.

14 . سوسة، أحمد (1983). حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية.ج1. بغداد.

15 . سيتون، لويد(1992-1993). آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي. ترجمة، محمد طلب، دمشق.

16 . الشيخ، عادل عبدالله(1985). بدء الزراعة وأولى القرى في العراق. بغداد.

17 . علي، فاضل عبد الواحد(1975). الطوفان في المراجع المسمارية. بغداد.

18 . غولايف، ف(1989). المدن الأولى. موسكو.

19 . الفيل، محمد رشيد (1968). تطور مناخ العراق منذ بداية البليستوسين حتى الوقت الحاضر. مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عد١١.

20 . ليس، ج. م، و فالكون، ن. ل(1962). التأريخ الجغرافي لسهول بلاد ما بين النهرين. ترجمة، صالح أحمد العلي، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، عد 1.

21 . ماثيوس، روجر(2015). آثار بلاد الرافدين نظريات ودراسات. ترجمة، محمد صبري عبد الرحيم، بغداد.

22 . الهاشمي، رضا جواد (1981). الحدود الطبيعية لرأس الخليج العربي. مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، عد 13، بغداد.

23 . الهاشمي، رضا جواد(1983). دور نهر الفرات في الامتدادات الحضارية لبلاد وادي الرافدين. مجلة بين النهرين، عد٤٤.

24 . الهاشمي، رضا جواد (1981). الملاحة النهرية في بلاد الرافدين. سومر، مج ٣٧.

25 . هستيد، كوردن (1948). الأسس الطبيعية لجغرافية العراق. ترجمة، محمد جاسم الخلف، بغداد.

26 . Adams, R. M(1958). Survey of Ancient water courses and Settlements in central Iraq. Sumer,Vol,14.

27 . Adams,R.M and Nissen,H.J(1972). The Countryside. Chicago.

28 . Bagg, A.M (2012). Irrigation. In: Potts DT, ed. A Companion to the Archaeology of the Ancient Near East: Volume1. Oxford: John Wiley & Son.

29 . Baumann, H(1969). The Land Of Ur. Oxford.

30 . Butzer, K . W (2000). Environmental change in the Near East and Human Impact on the Land. (In). Civilization of the Ancient Near East. New York.

31 . Chadwick,R (2001).First Civilization, Ancient Mesopotamia and Ancient Egypt. Chicago.

32 . Childe,V.G(1952). New Light on the most Ancient Near East .London.

33 . Crawford, H(2002). Sumer and the Sumerians. Chicago.

34 . Diakonoff, I . M(1991). Early Antiquity. Chicago .

35 . Flannery,K.V(1967). The Ecology of Early food productions in Mesopotamia. Science ,Vol, 147.

36 . Gibson,M(1972).The City and area of Kish. Miami,Florida.

37 . Hritz, C.A (2005). Landscape and settlement in Southern Mesopotamia: a geo-archaeological analysis. PhD Dissertation, University of Chicago, Chicago.

38 . Helbaek, H (1960). Ecological Effects of Irrigation in Ancient Mesopotamia .Iraq,Vol, 22.

39 . Herbert, E, Wright,J.R (1960). Climate and Prehistoric Man in the Eastern Mediterranean. (In). Braidwood,R(ed). Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan. London.

40 . Hole, F(1994). Environmental instabilities and urban origins.(In). Stein,G, Rothman,M. Madison(ed). Chiefdoms and early states in the Near East: the organizational dynamics of complexity. USA.

41 . Hunt, R.C(1988). Hydraulic management in southern Mesopotamia in Sumerian times. Bull Sumer Agric.

42 . Jacobsen,Th and Adams,R.M(1958). Salt and Silt in Ancient Mesopotamian Agriculture. Science,Vol, 128.

43 . Jacobsen, Th(1969). A survey of the Girsu (Telloh) region. Sumer, vol,25.

44 . Jacobsen, Th(1960). The Waters of Ur. Iraq, Vol,22.

45 . Langdon, S(1915). Sumerian Epic of,the Flood and the fall of man. Philadelphia.

46 . Larsen, C(1975). The Mesopotamian Delta Region: A Reconsideration of Lees and Falcon. JAOS,Vol, 95.

47 . Larsen, C and Evans, G(1978). The Holocene Geological History of the Tigris-Euphrates-Karun Delta.(In). Brice,W (ed).The Environmental History of the Near and Middle East Since the Last Ice Age. London.

48 . Lees,G.M and Falcon, N.L(1952). The Geographical history of Mesopotamian Plains. Geographical Journal,Vol, 118.

49 . Masry, A. H(1974). Prehistory in Northeastern Arabia: The Problem of Interregional Interaction. Miami.

50 . Nissen,N.J(1988). The Early History of the Ancient Near East: 9000-2000 B.C. Chicago.

51 . Nutzel, W(1975). The Formation of the Arabian Gulf from 14000 B.C. Sumer,Vol, 31.

52 . Nutzel, W(1976). The Climate Changes of Mesopotamia and Bordering areas 14000 To 2000 B . C . Sumer, Vol, 32.

53 . Oates,J(1973). The Background and Development of the early farming communities in Mesopotamia and Zagros. Proceeding of the prehistory society. Vol,39.

54 . Oates,D, Oates,J(1976). Early Irrigation Agriculture in Mesopotamia. London.

55 . Pournelle, J.R(2013).Physical Geography of the Sumerian world.U.S.A.

56 . Postgate, J . N(1999). Early Mesopotamia. London.

57 . Redman, C. L(1978). The Rise of Civilization. San Francisco.

58 . Rost,S(2017). Water management in Mesopotamia from the sixth till the first millennium B.C. WIREs Water,Vol,4.

59 . Rothman,M(2001). The Local and Regional: An Introduction.(In). Schwars, D.W (ed). Uruk Mesopotamia and its Neighbors .Oxford.

60 . Sanlaville, P(1998). Considérations Sur L'Évolution de la Basse Mésopotamie au Cours des Derniers Millénaires. J.Paléorient,Vol.15.

61 . Snell, D. C(1997). Life in The Ancient Near East. Chicago.

62 . Stone,E (2005).Mesopotamian Cities and Countryside.(In). Snell, D(ed) A Companion to the Ancient Near East .Oxford.

63 . Ur, J(2013). CORONA satellite imagery and ancient Near Eastern landscapes. In: Comer DC, Harrower MJ,eds. Mapping Archaeological Landscapes from Space.New York: Springer.

64 . Van Buren,E.D(1948). Fish offerings.Iraq,Vol,10,PT,2.

65 . Wright,H.E(1968). Natural Environment of Early food production North of Mesopotamia. Journal Science, New Series, Vol, 161.

66 . Zarins,J(1992).The Early Settlement of Southern Mesopotamia: A Review of Recent Historical, Geological, and Archaeological Research. Journal of the American Oriental Society, Vol, 112, No,1.

(2)

السومريون ... الأصل والموطن

2-1 تمهيد

لم يترك السكان الأوائل في منطقة جنوب بلاد الرافدين كثيراً من الدلائل في السجل الأثري، كما أنه ليس هناك أية فكرة عن من أين أتوا؟؛ أو فيما إذا كانوا مجموعة واحدة من الوافدين، أو مجموعات عدة ؟. إذ ليس هناك أي دليل عن أصول هؤلاء السكان الأوائل المفترضين. فإذا ما اشتركت مجموعات عدة، فربما تدفقوا إلى المنطقة من اتجاهات عدة- من شمال بلاد الرافدين، على سبيل المثال؛ من سوريا؛ أو من ايران؛ أو شواطئ شبه الجزيرة العربية. ومن الممكن أنهم انجذبوا جميعاً نحو الحياة البرية الوفيرة في هذه المنطقة.

وقد كان هناك كثير من الجدل، على مرّ السنين، حول متى وصل السومريون إلى بلاد الرافدين. فهناك استمرارية كبيرة في الثقافة المادية للجنوب من أواخر الألفية الخامسة قبل الميلاد وحتى نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد، وربما تشير هذه الاستمرارية إلى أن السومريين كانوا موجودين منذ زمن المستوطنين الأوائل، ولكن بعض الباحثين افترضوا أن السومريين كانوا غرباء عن بلاد الرافدين، وإن كانوا قد أسسوا حضارته واخترعوا كتابته الأولى،

ولكـن المشـكلة المتعلقـة بهـم هـي المـكان الـذي جـاءوا منـه إلى هـذه البـلاد، إذ يبقـى هـذا الموطـن الأصـلي أمـراً غامضـاً ومجهـولاً لعـدم وجـود دليـل لغـوي أو أثـر حاسـم بـأي موضـع مـن العـالم القديـم.

لقـد كان البابليـون والآشـوريون مـن الشـعوب المعروفـة لـدى المؤرخـين الغربيـين، إذ وردت أسـماء عـدد مـن حكّامهـم في الكتـاب المقـدس؛ التـوراة بعهديـه القديـم والجديـد. في حـين أن مسـألة السـكان الأقـدم في جنـوب بـلاد الرافديـن كان قضيـة أخـرى، وإن الإشـارة إلى أرض(شـنعار) في أسـفار التكويـن، واشـعيا، ودانيـال قـد عـدت مطابقـة تقليديـاً لـ(سـومر)، عـلى افـتراض طبيعـي أن بابـل واوروك وأكـد كانـت كـما قيـل في شنعار(سـفر التكويـن 10/10)، كـما كان بـرج بابـل (التكويـن 2/11). وقـد تبـين حديثـاً أن شـنعار ليسـت مشـتقة من(سـومر) بـل من(شـنهارا) الاسـم الـذي أطلقـه السـكان القانطـين غـربي الفـرات عـلى بـلاد بابـل في العـصر الكـشي(1595-1155ق.م). ولم يكـن السـومريين معروفـين معرفـة تامـة تقريبـاً في الغـرب حتـى جـرت الاكتشـافات الكبـيرة في(تلـو)، وهـي جـزء مـن مدينـة (لگـش) الشـهيرة، وكشـف فيهـا عـن أول الأدلـة عـلى وجـود السـومريين، إذ احتـوت النصـوص عـلى لقبـاً ملكيـاً هو(ملـك سـومر وأكـد)، مـما جعـل الباحـث (جـول أوبـرت) يقـترح عـام 1869م أن شـعباً قديمـاً سـماه (السـومري) لا يتكلـم لغـة سـامية عـاش في جنـوب بـلاد الرافديـن. ومـا أن أُكتشـف هـذا الشـعب حتـى بـدأت عمليـة البحـث عـن أصولـه، وفي أواخـر القـرن التاسـع عـشر أطلـق الباحـث (هلبريخـت) رأيـاً مفـاده أن السـومريين أقـدم سـكان بـلاد جنـوب الرافديـن مقابـل السـاميين (الغـزاة)، ومـع عـدم واقعيـة هـذا الـرأي إلا أنـه ألقـى ضـوءاً مهـماً عـلى هـذه القضيـة.

عرف موطن السومريين باسم(كي- إن- گي= KI-EN-GI) التي تعني أرض سيد القصب، وإن كان هناك من الباحثين من يرى أن أصل الاسم جاء من كلمة (كي= KI) واسم الإله (أنكي= Enki) فتصبح أرض أو بلاد أنكي، في حين يعتقد باحثون آخرون أن مصطلح (كي- إن- گي=KI-EN-GI) ربما يكون اسم قديم لمدينة نفر كونها من أقدم المدن السومرية. وأطلق على موطنهم باللغة الأكدية (مات شوميريم= mat sumerim)، وهي تسمية تقابل مصطلح (KA-LAM) السومري الذي يعني بلاد السومريين.

2-2 آراء في أصل السومريين

كانت عملية متابعة تاريخ دخول السومريين إلى القسم الجنوبي ومسألة كونهم أو عدم كونهم أول سكان المنطقة محور اتصال لتبادل الآراء في مؤتمر عقد عام 1931م في مدينة ليدن الهولندية. وقد بدأ بحث الآثاري(هنري فرانكفورت) بمراجعة الحقبة التاريخية المعروفة بعصر السلالات المبكرة (2900 - 2350 ق.م.) التي بدأت فيها هيمنة الأقوام السومرية وانتشرت لغتهم في اثناءها، وحين رجع إلى العصر الأقدم جمدة نصر وجد أن ملامح الوجوه البشرية على الأعمال الفنية: نحت، وأختام، وتماثيل لا يمكن تميزها عن الحقبة اللاحقة، عصر السلالات المبكرة، لذا فهي سومرية، كما أنه درس النصوص الكتابية شبه الصورية من جمدة نصر، ومن الدور الثالث من الوركاء ووجدها سومرية كذلك، وهكذا حاول إثبات حالة التواصل في سكان جنوب بلاد الرافدين بين عصري السلالات المبكرة وجمدة

نـصر، وفعـل الأمـر ذاتـه مـع أدلـة مـن عـصر الـوركاء (3800-3100ق.م.)، إذ ركـز عـلى التماثيـل البشريـة، ولا سـيما الرجاليـة فدهـش للتشـابه بـين التنـورات الطويلـة، واللحـى، والشـفاه العليـا، وعقـدة الشـعر خلـف الـرأس، ولاحـظ التواصـل في اسـتعمال الأختـام الأسـطوانية والمنبسـطة، وفي عـمارة اللـبن كذلـك، وأسـتنتج أن هـذا التطابـق كان كافيـاً لإثبـات أن السـومريين كانـوا في جنـوب بـلاد الرافديـن في أثنـاء عـصر الـوركاء. وقـال أن وصـول السـومريين إلى بـلاد الرافديـن كان في أواخـر عـصر العبيـد أو أوائـل عـصر الـوركاء.

وحـاول الباحـث الألمـاني هارتمـوت شـموكل أنتهـاج الاسـلوب الأنثروبولوجـي عـن طريـق عـرض التفاصيـل الجسـمية للأقوام السـومرية بوسـاطة اسـتقراء المنحوتـات والمسـلات والأختـام وغيرهـا مـن البقايـا الفنيـة، ووصفهـم بأنهـم :(أنـاس ذوي جماجـم صغـيرة وعريضـة وأنـوف بـارزة، لكنهـا مسـتقيمة، وأفـواه صغـيرة وشـفاه دقيقـة، وفكـوك سـفلى صغـيرة وجبهـات ليسـت عاليـة وبنيـة متينـة وعريضـة).

ونشـير في هـذا السـياق إلى رأي الأسـتاذ طـه باقـر في مـا يتعلـق بنسـب صفـات جسـمانية للسـومريين كـما فعـل فرانكفـورت وشـموكل اعتـماداً عـلى التماثيـل والمشـاهد الفنيـة، إذ قـال أن مـا يبـدو مـن ملامـح عـلى التماثيـل الآدميـة كان أمـراً تتحكـم فيـه الأسـاليب والطـرز الفنيـة المتبعـة في النحـت بالدرجـة الأولى، وأن مـا يظهـر مـن هيئـات وسـحن عـلى تلـك التماثيـل للأفـراد لا يمثـل في الواقـع فروقـاً أو ميـزات قوميـة خاصـة بالسـومريين أو الأكديـين، وإنمـا هـي أزيـاء خاصـة بمقـام الشـخص الممثـل عـلى هـذه الأعـمال الفنيـة. ويعـزز هـذا الـرأي أن

الملامح والسمات التي درج الباحثون عزوها إلى تماثيل السومريين ظاهرة أيضاً في تماثيل الأشخاص في مناطق بعيدة عن المنطقة المفترضة للسومريين مثل؛ ماري(تل الحريري في سورية). ونجد، من ناحية أخرى، أن التماثيل المنسوبة إلى السومريين من عصر السلالات المبكرة تختلف في أشكالها عن التماثيل الشهيرة للأمير گوديا السومري الذي عاش في المدة (2141-2122 ق.م).

واعتمد هنري فرانكفورت على مطابقات الباحث المعماري (والتر اندريه) الذي أورد تشابهات بين أقدم مباني العبيد في أور وعناصر من التراث العماري السومري والبابلي المتأخر. وكتب فرانكفورت: (بما أننا وجدنا أنهم سومريون في عصر السلالات المبكرة فيجب أن نعدهم سومريين في الحقب الأسبق أيضاً). ثم ختم دراسته بالقول: (إن السومريين لم يكونوا فقط المؤسسين الرئيسيين لحضارة الرافدين لكنهم أيضاً من أقدم القاطنين فيه).

وقد طور الباحث (بينو لاندزبيركر) فرضية زميله الباحث (إي – سبايزر) الذي قال أن بعض أقدم المستوطنات في جنوب بلاد الرافدين التي تشهد عليها المصادر المسمارية تحمل أسماءاً غير سومرية. وبنى فرضيته على أساس تحليل لغوي وأستنتج أن وجود الأسماء غير السومرية التي سبق أن أشر بعضها زميله سبايزر دليل على إقامة ناس غير سومريين في السهل الرسوبي، وأنهم كانوا يسبقون تاريخياً دخول السومريين في المنطقة. فتبنى (بينو لاندزبيركر) هذه الفرضية في تشخيص كثير من أسماء المستوطنات المهمة في جنوب بلاد الرافدين؛ ومنها أور، وأريدو، واوروك، وكُلاب،

ولارسا، وأدب، ونفر(نيبرو)، وشروباك، ولگش، وگرسو، ومَرد، وإيسن، وكيش، ولرك، وأشنونا، كوثى، وأكشاك، وتوتب، وأكد، وسبار، وبابل، على أنها أسماء غير سومرية. وذهب إلى أبعد من ذلك وادعى أن كثيراً من المصطلحات الثقافية الشائعة وكلمات ذات دلالات حضارية مهمة منها المهن والصناعات؛ مثل فلاح (إينگار=engar)، وراعي (اودول=udul)، و(نگار=ngar) ، ونحاس (تبيرا=Tibira)، وحداد (سيموگ=Simug)، وفخار(بخار=Pakhar)، واسمي نهري دجلة والفرات، فضلاً عن مفردات أخرى عديدة كانت غير سومرية، وأطلق على المتكلمين بهذه اللغة الأساسية الافتراضية التي تنتمي إليها هذه الكلمات اسم الفراتيين الأوائل(Proto-Euphrateas). وقد أقر هذا الباحث أن هناك أقواماً سبقت السومريين في بلاد الرافدين، وأنهم أنشئوا حضارة متقدمة، إلا أنها توقفت لسبب غير معروف، فجاء بعدهم السومريون، واستأنفوا مسيرة الحضارة على وفق رؤيتهم ومن منطلق إبداعاتهم. ويعتقد أن عصر العُبيد، أول الأدوار الحضارية في السهل الرسوبي، يقترن بشعب لا يمت بصلة إلى السومريين. ويعتقد السيد گليب أن هناك فترة انقطاع حضاري سبقت دخول السومريين، وقد أشار إلى مجموعة من المدن التي أعتقد أنها لا تحمل أسماء سومرية لكنها دخلت في اللغة السومرية نتيجة للتغييرات الصوتية الجذرية التي طرأت على تلك الأسماء بمرور الزمن.

وعلق الأستاذ فاضل عبد الواحد علي على رأي لاندزبيركر بالقول أن الأدلة اللغوية تشكل صعوبة كبيرة في البحث، إذ أن اللغة

السومرية لغة صعبة ومعقدة وتشكل لغزاً يعصب حل طلاسمه، وفيما يتعلق بأسماء الحرف والمهن التي حددها الباحث فإنه لم يكن دقيقاً في بعض قراءة الأسماء مثل: راعي، وتاجر، وصياد، والتي أتضح فيما بعد أنها كلمات سومرية خالصة. وينطبق الأمر ذاته على أسماء المدن التي أعتقد لاندزبيركر أنها ليست سومرية، إذ لا يوجد ما يؤيد ويدعم هذا الرأي، إذ ربما كانت اللغة السومرية لغة محكية ومتداولة قبل زمن تدوينها بحدود 3500 ق.م، لذا ربما استعارت بعض أسماء هذه المدن من لغات أخرى بحكم الجوار والعلاقات التجارية والثقافية، فمثلاً قد ظهرت أسماء بعض الأشجار والنباتات الجبلية غير الموجودة في بلاد سومر، لذا يحتمل أنها قد أُستعيرت من مناطقها الأصلية.

وأقر الباحث (أنطون مورتكات) عام 1945 بوجود فجوة بين عصري العبيد والوركاء في نشاط السومريين غير أنه كان شديد الحذر في ملاحظة هل كانوا آنذاك موجودين في حقبة الوركاء، أم أنهم جاءوا من الخارج ؟. سؤال لم يكن ممكناً الإجابة عنه على أساس الأدلة المتاحة آنذاك. وقد تحاشى(أنطون مورتكات) السير على خطى (فرانكفورت وشموكل) لأن الدليل الانثربولوجي بحسب رأيه غير قابل للاستعمال، إذ صنف الانثروبولوجين جماجم السومريين على أنها من النوع مستطيل الرأس، في حين أن هذا يناقض بشدة النمط المعروف في النحت السومري، لذا لا يمكن لأحد أن يتأكد أن كانت الهياكل المدروسة هي لسومريين حقيقيين أم لسكان ثانويين أسبق في المنطقة. وأستنتج أن البحث عن أصول

وتاريخ أقدم السكان السومريين ذا أهمية عظمى بطبيعية الحال إلا أنه من غير المحتمل حل هذه المشكلة.

وأدلى في ستينيات القرن الماضي اللغوي الكبير(آدم فلنكنشتاين) بدلوه في هذا الموضوع، ومع أنه تجنب مسألة زمان ومكان ظهور السومريين ألا أنه أكد أنهم لم يكونوا أول شعب سكن المنطقة مع تأكيده على أنهم خالقي أول حضارة في المنطقة. ويتفق معه عالم السومريات الشهير الأمريكي (صاموئيل نوح كريمر) بالقول: (من المؤكد أن أوائل المستوطنين في سومر لم يكونوا سومريين)، كما أنه عين بقوة هوية الفراتيين الأوائل لدى(لاندزبيركر) على أنها مطابقة لسكان بلاد جنوب بلاد الرافدين في عصر العبيد، وأعتقد أن السومريين وصلوا في وقت ما في النصف الثاني من الألف الرابع ق.م، أي في أواخر عصر الوركاء من نحو 3400 - 3100 ق.م، حين ظهرت الكتابة لأول مرة.

3-2 الموطن الأصلي للسومريين

اختلف الباحثون حول الموطن الأصلي للسومريين أو الطريق الذي سلكوه، إذ لا توجد دلائل ثابتة حتى الآن، فمنهم من يقول أن السومريين وفدوا من الجنوب من إيران، أو بالقرب من شمال إفريقيا عبر فلسطين وسوريا، أو من مناطق القوقاز وأرمينيا في الشمال مخترقين أرض الجزيرة التي يحيط بها النهران، ومنهم من يقول أنهم وفدوا من موطنهم الأصلي في جنوب الهند. وتجاهل بعض الباحثين هذه القضية وأشاروا إلى أنهم أقوام هاجرت إلى

بلاد الرافدين من عصور قبل التاريخ، وهو نوع من إقرار منهم بصعوبة المهمة، وأن الأدلة الأثرية قليلة وناقصة.

فقد أعتقد كريمر أن موطن السومريين يجب البحث عنه في مكان ما في قرب بحر قزوين، إذ يرى أنهم من بدو هذه المنطقة الذين هاجروا إلى مناطق غرب إيران في عصر العبيد، أو أوائل عصر الوركاء، وتبنوا حضارة النهرين التي يعتقد أنها كانت تتجاوز في انتشارها حدود إيران. فوظفوا ما حصلوا عليه من هذه الحضارة مع ما اتصفوا به من رشاقة بدوية، وحدث كل هذا في الربع الأخير من الألف الرابع ق.م، عندما تسللوا واحتلوا مدن الجنوب الرافديني بالتتابع في عصر الوركاء، وعملوا على توحيد الرؤى والمفاهيم الحضارية في مطلع العصر المعروف بعصر السلالات المبكرة (2900 ق.م)، وهو العصر المعروف بعصر البطولة والفروسية السومرية الذي تمثل بظهور القادة الأبطال ممن حاولوا تبني نهج الزعامات المنفردة، ولا سيما وأنهم كانوا في مواجهة الهجرات والزحوف السامية القادمة من أطراف البلاد. وقد استقر وأنصهر السومريون بحضارة وثقافة من سبقهم في هذه البقعة الخالدة ونتج عن هذا الانصهار العصر السومري الذهبي. وربما أعتمد في رأيه هذا على ما ورد في الأدب الملحمي عن صلتهم بمدينة أرتّا، وهي مدينة تقع في غرب إيران، وإن كان موقعها غير معروف إلى الآن، فضلاً عن أن لغتهم المقطعية ربما تؤشر صلة بمناطق بحر قزوين.

ولا تنسب اللغة السومرية إلى اللغات المعروفة؛ السامية، والحامية، والهندو-أوربية، كما أنها لا تتصل بأية لغة أخرى

معروفـة مثـل: الصينيـة، والتبتيـة، والمجريـة، والدرافيديـة، واللغـات الأفريقيـة، والأمريكيـة. وقـد أثبـت الباحـث جـول أوبـرت في البدايـة أن هـذه اللغـة ليسـت مـن اللغـات السـامية، وإن كان عاجـزاً وليـس لديـه مـا يقولـه عـن أصـل هـذه اللغـة، وهـو موضـوع يرتبـط بأصـول السـومريين الـذي يشـكل أكـبر الأحاجـي للباحثـين والدارسـين في هـذا الشـأن. وكان أوبـرت قـد سـاوره الشـك في البدايـة فيـما يتعلـق بالخـط المسـماري البابـلي مـن ناحيـة الشـكل وطريقـة الكتابـة، وكان يـرى أنهـا لا تمثـل بدايـة التطـور، ويمكـن عـد هـذه الكتابـة المسـمارية نتيجـة نهائيـة وليسـت دليـلاً عـلى بدايـة ملموسـة. لـذا عمـل عـلى إيجـاد حلقـة الوصـل التـي تكـون بـين أصحـاب هـذا الخـط المسـماري والأقـوام التـي سـبقتهم وليـس لديهـم كتابـة. ومـع أنـه لم يمتلـك دليـلاً إلا أنـه حفـز البحـث والنقـاش العلمـي في هـذا الموضـوع الدقيـق. وقدمـت الكتابـات التـي عـثر عليهـا في أثنـاء التنقيبـات في مدينـة لگـش الدليـل إلى أوبـرت ليتحـدث عـن اللغـة السـومرية والشـعب السـومري.

وقـد تميـزت اللغة السـومرية أنهـا لغـة التصاقيـة(agglutinative)، مقطعيـة رمزيـة وليسـت متصرفـة (inflected)مثـل: اللغـات السـامية، والهند-أوربيـة، وتشـبه في التركيـب اللغـة التركيـة ومجموعـة اللغـات الفنلندية-الأوجرية(نسـبة إلى جبـال الأورال والتـاي)، وبعـض اللغـات القوقازيـة، إلا أنهـا كانـت لغـة مسـتقلة مـن ناحيـة المفـردات والنحـو ولا يبـدو أنهـا تتصـل بأيـة لغـة أخـرى حيـة أم ميتـة. فهـي ليسـت لغـة اشـتقاقية مثـل اللغـات السـامية مثـلاً، وتقـوم الكلـمات فيهـا بدمـج مفردتـين أو أكـثر لينتجـا كلمـة واحـدة، كـما هـو الحـال مـع كلمـة

ملك(لـوگال) التـي تتركـب مـن مفردتـين هـما: (لـو) وتعنـي رجـل، و(گال) وتعنـي العظيـم.

ويعتقـد عـدد مـن العلـماء أن المفـردات السـومرية تتكـون مـن طبقتـين مختلفتـين؛ السـومرية نفسـها مع عـدد مـن الكلـمات الداخليـة المقترضـة مـن لغـة أخـرى لم تحـدد بعـد، ويفـترض أنهـا لغـة شـعب محـلي سـبق السـومريين(الفراتيون الأوائـل) كـما أشرنـا. ويعتقـد أن الألـواح الكتابيـة القديمـة مـن عـصر الـوركاء الرابـع تعـود إلى هـذه اللغـة، وعليـه فـإن السـومريين ربمـا اقتبسـوا لغتهـم ونظامهـم الكتـابي مـن مجموعـة لغويـة أخـرى. وتقـول الباحثـة (جـين اوتـس) وبتقييـم حـذر: مـع أننـا نفـترض عـلى نحـو معقـول أن سـكان بـلاد الرافديـن في عصـور قبـل التاريـخ كانـوا مـن عنـاصر مختلفـة إلا أنـه لا توجـد لحـد الآن أدلـة قاطعـه تثبـت وجـود طبقـة لغويـة سـبقت السـومريين نظريـاً، وتسـتمر بالحديـث أن مصطلـح (سـومري) يسـتعمل في الحديث عـن العصـور التاريخيـة بمعنـى حضـاري لوصـف سـكان ذوي عنـاصر لغويـة مختلطـة. أن اسـتحالة تحديـد الانتـماء اللغـوي تحديـداً قاطعـاً لأيـة مجموعـة مـن عصـور قبـل التاريـخ أمـراً بديهيـاً، وإن كان هنـاك سـبب يـزداد قبـولاً للاعتقـاد أن السـومريين كانـوا جـزءاً مـن السـكان الأصليـين عـلى الأقـل. وتشـير البيانـات الأثريـة إلى درجـة واضحـة مـن الاسـتمرارية منـذ أقـدم المسـتوطنات الزراعيـة في سـومر إلى ذلـك العصر الـذي يمكـن فيـه تحديـد اللغـة المدونـة بوصفهـا سـومرية، وهكـذا يصبـح مـن المؤكـد وجـود شـعب كبـير ناطـق باللغـة السـومرية. ولا توجـد في أيـة حقبـة زمنيـة أدلـة مقنعـة بحـدوث (غـزو) مـن شـعب

جديـد، كـما أنـه لا يمكـن أن نحـدد وطـن افـتراضي قـدم منه السـومريين بلغتهـم وحضارتهـم الفريدتـين، وتعـد هـذه حجـة أقـوى. في حـين يفتقر رأي علـماء اللغـة القائـل أن الشـعب العبيـدي ليـس سـومرياً إلى الصحـة لأن انتشـار سـمات حضاريـة جديـدة لا يتطلـب هجـرة جديـدة للنـاس، وعـلاوة عـلى ذلـك تبـين المعلومـات الأثريـة مـن دون أي شـك أن موطن شـعب العبيـد كان في سـومر عـلى وجـه الدقـة في المنطقـة التـي ارتبطت ارتباطـاً وثيقـاً بالسـومريين، في حـين أظهـرت التنقيبـات في شـمال سـوريا مؤخـراً أن الحضـارة السـومرية انتـشرت مثـل الحضـارة العبيديـة شـمالاً إلى معظـم الشـعوب المعـاصرة نحـو الشـمال والجنـوب والـشرق، وربمـا كان سـكان سـومر في نحـو 5000 ق.م، متنوعـين لغويـاً، وإن يبقـى الافـتراض القـوي أن اللغـة السـومرية كانـت هـي الغالبـة.

ويخلـص هـاري سـاكز مؤلـف كتـاب عظمـة بابـل إلى القـول: (أنـه مهـما كان المـكان الـذي جـاءوا منـه أولاً، فإنـه لم يكـن بـلاد سـومر). وتحـدى بعـض الباحثـين هـذا الافـتراض إلا أنهـم لم يقدمـوا أدلـة مقنعـة لمـا أدعـوا.

وفيـما يتعلـق بالاتجـاه الـذي جـاءوا منـه فهنـاك مـن يقـول أنهـم جـاءوا مـن الخليـج، وهـو مـا يتفـق مـع بعـض الأفـكار السـومرية؛ ومنهـا أن الإلـه أنـكي السـومري كان إلـه ميـاه وهـو الـه محـلي في مدينـة أريـدو التـي تقـع عـلى ضفـاف خـور متفـرع عـن الخليـج، وقـد ذكـرت عـلى أنها واحـدة مـن أقـدم مواطـن الاسـتيطان في الجنـوب. وهنـاك مـن يـرى أن دلمـون، ربمـا جزيـرة البحريـن، تمثـل أقـدم مسـتوطن لهـم يسـبق أريـدو، وهـذا يـدل عـلى أنهـم دخلـوا عـن طريـق الخليـج. وهنـاك رأي آخـر

مفـاده أن الســومريين جـاءوا إلى جنـوب بـلاد الرافديـن مـن الـشرق أو الشـمال الشرقـي وقـد مـروا بأرمينيـا وإيـران. بقـدر تعلـق الأمـر بأرمينـا فيبـدو الأمـر مسـتبعداً، إذ مـن غـير المعقـول والواقعـي أن يتجـاوزوا بيئـة ملائمـة في شـمال العـراق ويمضـوا بعيـداً إلى الجنوب ويسـكنوا بيئة قاسـية جـرداء تتطلـب عمليـة الإقامـة فيهـا جهـوداً خارقـة للعـادة. في حـين أن الصلـة مـع بـلاد عيـلام، ربمـا تتعـزز عـن طريـق المآثـر الأدبيـة القديمـة، ولا سـيما الملاحـم التـي تؤكـد العلاقـات الثقافيـة بـين سـومر وعيـلام في أواخـر عصـور قبـل التاريـخ، ومـن ثـم في العصـور التاريخيـة كـما أوردنـا ذلـك حـين عـرض رأي الباحـث كريمـر. لـذا أُفـترض بعـض الباحثـين أن عيـلام هـي الموطـن الأول لهـم، ورأوا أن الزقـورة في الديانـة السـومرية دليـلاً عـلى أن الموطـن الأول للسـومريين كان في منطقـة جبليـة، ولا سـيما أنهـم يسـتعملون في لغتهـم لفظـة (كـــور= kur) بمعنـى جبـل أو بـلاد؛ وأن الجبـل مـن المظاهـر الطبيعيـة غـير المتوفـرة في بيئـة السـومريين في جنـوب بـلاد الرافديـن. ولكـن هـذا الأسـلوب في المناقشـة مشـكوك فيـه لأن الزقـورة التـي تمثـل الجبـل الكـوني لم تكـن مرتبطـة بمنطقـة معينـة بـل بعلـم الكونيـات الـذي كان موجـوداً في العـالم القديـم مـع اختلافـات متباينـة مـن مـصر إلى الصـين.

وهنـاك مـن حـاول ربـط الموطـن الأصـلي للسـومريين ببـلاد وادي السـند في جنـوب بلوجسـتان، ومـن المحتمـل أن تكـون هنـاك علاقـة بـين حضـارة أقـوام وادي السـند (خرابـا) الذيـن لم تحـل رمـوز كتاباتهـم وبـين الأقـوام السـابقة للأقـوام الدرافيديـة، والهندو-أوربيـة الموجـودة حاليـاً في جنـوب الهنـد. وتعـد النظريـة التـي تقـول بوجـود علاقـة عرقيـة حقيقيـة

بين السومريين وبين أقوام (خرابا) ذات جاذبية خاصة لأولئك الذين يحاولون أن يجدوا صلة لغوية بين السومرية واللغة الدرافيدية. ومع وجود دلائل قوية على شكل طرز فنية وأشياء مادية خاصة بإحدى الحضارات وجدت في مواقع الأخرى، والعلاقات التجارية في الألف الثالث ق.م، بين السومريين وأقوام وادي السند أو بلوجستان، فضلاً عن ذلك فقد وجد تمثيل مناظر طقوسية تتضمن الثور الهندي ذا الحدبة في كلٍ من أور وسوسة. ووجدت نظرية تقول بالعلاقة بين السومريين والدرافيديين عن طريق أدلة من الألف الثالث ق.م، وأنها ترجع إلى عصر الوركاء وأن الارتباط كان لغوياً وعرقياً لكن ما ينقص هذه النظرية هو الإثبات.

وتجمع نظرية أخرى بين الأخبار المتوافرة والأدلة الأثرية لتقديم نظرية واحدة تفترض وجود موجتين من السومريين جاءتا من الشرق؛ سلكت الأولى البحر إلى الخليج، وجاءت الأخرى عن الطريق البري عبر إيران مع مجموعة أخرى من الأقوام نفسها هاجرت بعد ذلك إلى وادي السند. ويشير رأي مقارب أنهم قدموا من بلاد تمتد من شمال الهند وأفغانستان وبلوجستان وأقاموا في غرب إيران مدة من الزمن، ومن ثم ارتحلوا إلى الخليج وجزره ليستقروا في جنوب بلاد الرافدين. وقد أعتمد من تبنى هذه الفرضية على التشابه بين طرز الفخار السومرية القديمة وما حملته من زخارف التي امتدت جنوباً فوصلت خرابا وموهنجادارو في وادي السند. وهو ما يوحي بالعلاقات العرقية والثقافية الأولى بين سكان تلك المناطق الذين تقدموا الأجناس الهندو-أوربية. وربما

تؤيد الأساطير السومرية وتعزز هذه الرؤية، إذ أنها تشير إلى أن أصحابها فارقوا الجنوب وجاءوا إلى البحر لينتقلوا منه إلى دلمون الجنة المفترضة التي يرجح بعض الباحثين أنها جزيرة البحرين كما ذكرنا، ومنها ذهبوا إلى جنوب العراق، وإن لم توضح هذه الأساطير الدوافع والبواعث لهذه الهجرة المفترضة.

ومن المستحيل القول بشكل قاطع أنه لا يمكن أن تكون هناك حركات عرقية من هذه الاتجاهات، مع أنه ليس هناك دليل في الوقت الحاضر لإثبات حدوثها، ولكن يمكن تفسير العلاقات الأولى مع الهند كتلك التي كانت مع مصر على أنها نتيجة علاقات تجارية ولا تدل بالضرورة على تحركات عرقية واسعة، في حين أن الأصل العام للدرافيديين والسومريين أو حتى العلاقات الوثيقة بينهم لا يمكن أن يقال عنها أنها جاءت من لا شيء. وأكثر ما يمكن أن يستنتج باطمئنان في الوقت الحاضر هو أن السومريين جاءوا من مكان ما من شرق بلاد الرافدين.

ونود أن نشير هنا إلى رأي الباحث العراقي الدكتور نائل حنون الذي عرضه في كتابه: (حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية)، وقد بدأ بعرض اكتشاف اللغة السومرية والإشارة لآراء بعض الباحثين من أمثال: هنكس، وكريمر، وياكوبسين، وگليب، وهم من أشهر من عمل في هذا المجال، وحاول تفنيد آرائهم وفرضياتهم حول وجود السومريين في جنوب بلاد الرافدين في الألف الثالث ق.م، واختراعهم للكتابة المسمارية في عصر الوركاء.

وأخـيراً يخلـص إلى القـول: (إن الافـتراض بوجـود شـعب سـومري، يسـتدل عـلى وجـوده مـن وجـود اللغـة التـي أطلـق عليهـا اسـم اللغـة السـومرية، ومـن أسـماء الأعـلام المصاغـة بهـذه اللغـة، يثـير مـن الأسـئلة أكـثر مـما يجيـب عليـه. ويتضـح أيضـاً أنـه لا توجـد أدلـة، سـوى اللغـة، عـلى وجـود السـومريين كونهـم قومـاً عاشـوا مـع الأكديـين، أو سـبقوهم عـلى أرض جنـوب بـلاد الرافديـن.). ثـم يسـتنتج أن المفـردات والمقاطـع التـي كان يعتقـد أنهـا سـومرية قـد وضعـت مـن الأكديـين، وهـو بهـذا ينفـي وجـود الشـعب والحضـارة السـومرية، وإن مـن أنجـز حضـارة العـراق القديـم هـم السـاميون، ولكنـه لم يوضـح الدوافـع التـي جعلتهـم يكتبـون هـذه المقاطـع والمفـردات في قوائـم وقواميـس، ويضعـون قواعـد كتابيـة لتتحكم بصياغتهـا وهـم ليسـوا بحاجـة إليهـا ولديهـم لغـة خاصـة بهـم- ونشـير هنـا إلى أن الباحـث الألمـاني فرانتـس دليتـش في مطلـع القـرن العشريـن هـو الـذي كان قـد أرجـع المفـردات السـومرية إلى أصـول سـامية- وهـو بهـذا يلتقـي مـع بعـض الباحثـين العـرب والأجانـب الذيـن حاولـوا عبثـاً المسـاس بالحضـارة السـومرية وإسـناد المنجـزات الحضاريـة إلى أقـوام أو بقـاع مجـاورة أو بعيـدة عـن بـلاد الرافديـن، كـما هـي محاولـة أصحـاب الـرأي اللاحـق، وهـو مـن الآراء الحديثـة التـي تشـير إلى أن منطقـة البحـر الأسـود يمكـن أن تكـون موطـن السـومريين الأول، إذ أنهـم يشـيروا إلى التغيـيرات المناخيـة التـي حصلـت مـع مطلـع الهولوسـين منـذ عـشرة آلاف سـنة قبـل الميـلاد، وأثرهـا في تحـركات الأقـوام حـول البحـر الأسـود، ومنهـا الفيضـان الأعظـم بحـدود سـنة 5600 ق.م، واندفـاع الميـاه مـن البحـر المتوسـط عـبر وادي البسـفور نحـو البحـر الأسـود. فهربـوا وبرفقتهـم

مفردات من لغات أخرى وأفكار جديدة وتقنيات جديدة جمعت من حول البحيرة. هرب قسم من هؤلاء نحو أوربا، وربما كانوا الشعوب التي تتحدث اللغة المعروفة بالهندو- أوربية، في حين هرب آخرون (متحدثو اللغات السامية) نحو الجنوب عابرين هضبة الأناضول ليتبعثروا بعدها بشكل واسع بسبب تلك المجموعة الوعرة من الوديان العميقة، والجبال. فظهر بعضهم (شعب حلف) بموازاة الحافات الشمالية لبلاد الرافدين النهرية، وجازفوا بالتوجه جنوباً نحو وديانها الجافة وصولاً لأماكن بعيدة لم يتجرأ أي من المزارعين قبلهم أن يفعلوا ذلك، يقصد بهؤلاء السومريين سكان الجنوب الأوائل.

ويرى علماء آخرون إن الموطن المحتمل للسومريين هو بلاد الرافدين نفسها، وأنهم قد انتقلوا من الشمال، إذ قامت ومنذ أقدم العصور حضارة متقدمة إلى الجنوب الشرقي من حوض ديالى، وهي منطقة تميزت بطبيعتها الجبلية المليئة بالحجارة والمعادن. إن وجود النحاس بكثرة في هذه المنطقة عزز رأي أصحاب هذه الفرضية الذين أدعوا أن السومريين قدموا منها، ولا سيما أنهم كانوا عارفين بالتعدين وهذا ما تأكد عن طريق الموجودات من أدوات معدنية من أبرزها النحاس من مراحل قبل اكتشاف الكتابة. ولكن هناك من يعترض ويعتقد أنه من غير المنطقي ترك منطقة تزخر بالحجارة والنحاس والقدوم إلى أخرى تفتقر إلى مثل هذه المواد ويصعب العيش فيها. كما أن الأقوام التي تعيش هناك وفي مناطق الهلال الخصيب هم من الأقوام السامية الذين يختلفون في اللغة والشكل والمحيا عن نظرائهم من السومريين.

ونميـل إلى هـذه الفرضيـة ونعتقـد أن أسـباباً ديموغرافيـة تتعلـق بزيـادة أعـداد السـكان وحـدة المنافسـة وشـدتها دفعـت مجاميـع مـن سـكان القـرى الزراعيـة التـي قامـت هنـاك منـذ العـصر الحجـري الحديـث إلى الزحـف نحـو الجنـوب حيـث الأرض البكـر التـي أصبحـت مهـد المدنيـة والحضـارة ذات القـوام الزراعـي المعتمـد عـلى الـري. ومـا يدعـم هـذا الـرأي أن مبـادئ وأصـول الحضـارة السـومرية تعـود إلى عـصر العبيـد، أول أدوار السـكن في القسـم الجنـوبي مـن بـلاد الرافديـن، إذ نعـثر عـلى معابـد السـومريين وقراهـم، وإن كنـا نجهـل اللغـة التـي تكلـم بهـا سـكان العبيـد، كـما أشرنـا أعـلاه.

عمومـاً إن جهـل المـكان الأصـلي للسـومريين وعـدم معرفـة طبيعـة ثقافتهـم التـي انتقلـوا بهـا إلى جنـوب بـلاد الرافديـن لا يلغـي حقيقـة أنهـم تواصلـوا مـع سـكان الجنـوب الأصليـين وارتقـوا بالحضـارة الإنسـانية إلى العـلى، واتـوا بالمخترعـات والمبتكـرات الرائـدة في الجوانب الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسـية، فطـوروا أسـلوب الكتابـة، وسـموا بالفنـون والصنائـع، وبحثـوا في الديـن والأخـلاق، والقـوا بظلالهـم عـلى الأسـاطير والملاحـم والأناشـيد، وأسسـوا التعليـم الرسـمي.

يمثـل كل مـا عرضنـاه نظريـات، وفرضيـات، وآراء، واسـتنتاجات لم تصـل في أقـصى مدياتهـا إلى حـد الجـزم بـل هـي مثـار تعليـق ونقـاش، وفي انتظـار مزيـد مـن الدعـم أو التفنيـد.

مصادر الفصل الثاني

1 . أبو الصوف، بهنام (2008). قراءآت في الآثار والحضارات القديمة. بغداد.

2 . آدمز، روبرت(1984). أطراف بغداد. تأريخ الاستيطان في سهول ديالى. ترجمة، أحمد صالح العلي. بغداد.

3 . الأحمد، سامي سعيد(1990). السومريون وتراثهم الحضاري. بغداد.

4 . أوبنهايم، ليو(1986). بلاد ما بين النهرين. ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد.

5 . اوتس، ديفيد وجين(1988). نشوء الحضارة. ترجمة لطفي الخوري. بغداد.

6 . اوتس، جين(1990). بابل تاريخ مصور. ترجمة سمير عبد الحليم، بغداد.

7 . باقر، طه(1973). مقدمة في تاريخ الحضارات.ج1، بغداد.

8 . بوترو، جين وآخرون (1986). الشرق الادنى الحضارات المبكرة. ترجمة، عامر سليمان، الموصل.

9 . تشايلد، كوردن(1966). التطور الاجتماعي. ترجمة لطفي فطيم، القاهرة

10 . الخلف، جاسم محمد(1959).محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية. القاهرة.

11 . ديلابورت، ل(1997). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، محرم كمال. القاهرة.

12 . رو، جورج (1984). العراق القديم. ترجمة، حسين علوان حسين، بغداد.

13 . ساكز، هاري (2008). عظمة بابل . ترجمة، خالد اسعد .دمشق.

14 . الساكني، جعفر(1993). نافذة جديدة على تاريخ الفراتيين في ضوء الدلائل الجيولوجية والمكتشفات الآثارية. بغداد.

15 . سليمان، توفيق(1985). دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م. دمشق.

16 . سليمان، توفيق(1982). نقد النظرية السامية. دمشق.

17 . شريـف، إبراهيـم(ب.ت). الموقـع الجغـرافي للعـراق وأثـره في تاريخـه العـام حتـى الفتـح الاسـلامي.ج1، بغـداد.

18 . الطعان، عبد الرضا(1981). الفكر السياسي في العراق القديم. بغداد.

19 . عبـد الكريـم، عبـد اللـه (1974). ملامـح الوجـود السـامي في جنـوبي العـراق قبـل تأسـيس الدولـة الأكديـة. سـومر، مـج 30، عـد 1 ،2 .

20 . علي، جواد(1968). المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . ج 1. بيروت.

21 . علي، فاضل عبد الواحد(1987). من ألواح سومر إلى التوراة. بغداد.

22 . علي، فاضل عبد الواحد (1975). الطوفان في المراجع المسمارية . بغداد.

23 . فرانكفـورت، هـنري (1965). فجـر الحضـارة في الـشرق الأدنى. ترجمـة ميخائيـل خـوري، بـيروت.

24 . فـون زودن، ف(2003). مدخـل إلى حضـارات الـشرق القديـم. ترجمـة، فـاروق إسـماعيل. دمشـق.

25 . كريمـر، صموئيـل نـوح (1973). السـومريون تاريخهـم وحضاراتهـم وخصائصهـم. ترجمـة فيصـل الوائـلي، الكويـت.

26 . كريمر، صموئيل نوح (1975). من ألواح سومر. ترجمة، طه باقر، القاهرة.

27 . لاندزبيركـر، بينـو(1979). بدايـات الحضـارة في بـلاد وادي الرافديـن. ترجمـة، صالـح حسـين الرويـح، مجلـة كليـة التربيـة، جامعـة البـصرة، عـد 1.

28 . لويد، سيتون (1980). آثار بلاد الرافدين. ترجمة. سامي سعيد الأحمد، بيروت.

29 . مالـوان، ماكـس(2001). حضـارة عـصر فجـر السـلالات في العـراق. ترجمـة كاظـم سـعد الديـن، بغـداد.

30 . محمد، محمد عبد القادر(1968). الساميون في العصور القديمة. القاهرة

31 . موسـكاتي، سـبتينو(1957). الحضـارات السـامية القديمـة. ترجمـة وتعليـق السـيد يعقـوب بكـر. لنـدن.

32 . مورتـكات، أنطـوان(1967). تاريـخ الـشرق الادنى القديـم. ترجمـة. توفيـق سـليمان وآخـرون، دمشـق.

33 . مورتـكات، انطـوان(1975). الفـن في العـراق القديـم. ترجمـة، عيـسى سـلمان وسـليم طـه التكريتـي، بغـداد .

34 . وولي، ليونـارد(1948). وادي الرافديـن مهـد الحضـارة. ترجمـة أحمـد عبـد الباقـي. بغـداد .

35 . Crawford, H (2015). Ur The City of the Moon God. London.

36 . Fox, R. G and Zagarell, A(1982). The Political Economy of Mesopotamian and South Indian Temples: The Formation and Reproduction of Urban Society. Comparative Urban Research. Chicago.

37 . Frankfort,H(1948).Kingship and the Gods. Chicago.

38 . Frankfort, H(1958). The Art and the architecture of the ancient orient .London.

39 . Gleb, L(1960). Sumerians and Akkadians in their etnno – linguistic relationship in aspects du cntact sumero – Akkadian. Geneve.

40 . Gibson,M(1972).The City and area of Kish. Miami,Florida

41 . Green, M. W(1975). Eridu in Sumerian Literature. Chicago.

42 . Jacobsen, Th(1939). The Assumed Conflict between the

Sumerians and Semites in Early Mesopotamian History. JAOS,Vol, 59.

43 . Jacobsen, Th (1970).Early political Development in Mesopotamia. (In). Toward the Image of Tammuz. Cambridge.

44 . Jacobsen, Th(1943).Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia. TNES.Vol,2.

45 . Jacobsen, Th(1973). The Sumerian King List. Michigan.

46 . Lloyd, S(1978). The Archaeology of Mesopotamia. London.

47 . Mackay, d (1952). Sumerian connection with ancient India. London.

48 . Nissen, H,J(1988).The early history of the near east 90002000-B.C. Chicago& London.

49 . Oppenheim,A.L (1964). Ancient Mesopotamia: portrait of a dead Civilization. Chicago.

50 . Redman,C.L(1978). The Rise of Civilization: from Early farmers to Urban Society in the Ancient Near East. USA.

51 . Rothman,M.S (2001). The Local and Regional: An Introduction. (In). Schwarts,D.W (ed). Uruk Mesopotamia and its Neighbors. Oxford.

52 . Roaf, M(1984). Ubaid Houses and Temples. Sumer,Vol,43.

53 . Pournelle, J.R(2013).Physical Geography of the Sumerian world.U.S.A.

54 . Saggs, H. W. F(1995). People of the past Babylonians. London.

55 . Speiser,E.A(1930). Mesopotamian Origins.Philadelphia.

56 . Woolley, C.L(1929). The Sumerians. Oxford.

57 . Zarins,J (1992). The Early Settlement of Southern Mesopotamia: A Review of Recent Historical,Geological, and Archaeological Research. Journal of the American Oriental society,Vol,112.

(3)

السومريون ... عصر الانطلاق
العبيد، الوركاء، جمدة نصر

3-1 تمهيد

يمكن القول أن الحضارة السومرية استمرت لأكثر من ألفي سنة، وهي المدة التي تمتد من الألف الرابع ق.م إلى نهاية الألف الثاني ق.م، أو في ضوء الأطر التاريخية من عصر الوركاء إلى نهاية عصر أور الثالثة، إذ كانت السلالة الثالثة في مدينة أور آخر كيان سياسي سومري بالكامل. لكن وكما نعرف فإن الاستيطان في السهل الرسوبي الجنوبي من بلاد الرافدين بدأ بحدود 5،500 ق.م فيما يعرف بعصر العبيد، وينسب هذا الدور الحضاري إلى موقع العبيد، وهو موقع صغير يقع على بعد نحو 6 كم شمال غرب مدينة أور الشهيرة. وكان عصراً طويلاً وحيوياً، ويشكل أقدم مراحل الاستيطان المستقر في السهل الرسوبي. وقد حلت حضارة هذا العصر محل حضارة عصر(حلف) الشمالية (الخريطة: رقم 3).

وكانت المجتمعات في مطلع هذا العصر عبارة عن تجمعات فلاحية تعيش داخل قرى صغيرة. ويقع القسم الأكبر من المستوطنات في النصف الجنوبي من السهل الرسوبي، إذ تركزت القرى المبكرة المرئية من الناحية الأثرية في جنوب بلاد الرافدين

في هـذا العـصر عـلى حواجـز الأنهـار في المواقـع المتاخمـة للمسـتنقعات والأهـوار. ومـن الصعـب، إن لم يكـن مـن المسـتحيل، ايجـاد آثـار عـن اسـتغلال السـكان الأوائـل الاحتياطيـات الغنيـة مـن الأسـماك والطرائـد في هـذه المنطقـة، إذ لم ينجـح أحـد حتـى الآن، وعمليـاً قـد لا يفعـل أحـد ذلـك أبـداً، لأنـه عـلى مـدى آلاف السـنين غطـى طمـي الأنهـار الخصـب السـطح الأصـلي للسـهل بعمـق أمتـار عـدة، فضـلاً عـن ذلـك ارتفـع مسـتوى الميـاه، ثـم غمـرت الترسـبات الأقـدم. وكذلـك هنـاك تعقيـد آخـر، وهـو أن الأهـوار في أقـصى جنـوب البـلاد توسـعت وانكمشـت بمـرور الوقـت مضيفـة مزيـداً مـن الأمـلاح مما جعـل عملية المسـح الأثـري للمنطقـة شـبه مسـتحيلة، لـذا فهنـاك بعـض التخمينـات عـن السـكان الأوائـل الذيـن قدمـوا لاسـتثمار الصيـد الوفـير، وصيـد الأسـماك في الأهـوار وحولهـا، وتركـوا «أثـراً» ضئيـلاً للغايـة عـلى البيئـة. ويبـدو أنهـم قـد بنـوا أكواخـاً مـن القصـب، وكان لديهـم قليـل مـن الممتلـكات الشـخصية، وكانـوا يتحركـون عـلى نحـو منتظـم مـن مـكان إلى آخـر بحثـاً عـن الطعـام. وممـا يؤسـف لـه أنهـم لم يتركـوا عـن هـذه الممارسـات كثـيراً مـن الدلائـل في السـجل الأثـري.

وقـد كان عـدد المسـتوطنات صغـير نسـبياً بعضهـا كان أكـبر بكثـير مـن مواقـع أخـرى مـع أدلـة عـلى عـمارة ضخمـة نوعـاً مـا ودرجـة معينـة مـن تخطيـط الموقـع كـما في تـل العقـير. ولم يتعـدى حجـم أكبرهـا عـشر هكتـارات كـما هـو الحـال في مواقـع أريـدو، وأور والعقـير، إذ كانتـا بحجـم يقـارب 10-12 هكتـار مـع مجموعـة مـن القـرى والضواحـي تحيـط بـكل مسـتوطن، في حـين كانـت مسـاحة

بعض المستوطنات الصغيرة نحو هكتار واحد، وفي الغالب أقل من أربعة هكتارات. ولعل أهم ما يؤشر في حضارة العبيد أنه كان هناك نظام عظيم مستقر استمر لمدة تقرب من (1500) سنة مع تغيرات قليلة في نظام الاستيطان وموارد العيش والحضارة المادية. ولم يقدم السجل الأثري أي أدلة عن الحروب والصراعات، إذ تظهر الأختام من أواخر عصر العبيد غياب واضح لمشاهد الأسلحة والأسرى وكذلك مشاهد القتال. كذلك فإنه ليس هناك ما يشير للعنف أو التحطيم في أطلال المواقع العبيدية.

إن ما يؤشر في الجانب الاقتصادي في مستوطنات هذا العصر أن سكانها كما يقترح الباحث روبرت آدمز لم يعتمدوا كلياً على زراعة الري، إذ لا يزال قسماً كبيراً منهم شبه بدوي وكانت مهنة الرعي من المهن الأساسية. وكانت التجارة هي شريان الحياة للاقتصاد، وربما كانت عاملاً حاسماً في تطوير الحياة الحضرية في المنطقة لذا نمت في هذه المستوطنات عمليات تبادل البضائع والخامات مع المناطق المجاورة؛ الاوبسيدين من هضبة الأناضول، والسيلكون من سوريا، والخشب، وأصناف الحجر الصلبة من جبال زاگروس، واللازورد من أفغانستان، وغيرها.

شكل هذا العصر نقطة البدء والانطلاق في بدء حضارة السهل الرسوبي في جنوب بلاد الرافدين، ومع أن السومريين لم يكونوا أوائل السكان في الدور الحضاري على وفق بعض المعطيات والدلائل الأثرية والكتابية إلا أن دورهم وحضورهم مؤشر وواضح على وفق كثير من الباحثين والدارسين.

2-3 عصر الوركاء(3800-3100 ق.م)

يمثل عصر الوركاء (3800-3100 ق.م) عصر الانطلاق والبداية الحقيقية للوجود الحضاري السومري. ويشغل معظم الألف الرابع ق.م، الذي يعد فاصلاً زمنياً حاسماً في تاريخ البشرية على وجه العموم. تقع مدينة الوركاء، (ارُك) في التوراة التي سمي هذا العصر نسبة إليها على بعد 30 كم جنوب شرق مدينة السماوة. ويعد هذا العصر الأكثر أهمية وابتكاراً في تاريخ بلاد الرافدين، وأمتد تأثيره إلى مناطق البحر المتوسط وهضبة الأناضول.

وظهرت في هذا العصر جملة من العمليات الحضارية، فضلاً عن مجموعة من الابتكارات والتطورات؛ إذ نشأت المدن، مع ظهور المفهوم السياسي لدولة المدينة لأول مرة، كما ظهرت الأشكال الأقدم من الكتابة الصورية، ويمكن تلمس الإبداعات الفنية مجسدة بالنحت بأنواعه المختلفة، فضلاً عن الأختام الأسطوانية، وظهرت عمليات الصب المتطورة في علم المعادن لأول مرة، وأنتج الفخار بكميات كبيرة باستخدام الدولاب الفخاري، وهذه مؤشرات واضحة عن ظهور الحرفيين والاختصاصيين في كثير من المجالات، وظهر البانثيون (Pantheon) أي مجمع الآلهة بشكله الواضح . وتكشف السمات التي أشرنا إليها إلى وجود مجتمع معقد نظم بواسطة طبقة كهنوتية شكلت سلطة دينية (Theocracy)، وكان للتخصص في العمل دوراً مهماً في هذه التطورات.

وانتشرت حضارة الوركاء في القسم الجنوبي من السهل

الرسـوبي، ولكـن يبـدو أنهـا تفاعلـت مـع مناطـق خـارج بـلاد الرافديـن (الخريطـة: رقـم 4). إذ مـن المؤكـد أن هـذه الحضـارة لم تحـدث في الفـراغ. فقـد فرضـت التناقضـات الجغرافيـة والبيئيـة والاقتصاديـة والثقافيـة بـين الأراضي المنخفضـة والسـهول والمرتفعـات المحيطـة بهـا عـدداً مـن القيـود الدائمـة عـلى تنميـة المجتمعـات في كل مـن هـذه المناطـق. وكان الطمـى هـو أحـد الأمـور الحاسـمة، إذ كانـت المنطقـة عبـارة عـن أرض خاليـة مـن المـوارد بخـلاف المـوارد الأساسـية التـي توفرهـا الزراعـة وتربيـة الحيوانـات، فـكان لابـد مـن اسـتيراد نسـبة كبـيرة مـن المتطلبـات الماديـة اللازمـة للحفـاظ عـلى النظـم الاجتماعيـة الطبقيـة للغايـة. وقـد عـثر عـلى المـوارد اللازمـة إلى حـد كبـير في مناطق المرتفعـات البعيـدة التـي تسـكنها مجتمعـات يمكـن وصفهـا بأنهـا أقـل تطـوراً، إذا جـاز الحكـم مـن الأدلـة التاريخيـة والأثريـة الموجـودة عـلى الأقـل قبـل الألفيـة الثالثـة قبـل الميـلاد. وقـد نجحـت المجتمعـات المتكاملـة للغايـة في هـذا العـصر في إنشـاء نظـام للتفاعـل بـين وطنهـم الـذي يفتقـر إلى المـوارد والمناطـق الأخـرى الغنيـة بالمـوارد. ويبـدو مـن الواضـح أن امتـداد حضـارة الـوركاء إلى الخـارج كان أمـراً محتومـاً. إذ أن المجتمـع المعقـد والمركـب يميـل إلى التوسـع والامتـداد وتطويـق جيرانـه لحاجـة المجتمـع ونخبـه للسـيطرة عـلى المـوارد والمصـادر التـي تسـهم في تطويـر اقتصـاد (الدولـة) لغـرض تحقيـق النمـو والنجـاح والازدهـار. ومـن المعـروف أن هـذه المـوارد أو المـواد الضروريـة متاحـة فقـط في مناطـق الأطـراف المجـاورة. إن توسـع مجتمعـات أوروك يحمـل بعـض التشـابه مـع التوسـع الاسـتعماري للمجتمعـات الأوروبيـة إلى المناطـق

الأقل تطوراً في العالم الثالث. ويمكن وصف ظاهرة أوروك بأنها مثال مبكر على «إمبراطورية غير رسمية» أو «نظام عالمي» قائم على التبادل غير المتكافئ وتقسيم دولي للعمل منظم هرمياً يختلف عن الأمثلة الحديثة فقط في الدرجة.

ويبدو أن جزءاً من مشكلة هذا العصر أننا لا نعرف الكثير عن بداياته أو مراحله الأولى، وإن كان هناك من يعتقد أن أدوار الوركاء الأولى الشمالية ربما تعود إلى المدة من 4200-4100 ق.م. ويشير الباحث (هاري ساكز) إلى أن المعبد في الطبقة الخامسة في مدينة الوركاء يمثل ابتكاراً مهماً لأنه شيد على أسس من قطع الحجر مشيدة على مصطبة من الطين المضغوط (Pise)، وعدها إشارة إلى وجود أقوام جبلية لها خبرة بفن استعمال الحجر، وهناك إشارة أخرى يستدل منها على تغلغل أقوام أجنبية، إذ أن دور الوركاء، (وليس الطبقة الخامسة فقط) قدم عدداً من الابتكارات بما فيها من أشكال جديدة من الأواني الفخارية، ودولاب الفخار، واستخدام القوس. ومع أن استعمال المعادن كان معروفاً لدى السكان من دور حلف ومواقع انتشار ثقافة دور العبيد شمالاً - لكن ليس في المواقع الأصلية في الجنوب- فإنه لم يستعمل على نطاق واسع إلا في دور أو عصر الوركاء، إذ عثر على بعض الآلات النحاسية في الطبقة الحادية عشرة وما يليها. فإذا كانت هذه التغييرات نتيجة لتغلغل أقوامٍ أجنبية فإن الأدلة تشير إلى وجود عنصرين من الأقوام الجديدة على الأقل، أعطى العنصر الرئيس الطابع العام المميز لحضارة عصر الوركاء وعنصر ثانوي من الأقوام الأجنبية تشير لوصوله معابد

الحجـر في الطبقـة الخامسـة واكتشـاف الكتابـة في الطبقـة 4 أ، أو 4 ب، عمومـاً هنـاك آراء مختلفـة حـول هـذا الموضـوع.

وتشـكل منطقـة جنـوب العـراق عـلى رأس الخليـج المركـز الجغـرافي للتطـورات التـي حدثـت في هـذا العـصر. وقـد ازداد عـدد وحجـم المسـتوطنات بشـكلٍ واسـع مـع بدايـة الألـف الرابـع ق.م، أي مـع بداية عـصر الـوركاء، ولكـن القسـم الجنـوبي مـن السـهل الرسـوبي، ونعنـي بـلاد سـومر ضـم موقعـين فقـط تزيـد مسـاحتهما عـن 20 هكتـاراً أحدهـما بالطبـع موقـع الـوركاء نفسـه الـذي كانـت مسـاحته بحـدود 70 هكتـار، وأريـدو التـي تراوحـت مسـاحتها مـا بـين 40-45 هكتـار، في حـين لم تحـدد مسـاحة مسـتوطن أور بشـكل واضـح، وهـو مسـتوطن كبـير أيضـاً مـن هـذه المرحلـة. ولكـن هنـاك عـدد كبـير مـن المواقـع بحجـم مـن 5-10 هكتـار تظهـر ميـلاً للتجمـع حـول البـؤر الأكـبر إلا أنـه مـما يؤسـف لـه أن هـذه المواقـع ليـس فيهـا بقايـا عماريـة وهـي في الغالـب تحـت الأنقـاض وبقاياهـا غامضـة.

تغـيرت صـورة الاسـتيطان إلى حـد كبـير في النصـف الثـاني مـن الألـف الرابـع ق.م حتـى أنـه يمكـن وصـف عـدد مـن المسـتوطنات في بلاد سـومر أنهـا حضريـة ليـس فقـط بمعنـى الحجـم بـل كذلـك بمعنـى الوظيفـة. وتجـاوزت المسـاحة المزروعـة في القسـم الجنـوبي تلك الموجودة في القسـم الشـمالي بمـا يقـرب مـن 600 كـم2. لكـن يبـدو أن عـدد السـكان كان متسـاوياً في المنطقتـين كلتيهـما، وإن عـاش السـكان في المنطقـة في ثلاثـة مراكـز بحجـم يقـرب مـن 30-50 هكتـاراً، في حـين بلغـت مسـاحة مدينـة الـوركاء عـلى سـبيل المثـال نحـو 100 هكتـاراً في الجنـوب. واسـتمرت

عملية نمو المستوطنات والمدن في أواخر عصر الوركاء مع اختلاف بين المركز (الوركاء) وجنوب بابل، ففي المنطقة الأخيرة كانت الزيادة في الأراضي المسكونة ثانوية، ويمكن أن يفسر الأمر بأنه نتيجة للنمو الطبيعي، أما في الجنوب وتحديداً حول مدينة الوركاء فكان هناك تصاعداً كبيراً في المساحة المسكونة عن طريق المستوطنات الدائمية، إذ أن حجم مدينة الوركاء السائد في المنطقة فاق بشكل كبير ما كان من حجم المستوطنات الأخرى مما يشير إلى أنه كان مركزاً للمنطقة، ومدينة حقيقة، ومن ثم فأنها يمكن أن تعد أقدم وأول مدينة في التاريخ الإنساني، وكانت محاطة بمستوطنات ثانوية، وتوسعت من 100هكتار إلى 210 هكتار. وقد أسهمت القوى الطبيعية بشكل مهم في فعاليات مستوطنة الوركاء كما يقول آدمز.

وقد قامت المستوطنات في جنوب بلاد الرافدين على أساس زراعي وعملت أعداد كبيرة من السكان في مهنة الزراعة حتى تلك التي تعيش في المدينة نفسها. كما أسهمت التطورات التقنية في جعل التخصص أمراً أكثر جاذبية، فالاختراعات في أدوات ومعدات عملية البذار مثلاً قد جعلت العمل الزراعي يقتضي توفر الخبرة في من يمارسه كذلك فأن الفائض الزراعي أصبح ضرورياً من أجل إعالة المختصين من ذوي الحرف والمهن الذين لا يعملون في الزراعة. إذ أن جزءاً صغيراً من سكان المستوطنات يعملون ويتخصصون في وظائف أو واجبات غير زراعية. وكان المعبد مؤسسة مركزية من أجل عمل وتأسيس النظام وهو بيت الإله ومركز العبادة. وأصبحت المعابد في عصر الوركاء بنايات أساسية ومهمة، وكانت

تكاليـف بنائهـا مـؤشر عـلى غنـى المجتمـع وتعاظمـه. فقـد وجـدت المعابـد المركبـة؛ ومنهـا معبـد (أينانـا)، وكذلـك زقـورة (آن) في مدينـة الـوركاء. وقـد أعيـد بنـاء معبـد (أينانـا) أكـثر مـن مـرة في عـصر الـوركاء ضمـن منطقـة محاطـة بسـياج مـن الأبنيـة الضخمـة.

لقـد قـادت عمليـة التخصـص في العمـل إلى الحاجـة إلى سـلطة لتنظيـم تبـادل السـلع لأن عائـلات مسـتقلة لم تكـن قـادرة عـلى إعالـة نفسـها لوحدهـا. فـأدى التخصـص بـدوره إلى مجتمـع ذي طبقـات أكـثر مـع توزيـع غـير متكافـئ للـثروة والمكانـة. ويتطلـب وجـود هـذه السـلطة أسـس ايديولوجيـة يشـترك فيهـا التابعـون لهـذا النظـام مـن أجـل قبولهـا وتبنيهـا مـن الجميـع والمشـاركة في جـزء مـن إنتاجهـم ليعـود عليهـم ببعـض الفائـدة في المسـتقبل.

3-3 **عصر جمدة نصر** (3200-2900 ق.م)

يـأتي مبـاشرة بعـد عـصر الـوركاء طـور أو عـصر أو حضـارة جمـدة نـصر الـذي يشـغل الفاصـل الزمنـي مـن نحـو 3200-3000 ق.م، أو 3100-2900 ق.م، وسـمي بهـذا الاسـم نسـبة إلى موقـع صغـير يقـع عـلى بعـد نحـو 26 كـم شـمال شرق مدينـة (كيـش) تـل الأُحيمـر الشـهيرة.

يشـغل عـصر جمـدة نـصر مـدة زمنيـة قصـيرة، ويبـدو أنـه لم تعـد هنـاك التطـورات الهائلـة التـي ظهـرت في عـصر الـوركاء لكـن في جانـب الاسـتيطان بقيـت المسـتوطنات كـما كانـت في عـصر الـوركاء، وإن هجـرت بعـض المواقـع في منطقـة السـهل الجنـوبي، إذ تقلـص الإنفـاق

في بلاد الرافدين؛ فقد دمرت وهجرت المستعمرات الرئيسة للوركاء، على سبيل المثال. ويجب أن يكون هذا قد عطل تدفق المواد إلى مستوطنات الجنوب وقيّد رخاءها. ويبدو أن جميع منطقة أي-أنّا في الوركاء كانت قد عملت بوصفها مصطبة جديدة. ولن نعرف أبداً، فيما إذا كانت مبانٍ الوركاء المتأخرة قد حطمت بنشاط عدواني أو تمت تسويتها فقط لإنشاء مباني جديدة أكثر تفصيلاً. ومع هذا أسس سكان العصر عدداً من المستوطنات الجديدة، والتي استمرت في الاستعمال حتى نهاية عصر السلالات المبكرة.

يقابل عصر جمدة نصر الطبقات 3-2 في موقع الوركاء، وقد كان عصر انتشار حضاري، وكما أشرنا فقد بدأ نمو القرى وتطورها إلى مدن منذ عصر العبيد، وأصبح أكثر وضوحاً في عصر الوركاء السابق. ومع هذا يبدو أن مدينة الوركاء نفسها حتى عصر الوركاء الطبقة الرابعة، أي أواخر عصر الوركاء تمثل الحدود الشمالية لهذا التطور، وأما في وسط وشمال بلاد بابل فقد استمرت المجتمعات (مع بعض الاستثناءات القليلة) تعيش في قرى صغيرة. وتغير الوضع في عصر جمدة نصر، وربما نتج هذا عن بعض التحسينات في أساليب الري، وبدأت المدن تنمو كذلك في وسط وشمال بابل، ومن الأمثلة على ذلك مدن نفر(نيبور)، وكيش، وأشنونا (تل أسمر) على نهر ديالى. كما كشف عن معبد من طراز جمدة نصر في تل (براك)على الحدود السورية على نهر الخابور (الخريطة: رقم 5).

ويلاحظ ومنذ نهاية عصر الوركاء، ومطلع هذا العصر انخفاض دراماتيكي في مؤشر العلاقات الخارجية والتجارية مع كل من

مناطـق بـلاد الشـام وإيـران. ويـؤشر في هـذا العـصر انخفـاض في أعـداد السـكان في القسـم الشـمالي مـن السـهل الرسـوبي، وقـد يكـون السـبب في ذلـك توجـه أعـداد كبـيرة مـن السـكان إلى القسـم الجنـوبي، إذ تشـير التقديـرات إلى وجـود زيـادة في عـدد السـكان. كـما توسـعت مدينـة الـوركاء نفسـها حتـى بلغـت مسـاحتها نحـو 400 هكتـار.

كـما ظهـرت مجموعـة جديـدة من المسـتوطنات في القسـم الشـمالي الشرقـي، وهـي مسـتوطنات متوسـطة الحجـم تقـع عـلى مجـرى نهـر الفـرات القديـم أو عـلى قنـوات مائيـة كبـيرة. وظهرت في وسـط السـهل الرسـوبي وبعيـداً عـن تأثـير مدينـة الـوركاء مسـتوطنات سـوف تصبـح مـدن ذات أهميـة كبـيرة في عـصر السـلالات المبكـرة والعصـور اللاحقـة مثـل: أدب، وشـوروباك، ونيبـور.

مصادر الفصل الثالث

1 . أبو الصوف ، بهنام (1968). التنقيب في تل الصوان(الموسم الرابع). سومر، مج 4.

2 . آدمز، روبرت ماك(1984). أطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى. ترجمة، صالح أحمد العلي وآخرون. بغداد.

3 . أور جيسون والحمداني عبد الأمير (2014). أنماط الاستيطان في سومر واكد. مجلة سوبارتو، ع 8.

4 . اوبنهايم ، ليو(1981). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد

5 . اوتس، ديفيد و جين(1988). نشوء الحضارة. ترجمة، لطفي الخوري، بغداد.

6 . بصمجي، فرج (1955). الوركاء. سومر، مج 11، ج.1

7 . بوتس، دانيال(2006). حضارة وادي الرافدين، الأسس المادية. ترجمة، كاظم سعد الدين، بغداد.

8 . الخطابي، علي سالم عبدالله(2011). خصائص المعبد العمارية من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي القديم. الموصل.

9 . سعيد، مؤيد(1988). المدن الدينية والمعابد. في. المدينة والحياة المدنية. ج1، بغداد.

10 . سفر، فؤاد ولويد، سيتون(1945). حفريات تل العقير. مجلة سومر، مج 1.

11 . سفر، فؤاد(1947). حفريات مديرية الآثار العامة في أريدو. سومر، مج 3.

12 . الشيخ، عادل عبد الله(1985). بدء الزراعة وأولى القرى في العراق. بغداد.

13 . الشيخ، عادل عبد الله (1995). عمارة العراق في العصرين الحجري الحديث والحجري المعدني حتى نهاية طور العبيد. بغداد.

14 . فرانكفورت، هنري (1965). فجر الحضارة في الشرق الأدنى. ترجمة، ميخائيل خوري، بيروت.

15 . لنـزن، هانريـش(1989). العـمارة في منطقـة أي-أنـا في عـصر الطبقـة الرابعـة لمدينـة الـوركاء. ترجمـة، عبـد الـرزاق كامـل، مجلـة سـومر، مـج 46.

16 . ماثيـوس، روجـر(2015). آثـار بـلاد الرافديـن. نظريـات ودراسـات. ترجمـة، محمـد صـبري عبـد الرحيـم، بغـداد.

17 . مورتـكات، أنطـون(1975). الفـن في العـراق القديـم. ترجمـة، عيـسى سـلمان وسـليم التكريتـي، بغداد.

18 . النجـم، حسـين يوسـف(2006). اقتصـاد القـرى الزراعيـة خـلال العصريـن الحجريـين الحديـث والمعـدني في العـراق. الموصـل.

19 . Adams، R.M(1958).Survey of ancient water courses and Settlement in central Iraq.Sumer،Vol،14،No،2.

20 . Adams، R.M(1965). Land behind Baghdad. A history of settlement on the Diyala plains. Chicago & London.

21 . Adams،R.M(1966).The Evolution of Urban Society: Early Mesopotamia and prehistoric in Mexico. Chicago.

22 . Adams،R،M & Nissen،H.J(1972). Uruk countryside. The Natural setting of Urban Societies. Chicago & London.

23 . Algaze، G (1963).The Uruk world system، the dynamics of expansion of early Mesopotamian civilizations. Chicago.

24 . Algaze،G(2001). Initial social complexity in Southwestern Asia .The Mesopotamia advantage. Current Anthropology،Vol،42.

25 . Buringh،P(1957). Living conditions in the lower Mesopotamia Plain in Ancient Times.Sumer،Vol،13

26 . Calvet، Y (19851986-). The new deep sounding X 36 at tell El Oueili. Sumer ،Vol.44،No.1.

27 . Childe، G(1935). New light on the most ancient East .London.

28 . Crawford، H(2015). Ur The City of the Moon God. London.

29 . Diakonoff، I . M(1991). Early Antiquity. Chicago

30 . Finegan، J (1959). light from the ancient past. London.

31 . Green،M.W(1975). Eridu in Sumerian Literature. Chicago.

32 . Huot، J.L(2000). Ubaidian Villages of lower Mesopotamia. Chicago

33 . Jacobsen،Th(1958).The Diyala Basin Archaeological Project .Sumer،Vol،14،No،2.

34 . Jasim،S(1989). Structure and Function in an Ubaid Village.(In). Henrickson،E.F and Thuesen،I.(ed). Upon this Foundation the Ubaid reconsidered. Copenhagen.

35 . Jasim، S(1983). Excavations at tell Abada، Preliminary report. IRAQ،Vol،45، p،2

36 . Kubba،S(1990). The Ubaid period: Evidence of Architectural planning and the use of a standard unit of measurement (the Ubaid Cubit) in Mesopotamia. Paleorint،Vol،16،No،1.

37 . LIoyed،S & Safar،F(1943). Tell Uqair: Excavations by the Iraq Government Directorate of Antiquates in 19401941-. J.N.E.S،Vol،2.

38 . LIoyed ،S(1960). Ur-al ‹Ubaid، ‹Uqair and Eridu. An Interpretation of Some Evidence from the Flood-Pit. Iraq ،Vol، 22.

39 . Matthews، R(2000). The Early Prehistory of Mesopotamia.500،000 to 4،500 B.C. Berpols، Turnhout.

40 . Nissen،H.J(1972).The City wall of Uruk.(In). Ucko،P.J.(ed). Man، Settlement and urbanism. London.

41 . Nissen، H،J(1988).The early history of the near east 90002000- B.C. Chicago& London.

42 . Nissen،H.J(1989).The Ubaid period in the context of the Early history of the Near East.(In). Henrickson،E.F and Thuesen،I.(ed). Upon this Foundation the Ubaid reconsidered. Copenhagen.

43 . Oates،J(1993).Trade and Power in fifth and fourth Millennia B.C: New evidence from Northern Mesopotamia. World Archaeology ،Vol، 24.

44 . Redman ،C.L(1978). The Rise of Civilization: from Early farmers to Urban Society in the Ancient Near East. USA.

45 . Roaf،M(1984). Ubaid Houses and Temples.Sumer،Vol،43.

46 . Roaf،M (1984). Social Organization and Social Activities at Tell Madhhur.(In). Henrickson،E.F(ed).Upon this foundation-the Ubaid reconsidered .Copenhagen.

47 . Pournelle، J.R(2013).Physical Geography of the Sumerian world.U.S.A.

48 . Safar، F & Mustafa، M & Lloyed، S (1981). Eridu. Baghdad.

49 . Stein،G(1994). Economy، Ritual، and power in Ubaid Mesopotamia.(In).Stein،G and Rothman،M.S(ed).Chiefdoms and early states in the Near East .The Organizational Dynamics of complexity . Madison.

50 . Sjoberg،G(1960).The preindustrial City: Past and present . New York.

51 . Stronach،D(1961). Excavations at Ras al ‹Amiya. Iraq،Vol، 23،No،2.

52 . Zarins ،J (1992). The Early Settlement of Southern Mesopotamia: A Review of Recent Historical ،Geological، and Archaeological Research. Journal of the American Oriental society،Vol،112.

(4)
السومريون... العصر الذهبي
عصر السلالات المبكرة

4-1 التسمية

يشكل عصر السلالات المبكرة بأدواره الثلاثة عصراً ذهبياً للأقوام السومرية، وهو يشغل المدة من 2900 - 2350 ق.م. وسمي عصر السلالات المبكرة نتيجة ظهور حكّام مستقلين أداروا شؤون دويلات المدن في بلاد الرافدين، وتؤشر هذه التسمية الجانب السياسي، وأطلق عليه عصر دويلات المدن (City-State)، كون السمة الأساسية في التنظيمات السياسية كانت دولة المدينة، وهي مؤسسة سياسية غير معروفة في الزمن المبكر، وكانت كل دويلة تضم مدينة، وأحياناً مدن عدة مع الأراضي التي تحيط بها، ومنها المدن والقرى التابعة، وتؤشر هذه التسمية نوعية الحكم.

4-2. الاستيطان في عصر السلالات المبكرة

شهدت المستوطنات في هذا العصر نمواً جوهرياً من ناحية الحجم والعدد لكنها ظلت إلى حد كبير ضمن المنطقة التي تم استيطانها في العصور السابقة، أي أن حدود مناطق الاستيطان الرئيسة في الجنوب ظلت كما هي من دون أن تتغير إلا قليلاً عن المراحل

الأقـدم (الخريطـة: رقـم 6). وقـد زادت مسـاحة المسـتوطن بشـكل كبـير في وسـط بـلاد الرافديـن إلى الشـمال مـن مدينـة الـوركاء طـوال عـصر السـلالات المبكـرة حتـى مـع انخفـاض عـدد المسـتوطنات. ويمكـن أن يفـسر هـذا الميـل نحـو قلـة عـدد المسـتوطنات، مـع كـبر حجمهـا، عـلى أنـه ليـس فقـط ظاهـرة جـذب السـكان مـن الأراضي الرطبـة المجـاورة مبـاشرة، ولكـن لأن الجـزء المـرئي مـن المواقـع البـارزة في هـذه المنطقـة أصبـح غـير مـرئي تقريبـاً، إذ دفـن تحـت الرواسـب غـير الممسـوحة عـلى طـول شـط الغـراف. في حـين ثبُـت حجـم بعـض المـدن المسـتقرة في أثنـاء مـدة الانخفـاض في عـدد السـكان الـذي لوحـظ في السـهل الشـمالي كـما هـو الحـال مـع مدينـة نيبـور التـي ظـل حجمهـا مسـتقراً إلى حـد مـا، وربمـا يعـود هـذا الأمـر إلى وظيفـة المدينـة الخاصـة كمركـز دينـي؛ فقـد كانـت مسـاحتها بحلـول نهايـة عـصر السـلالات المبكـرة تقـدر بنحـو50 هكتـار، في حـين كانـت مسـتوطنة أبـو الصلابيـخ في الشـمال الغـربي بمسـاحة تقـدر بنحـو 25 هكتـار.

تقـع أغلـب المسـتوطنات في عـصر السـلالات المبكـرة المتأخـر عـلى الطـرق الرئيسـة مـما يؤكـد الأهميـة البالغـة للوصـول إلى الميـاه لأغـراض الـري، ويبـدو أن القنـوات المتفرعـة مـن نهـر الفـرات هـي الأكـثر اكتظاظـاً بالمسـتوطنات والسـكان كـما في مـدن أومّـا وأدب. ويلاحـظ أن مدينـة الـوركاء فقـدت تفوقهـا السـابق، وظهـرت مـدن رئيسـة أخـرى مثـل: لارسـا، وبادتبـيرا في الطـرف الجنـوبي مـن السـهل الرسـوبي. ويقـدر آدمـز مـا نسـبته 78 بالمائـة مـن السـكان في هـذا العـصر كانـوا يعيشـون في مسـتوطنات تزيـد مسـاحتها عـن 10 هكتـار.

كانـت المـدن الرئيسـة في أواخـر عـصر السـلالات المبكـرة كبـيرة ومأهولـة بالسـكان. وربمـا كانـت لگـش هـي الأكـبر بـين المـدن، إذ بلغـت مسـاحة الاسـتيطان فيهـا بحـدود 500 هكتـار، في حـين بلغـت مسـاحة منافسـتها أومّـا نحـو 175-200 هكتـاراً. وكانـت معظـم المراكـز الحضريـة صغـيرة، ومـع ذلـك، فـإن شروبـاك كانـت بحـدود 100 هكتار. ومـع الـثروة المميـزة لعائلتهـا الملكيـة إلا أن مسـاحة أور لم تتجـاوز 50 هكتـاراً. ويبـدو أن هنـاك علاقـة عكسـية بـين النـزاع المسـتمر والاسـتقرار لذلـك فـإن مـا ندعـوه عـصر دويـلات المـدن كان مرحلـة غـير مسـتقرة لان نسـبة قليلـة مـن السـكان شـعرت بالأمـن بمـا مكنهـا مـن الاسـتقرار في الأريـاف خـارج أسـوار المـدن.

4-3. الحالة الاقتصادية في عصر السلالات المبكرة

شـكلت الزراعـة المصـدر الرئيـس للمعيشـة لسـكان الجنـوب الرافدينـي، فقـد مارسـها عـدد كبـير مـن سـكان المسـتوطنات، فضـلاً عـن الفلاحـين في القـرى الإنتـاج الزراعـي. واعتمـدت الزراعـة إلى حـد كبـيراً عـلى الـري، وهـو مـا شـكل مرتكـزاً حاسـماً في تحديـد أنمـاط الاسـتيطان واسـتعمال الأراضي. فقـد حفـر عـدد كبـير مـن القنـوات الجديـدة لدعـم المسـتوطنات الجديـدة، وزرعـت أراضٍ جديـدة عـلى نحـو كثيـف.

وبقـي الرعـي أحـد المـوارد الاقتصاديـة المهمـة في هـذه المنطقـة، ولا سـيما المـواشي والأغنـام والماعـز، وقـد احتفظـت المعابـد بأعـداد كبـيرة منهـا، فضـلاً عـن امتـلاك الفلاحـين والمزارعـين أعـداد أقـل منهـا. وأمتلـك البـدو الرحـل وشـبه الذيـن يقيمـون عـلى أطـراف المـدن أعـداد

من الماشية استعملت لأغراض متنوعة. وشكل الصيد البري والمائي مصدراً آخراً لسكان المستوطنات، ومارسوا الصناعات والحرف التي ترتبط بالزراعة وتربية الحيوانات مثل: المنسوجات، والجلود، وصناعة الألبان. وقد شكلت صناعة المنسوجات أهم الصادرات على وفق ما جاء في النصوص الكتابية، وقد عثر على ورش صناعتها في المعابد والقصور. ومارس سكان المستوطنات التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية، إذ حفلت النصوص الكتابية بإشارات كثيرة عن مزاولة السكان عملية تبادل السلع والمنتجات.

4-4. الحالة السياسية في عصر السلالات المبكرة

كانت القسم الجنوبي من بلاد الرافدين بحلول منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد موطناً لعدد من دويلات المدن المتناحرة إلى حد ما، وقد ارتبط سكان هذه المدن ارتباطاً وثيقاً بثقافتهم المادية المشتركة وجوارهم، وإن تمتعوا باستقلاليتهم السياسية. وغالباً ما كان يوصف حكّام هذه الدول اليوم بأنهم ملوك، ولكن هناك عدداً من الألقاب في السومرية، مثل: «أين» و«أنسي» و«باتيسي» و«سانكا» و «لوگال»، والتي لا تعرف دلالتها على وجه الدقة. ويظهر لقب واحد يبدو أن له أهمية خاصة. ويبدو أن لقب ملك كيش قد احتفظ به الحكّام الذين تمكنوا لمدة وجيزة من إخضاع مدينة واحدة أو أكثر من جيرانهم، وهو يلمح إلى نوع من سيادة أوسع. فقد حمل (ميسكالامدوگ)، أحد ملوك أور هذا اللقب، فضلاً عن لقب ملك أور، ولكن بعد وفاته يبدو أن أور فقدت

أهميتها السياسية ولم يعد خلفاؤه المباشرين يدعون بهذا اللقب الأوسع. لقد ساد نظام (دويلات-المدن) في معظم عصر السلالات المبكرة، وهو عبارة عن وحدات وأنظمة سياسية تتمتع بحكم ذاتي قائم حول مدينة رئيسة واحدة. ويبدو أن أول المحاولات لتشكيل هذا النوع من الدويلات جاءت نتيجة تحطيم نظام العشائر، إذ قسم أفراد كل عشيرة إلى طبقات، منها طبقة ذات امتيازات وأخرى أقل منها، وقسمت الطبقة الأخيرة إلى طبقتين مهنيتين، وقد أسهم هذا التقسيم إلى ايجاد حالة من النزاع والصراع بينهما. لقد شكل القضاء على استقلالية العشيرة كأساس للنظام الاجتماعي في المجتمع وعلى وحدتها وتماسكها المنطلق لتكوين هذا النظام. إن إحدى المهام الرئيسة لهذا النظام السياسي هو القدرة الواضحة على ممارسة التجارة الخارجية، إذ لم تستطع المجموعات الصغيرة توفير الحماية للطرق التجارية. لذا قامت هذه المؤسسة الجديدة بهذا الدور، فهي المهيمنة على طرق المواصلات النهرية والبرية، وهي مالكة وسائط النقل بأنواعها المختلفة. وأدت أطماع هذا النظام إلى قيام النزاعات والحرب كما سنشير في مواضع أُخر.

ويستعمل مصطلح (دويلة المدينة) على نحو كثير للدلالة على وحدة سياسية تتألف من مدينة مركزية تحيط بها مناطق ريفية قريبة قوامها حقول زراعية ومراعي، وربما عدد قليل من القرى التابعة، وتشبه في كثير من الأحيان نموذج دويلات المدن اليونانية. وتكشف أنماط الاستيطان والوثائق المدونة أن دويلة المدينة كانت واحدة من عدد من أشكال التنظيم السياسي الممكنة.

فقد كانت دويلة لگش مثلاً كياناً سياسياً مؤلفاً من ثلاث مدن وبعض المستوطنات المرتبطة بها، إذ أنها تضم فضلاً عن مدينة لگش مدن گيرسو ونينا، وهما مدينتان كبيرتان في حد ذاتهما، فقد بلغت مساحة الأولى نحو 370 هكتار، والثانية نحو 67 هكتار على وفق صور الأقمار الصناعية. وكان الكيان السياسي في كيش يتمتع بسيطرة سياسية شملت أنحاء سومر إلى درجة أنها كانت تقوم بتعيين وتثبيت الحدود بين دويلتي أومّا ولگش كما سنشير في موضع آخر إلى تفاصيل هذا النزاع. وإذا ما أُتيحت الفرصة لحكّام دويلات المدن فإنهم كانوا يفرضون حكمهم على المدن المستقلة عنهم. وقد استمر اثنان من هذه الأنظمة السياسية في نهاية الألف الثالث ق.م واحد في أكد (السلالة الأكدية)، وآخر في أور (سلالة أور الثالثة) لأجيال عدة.

ويبدو أن دويلات المدن في عصر السلالات المبكرة كانت محكومة من محافظين أو أمراء ربما بمساعدة نوع من التجمع للمواطنين. وكان للحاكم واجبات عسكرية وقضائية ودينية، ويبدو أن سلطة المعبد أقل مما كانت عليه في عصر الوركاء السابق، مع أن المعبد استمر في كونه مالكاً رئيساً للأراضي وجزءاً حيوياً من الاقتصاد، حتى أن بعض الباحثين أطلق على هذه المؤسسة اسم دولة المعبد. ويبدو أن الجوانب الدنيوية والدينية للدولة كانت في نوع من التوازن.

وكان النظام السياسي في هذه المرحلة نظاماً متطوراً وليس بدائياً، وتخضع تصرفات الملك أو الحاكم أحياناً على الأقل لرأي مجلس من الشيوخ والكبار في المجتمع، أو حتى لمجموعة من

الرجال الأحرار. وقد ارتبطت الملكية بشكل مباشر بالإله الرئيس لكل مدينة. إذ من المعروف أن الآلهة خلقت الإنسان بهيئة بدائية، وعملت على منحه الحكمة والعلم ليصبح قادراً على تسنم المنصب الإلهي المهم وهو الملكية. إذ تمتلك الآلهة شارات الملكية وتمنح لراعٍ من البشر. وكانت الآلهة تحكم مدن بلاد الرافدين قبل الطوفان، وتذكر أسطورة الطوفان السومرية صراحة إن الإله أنكي وآلهة أخرى كانوا يحكمون مدن أريدو، وبادتبيرا، ولاراك، وسبار، وشروباك على التعاقب.

وبما أن معلوماتنا عن العلاقات السياسية مستمدة بالدرجة الأساس من النصوص الكتابية لذلك فأنها محددة بتاريخ أقدم المدونات، أي نحو 2600 ق.م، إذ ظهرت الكتابة على نطاق واسع. وتميز عصر السلالات المبكرة بالصراع بين دويلات المدن، وقد انتهى هذا الصراع في بعض الأحيان بتدمير مدن الأعداء والسيطرة عليها. ولم يقتصر الصراع على مدن بلاد الرافدين بل شمل كذلك دويلات المدن الأخرى؛ مثل بلاد عيلام لعدم وجود حواجز طبيعية وسياسية، أو ربما أنتج الصراع بين دويلات المدن في السهل الرسوبي على فرض السيادة والهيمنة على هذه المنطقة حالة ضعف كبيرة أدت بالضرورة إلى نقل الملكية إلى مدن خارج منطقة السهل الرسوبي كما في حالة دويلة آوان.

وقد جرت محاولات عدة في هذا العصر لتوحيد دويلات المدن في كيان سياسي واحد، فقد سعى الملك لوگال-آنيموندو أحد ملوك مدينة أدب أن يلم شمل دويلات المدن هذه في دولة واحدة،

وقد حكم ما يقرب من التسعين سنة وامتدت دولته إلى مدن إيران شرقاً وإلى البحر المتوسط غرباً، ومن جبال طوروس شمالاً إلى الخليج جنوباً، ولقب نفسه (ملك الجهات الأربع للعالم)، وذكرت جداول الملوك السومرية أنه: (جعل البلدان الأجنبية تدفع له جزية دائمة)، وعمل على أن يعيد إلى بلاد سومر(مجدها القديم). وحاول مسيليم ملك كيش السير على نهجه في السيطرة والتوسع، ومع أنه لقب نفسه بلقب (ملك كيش)، ولكن يبدو أنه لم يسيطر على أغلب مدن الجنوب الرافديني. فقد كانت دويلات المدن السومرية هذه كانت تتميز بشخصيتها الفردية ومقاومتها الشديدة أي شكل من السيطرة السياسية المركزية.

ويعد ثبت الملوك أو ما يعرف بجداول الملوك السومريين من أهم الوثائق التي يمكن أن نستقرأ منها الوضع السياسي في هذه المرحلة. وقد كتبت هذه الجداول باللغة السومرية والخط المسماري، وتحتوي على معلومات مختصرة عن بعض الحكّام مثل مدد حكمهم وأسماء آبائهم. لسوء الحظ، فأن تأريخيتها غير مؤكدة، وهناك من يذهب بعيداً ويرى أنها محض خيال. وقد كُتبت بعد أكثر من ألف عام من الأحداث الأقدم التي سجلتها، وإن عدداً من الملوك الأوائل الذين حكموا قبل الطوفان، وقليل من الذين جاءوا بعده، كانوا قد أعطوا مدداً طويلة بما يبعث على السخرية، ومن ثم تبرز علامات استفهام مباشرة في أذهاننا. ويبدو أنها كتبت كقطعة دعاية لسلالة إيسن الحاكمة التي اغتصبت عرش تلك المدينة في أوائل الألف الثاني ق.م، وكانت تحاول إثبات

شرعيتها عن طريق وضع نفسها في تقليد موقر لقائمة الملوك. وقد كان مثل هذا الاستعمال الصارخ للدعاية سبباً آخر للحذر، فضلاً عن حقيقة أن بعض الحكّام المعروفين من كتابتهم لم يذكروا في القائمة، وهو ما يشكل صعوبة أخرى. فقد استبعدت سلالة أور- نانشة في لگش التي أثبتت كتاباتهم أنهم حكموا تلك المدينة لتسعة أجيال من منتصف الألف الثالث ق.م، على سبيل المثال. ويبدو أن التفسير الأكثر ترجيحاً لهذا الإغفال، أن أيسن، حين كُتبت القائمة، كانت متورطة في نزاع مع لگش، وترغب في تشويه ادعاء الأخيرة بأنها حكمت بنجاح. وهناك مشكلة أخرى تتعلق بحكّام المدن المختلفة الذين نعرف من كتاباتهم أنهم كانوا متعاصرين، وكانوا يظهرون على نحو متعاقب في قائمة الملوك. وبحلول منتصف الألف الثالث ق.م، أكد التقليد على أن الملكية– على وفق القائمة، نزلت من السماء كهدية للبشرية من الآلهة- لا يمكن أن تحتفظ بها سوى مدينة واحدة في كل مرة. وهذا يعني أن مدينة واحدة فقط يمكن أن تحكم بلاد سومر في هذه المرة. وبسبب هذا الاعتقاد، كان لابد من إظهار الحكّام المعاصرين لدويلات المدن في السهل على أنهم يتبعون بعضهم بعضاً ليتم التوافق مع هذا التقليد. كما فرضت الآلهة بأنه لا يمكن لأي مدينة أن تحكم إلى الأبد، وكذلك لا يمكن لأي سلالة أن تحكم إلى الأبد أيضاً، وأن الملوكية يجب أن تمرر على نحو حتمي من مدينة إلى أخرى. ويتم تسجيل نهاية كل سلالة في قائمة الملوك بالصيغة الآتية: المدينة (X) ضربت بالأسلحة، وتم نقل الملكية إلى المدينة (Y).

وتذكر هذه الجداول أسماء ومدد حكم الملوك الذين حكموا القسم الجنوبي منذ أقدم الازمنة وحتى زمن كتابتها، وقد عدت حادثة الطوفان حداً فاصلاً بين سلالات قبل الطوفان وما بعده. وتشير هذه الوثيقة إلى أن الملوكية قد نزلت من السماء بعد الطوفان في مدينة كيش (تل الأُحيمر). وتقع هذه المدينة على نهر الفرات في محافظة بابل، أي في الطرف الشمالي من أرض سومر، وأشارت إلى أن هذه المدينة حكم فيها أكثر من عشرين ملكاً حكموا لمدد طويلة مبالغ فيها. لقد كانت هذه المدينة هي مقر الملكية، القيادة الزمنية. ويعد الملك مسيليم (من نحو 2600 ق.م) من أقدم الملوك السومريين الذين نعرف أخبارهم، وإن لم يرد اسمه في جداول الملوك السومرية، وقد حمل صولجان مصنوع من حجر الكلس الأبيض بارتفاع يقرب من 20 سم عثر عليه في مدينة لگش، وقد زين برسوم أُسود عدة، مع ذكر اسمه مع لقب ملكي، كما عثر في المدينة نفسها على رأس رمح لأحد ملوك كيش نقش عليه فقط لقب (لوگال) (الشكل: رقم 1).

وكان الملك أيتانا من أبرز ملوك هذه السلالة، والذي حكم بحسب إثبات الملوك السومريين نحو 2750 ق.م، وهو رابع ملوك ما بعد الطوفان في مدينة كيش، وقد حكم مدة 635 سنة. وأشار ثبت الملوك له بعبارة: (هو الذي رسخ حكم كل البلدان) التي ربما تعني ضمنياً أنه حاول فرض سلطته على كل مدن الجنوب الرافديني، وربما يسجل له أنه مؤسس أول إمبراطورية في التاريخ كما يذكر السيد صاموئيل كريمر. وتذكر قصة أسطورية وردت في هذه الجداول أنه كان:

(رجلاً صعد إلى السماء) (الشكل: رقم 2). وتشير نصوص كتابية متأخرة أنه كان تقياً ورعاً لكنه شارف على الشيخوخة وزوجه لا تلد فعمل على نيل عطف الآلهة لتمنحه وريثاً للعرش، وكان يصلي في كل يوم ويقدم قرابينه إلى الآلهة من أحسن مواشيه لتنظر إليه بعين العطف وترفع عنه العقم، ويبلغه نبأ عن نبتة مزروعة في السماء تُشفِي من العقم، فيدعو الإله أوتو(شمش) أن يجعل هذه النبتة في متناول يده. فيستجيب له الإله ويدله على مكان نسر حبيس ومريض، ويقوم بتحريره واشفاءه وتدريبه من جديد على الطيران لقاء أن يطير به إلى السماء (الرابعة) حيث نبتة الإخصاب التي تتعهدها الإلهة أينانا (عشتار) سيدة الحب والولادة بالرعاية والسقاية ومنها إلى آن في السماء (السابعة) كي يمنحه الإذن والبركة والخلود.

وتنتهي الأسطورة التي تحمل هذه التفاصيل التي أوردناها أعلاه بوصول أيتانا إلى السماء السابعة، إذ يلج فيها عبر بوابة أنليل وأيّا وليسجد بين يدي كبير مجمع الالهة آن الذي يقرر منحه عشبة الحياة التي منحت زوجه المقدرة على انجاب وريث له (ويدعى بحسب قائمة الملوك السومريين بليخ).

ونعرف من تفاصيل كتابية لاحقة أنه لم يستقر في السماء بل سكن في العالم السفلي كما يرد ذلك في اللوح السابع من ملحمة گلگامش، وهو المكان الذي يجب أن ينزل إليه في النهاية كل اللذين مصيرهم الموت مهما عظمت انجازاتهم.

ويبدو أن حكم آخر ملك لسلالة كيش وهو الملك (آكا أو آگا)

يتعاصر مع ظهور سلالة الوركاء الأولى التي كان گلگامش خامس ملوكها، والذي دخل في الحرب مع سلالة كيش وملكها (آكا)، كما سنشير إلى هذا الموضوع عند الحديث عن البطل السومري گلگامش.

وتظهر في هذه الحقبة بعد سلالة الوركاء الأولى سلالة جديدة هي سلالة أور الأولى في مدينة أور، وحُكمت من أربعة ملوك حكموا ما يقرب من 177 سنة. ويبدو أن مؤسسها الملك (ميس- انيبادا) كان معاصراً لملك الوركاء گلگامش وملك كيش آكا، وربما يكون هو من وضع نهاية سلالة كيش وحاكمها آكا، وترجع إلى زمن هذه السلالة المقبرة الملكية الشهيرة التي عثر عليها في مدينة أور كما سنشير عند الحديث عن هذه المدينة الشهيرة. إذ عثر على اسم الملك المؤسس وابنه (أنيبادا) على الأختام وطبعات الأختام من طبقة تغطي بقايا المقبرة الملكية. وأطلق الملك (ميس- انيبادا) المؤسس الرسمي للسلالة الأولى في أور على نفسه أيضاً اسم ملك كيش- وهو لقب يوحي على ما يبدو إلى أن نفوذه امتد إلى ما بعد أور نفسها.

وربما حصل مؤسس هذه السلالة على التخويل الديني عن طريق السيطرة على مدينة نفر المقدسة، إذ يذكر أنه شيد بناية في محيط معبد الإله أنليل في أواخر حكمه، وعمل أبنه وخليفته (انيبادا) على إعادة بناء معبد «تُمّال» الخاصة بالإلهة الأم ننليل قرينة الإله أنليل.

ونالت دويلة مدينة لگش بقيادة ملكها اريشكيگال الاستقلال عن هيمنة كيش، ولكن حكمه لم يدم طويلاً، إذ أن سلالة جديدة ظهرت في المدينة ذاتها، وأغتصب ملكها المدعو أور-نانشي الحكم

ونصب نفسه ملكاً لهذه الدويلة من نحو 2494 ق.م. وتعد هذه السلالة التي تعرف بسلالة لگش الأولى من أهم السلالات التي حكمت في بلاد الرافدين في عصر السلالات المبكرة. وأسقطت هذه السلالة من قائمة الملوك، ولكن من الممكن إعادة تشكيلها من كتابات الحكّام أنفسهم. فقد كان الحاكم الثالث لهذه السلالة (أياناتم) محارباً ناجحاً، وهو الذي هزم أوما جارة لگش، إذ كان هناك عداء طويل الأمد على امتداد منطقة متنازع عليها. وقد وثق هذا النصر على نص كتابي، وصور على مسلّة النسور الشهيرة كما سنشير في الصفحات القادمة. وكان من بين أبرز حكامها:

اين- خين- كَال، كورسار.

أور-نانشة.

آكور-گال.

أياناتم.

أيناناتم الأول.

أنتمينا.

أيناناتم الثاني.

أيتنارزي.

لوگالندا.

أوركاجينا.

ويعد الملك أوركاجينا آخر حكام هذه السلالة، ويكتب اسمه أحياناً (أوروانمكَينا). وقد حمل هؤلاء الحكام لقب أنسي الذي يعني الحاكم أو الأمير أو حاكم المدينة المستقلة. ويعتقد أن نسب هذه السلالة يعود إلى شخصية تعرف بـ «گونيدو» جاء ذكرها في نصوص الملك أور-نانشة. وتعاصر هذه السلالة عدد من السلالات الملكية في السهل الرسوبي مثل: الوركاء، وكيش، وأومّا.

ولا يعرف الكثير عن أصل الملك الأول أور-نانشة المؤسس، ويبدو أنه لم يكن من عائلة ملكية، إذ يذكر أن الإلهة (نانشة) هي من اختارته للملوكية، ويذكر في أحد النصوص أنه من أصل جزري من المنطقة الواقعة إلى الغرب من بلاد سومر. وحكم من نحو (2494 - 2465 ق.م)، ومع أنه يذكر في كتاباته اسم والده (گونيدو)، وجده (كورسار)، ولكنه لم يشر إلى أنهما حكما قبله، إلا أن نصوصاً أخرى تذكر أن هناك ملوكاً آخرين سبقوه في الحكم، إذ عثر على نص مدون يعود في تاريخه تدوينه إلى زمن الملك (مسيليم) حاكم مدينة (كيش) ورد فيه اسم (أين- خين- گال) على أنه ملك سلالة (لگش)، كما أن المعاهدة ترجع زمن النزاع بين دويلتي (أومّا ولگش) إلى زمن الملك (مسيليم) الذي كان الحكم في ذلك النزاع، وتاريخ حكم هذا الملك يسبق تاريخ حكم (أور نانشة) بجيلين على الأقل. ويبدو أن المدينة كانت مدمرة قبل حكم الملك أور- نانشة فعمل على إعادة بنائها، إذ جاء في النصوص أنه بنى معابد للآلهة: (نانشة، وننگرسو، وأنكي، وننار). ويبدو أنه قام ببعض الأعمال الحربية فيذكر في نصوصه أنه سيطر على عدد من البلدان الأجنبية التي تقع وراء

الخليج: (إن سفن دلمون جلبت خشباً كإتاوة من بلدان أجنبية).
ويبدو أنه قام بأعمال واسعة منذ بداية تسلمه الحكم، فقد عمل على بناء وتقوية أسوار المدينة، وحفر الجداول وشق القنوات، وبناء وتجديد بعض المعابد مثل معبد ننگرسو:

(أور نانشة أمير لگش،

ابن كورسار،

بنى معبد الإله ننگرسو،

ومعبد للإلهة نانشة)....

وأمر بصنع تماثيل عدة لمختلف الآلهة. وصور على بعض الأعمال الفنية منها اللوح المعروف باسمه، ويظهر فيه الملك وقد نقش بحجم كبير، وهو واقف بالجانب الأيسر من اللوحة، وخلفه خادمه الذي يحمل على رأسه سلّة تستعمل في البناء لحمل المواد، وأمامه زوجته وأبنائه، ويرمز المشهد بشكل عام إلى إسهام الملك في بناء المعبد الذي يكرسه للإله ننگرسو. ويظهر الملك نفسه في المشهد الثاني من اللوح نفسه وهو جالس وبيده كأس للاحتفال ببناء المعبد ومعه أسرته تشاركه الاحتفال، وهو حليق الشعر، واللحية، ويرتدي وزرة، وتذكر الكتابة المسمارية اسمه، وأفراد أسرته (الشكل: رقم 3).

وتولى الحكم بعده ابنه آكور-گال الذي يبدو أنه واجه في بداية عهده صعوبات جمة منها الصراع مع الجارة أومّا مثيرة المشاكل لمدينة لگش كما أشرنا في مواضع سابقة. ويعد الملك أياناتم (2454-

2425 ق.م) مـن أشـهر ملـوك سـلالة لگـش الأولى، ولقـب نفسـه بلقـب (ملـك كيـش) الـذي يشـير إلى السـيادة عـلى بـلاد سـومر. وتمكـن في مـدة حكمـه مـن أن يحقـق النـصر عـلى مدينـة (أومّـا)، الجـارة والعـدو اللـدود، والتـي تمكنـت في زمـن ملكهـا (أوش) مـن السـيطرة عـلى سـهل (گو-أيدانـا)، ونقـض المعاهـدة وإزالـة النصـب التـي أقامهـا المـــــــلك مسـيليم ملـك كيـش عـلى الحـدود بـين المدينتـين.

وكانــت قصــة الــصراع بــين مدينــي أومّــا ولگــش أبــرز مــا ميــز هــذه الحقبـة، وقـد تـم توثيقهـا في إحـدى الوثائـق مـن عهـد الملـك أنتمينـا (2405-2400 ق.م). تبـدأ هـذه الوثيقـة بوصـف عمليـة إعـادة حفر(خنـدق) الحـدود بـين أُومّـا ولگـش الـذي كان قـد دمـر في أثنـاء الـصراع بـين المدينتـين: (بكلمـة أنليـل الثابتـة، ملـك البلـدان، أبـو الآلهـة، وضـع ننگرسـو وشـارا حـدوداً لأراضيهـم. وقـد نصـب مسـيليم، ملـك كيـش، بأمـر مـن إلهـه القـاضي، [علامـة حدوديـة] في مزرعـة ذلك الحقـل. أوش، حاكـم أومّـا، وضـع خطـة لهـا. وقـرر تحطيمهـا إلى قطـع، وتقـدم في سـهل لگـش. وشـن ننگرسـو، البطـل «أو» بأمـره العـادل، الحـرب عـلى أومّـا. بأمـر مـن إنليـل ، أوقعتهـم شـبكته العظيمـة في شرك. وأقـام تلـة دفنهـم في السـهل في ذلـك المـكان).

ويمكـن أن تـدرج هـذه الوثيقـة المهمـة تحـت مسـمى الحوليـات الملكيـة (Annals) أي ذكـر الأحـداث عـام بعـد عـام عنـد تدويـن أخبـار الملـوك، إذ اسـتعرض أنتمينـا في نصـه هـذا المعـارك التـي دارت بـين دولتـي لگـش وأُومّـا. فيصـف فيهـا أحـداث سـبقت عهـده بمـا لا يقـل عـن أربعـة أجيـال. وقـد احتـوى النـص عـلى مقدمـة شـملت

تاريـخ الـصراع والحـوادث التـي وقعـت بـين المدينتـين منـذ الأزمـان التـي اسـتطاعت أن تصـل إلى حوادثهـا السـجلات المتيـسرة لـه، أي منـذ عهـد مسـيليم حاكـم كيـش (2550 ق.م).

تقـع المدينـة الأخـرى (أُوما) إلى الشـمال مـن لگـش عـلى الجانـب الثـاني مـن قنـاة (لُما-گيرنُـم). وبمـا أن جريـان شـط الحـي مـن الشـمال إلى الجنـوب فقـد تحكمـت هـذه المدينـة في السـيطرة عـلى مجـرى الماء، ومـن ثـم تمكنـت مـن التدخـل في تجهيـز مدينـة لگـش بالميـاه، وربمـا يكـون هـذا السـبب الرئيـس لقيـام الـصراع بـين المدينتـين في مناسـبات عـدة. وقـد زودتنـا النصـوص التـي سـجلت ظـروف تلـك الأحـداث بـأول المدونـات التاريخيـة المهمـة. وقبـل عـرض تفاصيـل هـذه الوثيقـة نشـير إلى أن الملـك أياناتـم (2454-2425 ق.م)، وهـو حفيـد الملـك أور- نانشـة، وعـم الملـك (أنتمينـا) دون أحـد نصوصـه عـلى منحوتـة حجريـة عرفـت باسـم مسـلة النسـور أو العقبـان التـي خلـد فيهـا انتصـاره عـلى مدينـة (أومـا). وسـميت بهـذا الاسـم لوجـود صـور لطيـور جارحـة مـن نسـور وعقبـان تنهـش جثـث القتـلى مـن الأعـداء الذيـن تركـوا في أرض المعركـة (الشـكل: رقـم4). وتـروي المسـلة التاريـخ الكامـل للنـزاع بالكلـمات وتصـور النـصر النهـائي الـذي وهبـه الإلـه بالصـور. وتقـدم لنـا المسـلّة صـورة عـن كيفيـة الاسـتعمال الفعـلي للأسـلحة التـي وجـدت في المقـبرة الملكيـة. وقـد عمـل النحـت مـن حجـر الكلـس ويبلـغ طولـه نحـو 180 سـم (70،9 بوصـة)، وعرضـه 139 سـم (51،2 بوصـة). وقسـم كل جانـب إلى حقـول: أربعـة عـلى جانـب، واثنـان عـلى الجانـب الآخـر. وربمـا أقيـم في مـكان عـام مثـل سـاحة المعبـد ليـدرك الجميـع قـوة (أياناتـم)،

وحقيقة أنه كان المفضل لدى الإله (ننگرسو)، إله المعركة وحامي لگش. ويظهر (ننگرسو) نفسه في الحقل العلوي على الجانب ذي الحقلين فقط، ويبدو أكبر بكثير من أي شخص آخر من أجل التأكيد على مكانته. كما شوهد هذا التقليد، على ما يسمى براية أور. اذ يمسك (ننگرسو) شبكة المعركة المفزعة في يده اليسرى، في حين تبرز رؤوس الرجال المهزومين من خيوط الشبكة. ويضرب أحد هذه الرؤوس البارزة بصولجان يمسكه بيده اليمنى. ولسوء الحظ، فإن بقية المسلّة غير مكتملة، ولكن يبدو أن (ننگرسو) يتبعه إله آخر، والراية تحمل صورة نسر برأس أسد (رمزه). ويمسك النسر بشبكة إله المعركة بمخلبيه كليهما. وقد تعرض الحقل السفلي لأضرار بالغة، إذ يمكن رؤية حلقة اللجام لمركبة المعركة فقط، وقد زينت بأسد يسبق برأس متوج لإله آخر. ويمكن رؤية حكاية الإنسان على الوجه الآخر من المسلّة، وربما كان قد قصد أن تُقرأ القصة من أعلى إلى أسفل. ويُظهر الحقل العلوي (أياناتم) يقود جنود مشاة مدججين بسلاح ثقيل إلى المعركة. ويمكن مطابقة أسلحتهم وتلك التي عند الملك في المقبرة الملكية في أور تماماً. فقد كانت خوذة الملك تصوير طبق الأصل للخوذة الذهبية التي وجدت في قبر (ميسكالامدوگ). وهناك كومة من رؤوس الجنود القتلى من الأعداء أمام الملك التي تخطفها النسور. وكان الحقل الثاني متشظياً على نحو أكبر، ولكنه يظهر الملك في عربته مسلحاً برمح طويل ويقود مجموعة من الجنود الذين يحملون رماحاً طويلة أيضاً. وترينا الكسرة الثالثة على ما يبدو مخلفات ما بعد

المعركـة، ركام مـن جثـث رتبـت بعنايـة، وغطيـت بالـتراب، في حـين قدمـت القرابـين بواسـطة شـخص كبـير لم يبـق منـه سـوى قـدم واحـدة، وقليـل مـن التنـورة. يفـترض أنـه (أناناتـم) نفسـه. وربمـا عنـد موتـه قـد دفـن هنـا، في حـين تبـدو جثـث الأعـداء التـي تظهـر في أعـلى هـذا الحقـل وقـد تركـت لرحمـة جامعـي القمامـة. وكان الحقـل الأسـفل هـو الأسـوء حفظـاً مـن بـين الجميـع، ولا يتـاح للرؤيـة سـوى رمـح طويـل مصـوب مبـاشرة إلى عـين في رأس الإنسـان. ولم يكتـف (أياناتـم) بإخضـاع أومّـا فحسـب، بـل اسـتمر في ادعـاء النـصر عـلى عـدد مـن دويـلات المـدن الأخـرى، بمـا في ذلـك أور والـوركاء، وأحـد جـيران أور.

وتحمـل الكتابـة قسـم ملـك (أومّـا) مـن أجـل التزامـه بالمعاهـدة، ومـع ادعـاء هـذا الملـك أنـه حقـق انتصـاراً باهـراً عـلى ملـك (أومّـا) إلا أنـه لم يمـض جيـل واحـد حتـى اسـتعرت الحـرب مـن جديـد بـين المدينتـين، إذ رفـض (أور- لومّـا) ملـك مدينـة (أومّـا) هـذه المعاهـدة المشـينة وقـام بتدمـير وتحطيـم مسـلة (مسـيليم) ملـك كيـش الوسـيط ومنظـم المعاهـدة، وحطـم الأبنيـة المقامـة عـلى الخنـدق الواقـع بـين المدينتـين، وجفـف الميـاه مـن أجـل العبـور والدخـول في أراضي لگـش: (قـام أور-لومـا، حاكـم أومّـا، بتجفيـف قنـاة ننگرسـو المحـاذي لقنـاة نينـا، ورمـى المسـلات في النـار، وحطمهـا إلى قطـع، ودمـر الامـاكان المقدسـة، مسـاكن الآلهـة، والأضرحـة الحاميـة، والأبنيـة التـي كانـت بـارزة كالجبـال، وعـبر قنـاة ننگرسـو الحدوديـة.....).

إن الإشـارة إلى (مسـيليم) ملـك كيـش ربمـا تـدل عـلى أنـه كان سـيداً

على بلاد سومر على الأقل من الناحية الإسمية، ويرى الباحث هاري ساكز: (أنه لم يكن ملكاً على كيش في مرحلة محاولتها السيطرة على بلاد سومر بحسب التسلسل التاريخي، ولعدم وجود اسمه في الجداول الملكية السومرية فمن المحتمل أنه كان ملكاً لدويلة تمكنت من السيطرة على بلاد أكد، ومن ثم منحها «أنليل» إله نفر اللقب المقدس «ملك كيش»).

وتشير النصوص الكتابية إلى أن الملك أياناتم الأول صد هجوم من مدينة عيلام، ومن ثم أخضع بعض مدنهم الحدودية وغنم منها ثروة كبيرة كرّسها لإعادة بناء أسوار مدينة لگش وترميم معبد «نينا = Nina» وتوسيعه. وعمل ملك عيلام إلى ايجاد تحالف مع مدن كيش وأكشاك وماري، ولكن الملك السومري تمكن من دحر هذا الحلف، ولقب نفسه: (مخضع كافة البلدان للإله ننگرسو).

وكان الخليفة الثاني لـ(إياناتم)، هو الملك (أيميتينا) أو(أنتيمينا)، وهو ملك محارب ايضاً، وقد ترك عدداً من الآثار التي توضح بالتفصيل غزواته. فقد عثر في أور على واحد من آثاره الأقل قتالية، وهو تمثال من دون رأس في الوقت الحالي، ويبدو أنه قد نصب عند بوابة منطقة المعبد في القرن السابع ق.م، حينما أصبح بالفعل أثراً قديماً. ومن المحتمل أنه كان قائماً في الأصل في معبد إله القمر. ومن المثير أن هذا التمثال عمل من الديوريت، وهو حجر أسود لامع صلب من المحتمل أن يكون قد جلب من إيران أو الجزيرة العربية. وقد أصبح مفضلاً للتماثيل الملكية في سلالة أكد اللاحقة. ويحتوي التمثال على كتابة على كتفه تفصل ما

يمكـن أن يكـون منحـة أرض لمعبـد، ولكنـه لا يذكـر أور عـلى وجـه التحديـد. وقـد نهـب التمثـال مـن متحـف العـراق بعـد أحـداث عـام 2003، ولكـن لحسـن الحـظ اسـتعاده الأمريكيـون في النهايـة مـن مسـتودع في بروكلـين وأعـادوه إلى العـراق.

وبالعـودة إلى نـص هـذا الملـك (أنتمينـا) الـذي ينتقـل إلى مرحلـة الـصراع بـين المدينتـين في مـدة الحـدث، إذ يـرد أن (أور-لومـا) ابـن الملـك (إينـاگالي)، والأخـير كان قـد هـزم مـن (أياناتـم)، يـرد أن الابـن قـد تنكـر للمعاهـدة وحطـم المسـلات وأزال الأنصـاب مـن الحـدود عـلى وفـق تعبـير نـص (أنتمينـا)، كـما أشرنـا، وقـد دخـل في منطقـة (گو-أدينـا= Gu-Edina)، وهــي كلمـة سـومرية ربمـا تعنـي (الأرض المحايـدة)، وعـبر الحـدود وغـزا لگـش إلا أن جيوشـها تصـدت لـه بقيـادة (أنتمينـا) لأن أبيـه الملـك كان طاعنـاً في السـن. وفجـأة يختفـي (أور- لومـا) مـن مـسرح الأحـداث، وربمـا يكـون قـد قـضي عليـه مـن (أنتمينـا) في هـذه الحـرب. وظهـر أحـد الأشـخاص، وهـو كاهـن يدعـى إيـل(iL) الـذي ربمـا كان رئيـس معبـد في مدينـة مجـاورة هـي (زبلاتـوم) التـي يعتقـد أنهـا هـي مدينـة «إبزيـخ» عـلى وفـق مـا جـاء في إحـدى الآجـرات المختومـة باسـم المدينـة مـن زمـن حمـورابي، وربمـا يكـون هـذا الشـخص عـلى وفـق روايـة أخـرى ابـن أخ (أنتمينـا)، وقـد نصبـه عـلى مدينـة (أومّـا)، أو أنـه شـخص مـن مدينـة أخـرى كان يراقـب الأحـداث وأسـتغل فرصـة الحـرب والـصراع ونصـب نفسـه عـلى المدينـة. ويبـدو أنـه قـام بالإعـمال ذاتهـا التـي قـام بهـا أسـلافه مـن تجفيـف لقنـاة ننگرسـو، وأغـراق الحقـول الزراعيـة، ولكـن الملـك

(أنتمينـا)، تصـدى لـه، ثـم أبرمـا معاهـدة أعيـدت بموجبهـا حقـوق لگـش، وثبـت الحـدود القديمـة بـين المدينتـين المتنازعتـين. وكان (أنتمينـا) آخـر ملـك قـوي مـن سـلالة لگـش أعقبـه ثلاثـة حـكّام لم يسـتمروا طويـلاً؛ هـما أينانـاتـم الثـاني (2375-2365 ق.م.)، وإنتـارزي (2364-2359ق.م.)، الـذي صـد هجـوم مـن مجموعـة مـن رجـال عيـلام كـما جـاء في أحـد الرسـائل: (إلى «اينتـارزي»، «سـانكا» كاهـن الإلـه «ننگرسـو» قـل: هـذا مـا يقولـه: «لوإينـا» [سـانكا] قاتـل سـتمائة عيلامـي كانـوا يقومـون بنقـل إتـاوة (بضائـع منقولـة) مـن لگـش إلى عيـلام. لقـد دحـر العيلاميـين وأسر منهـم نحـو 520 عيلاميـاً). وجـاء مـن بعـده لوگالنـدا (2358-2352ق.م.)، ويحتمـل أن يكـون الحاكـمان الأخـيران مـن الكهنـة، وقـد مثـلا مصالـح الطبقـة الكهنوتيـة التـي ينتميـان إليهـا، وهـي طبقـة المتنفذيـن والأغنيـاء، وتـزوج الأخـير مـن ابنـة أحـد مـلاك الأراضي اسـمها (بارانـا متّـارا)، ويعتقـد أنهـا تدخلـت وحاشـيتها في شـؤون الحكـم، ويبـدو أن السـلطة الملكيـة الممثلـة للإلـه والمعبـد قـد انحلـت كمؤسسـة اعتباريـة. وفقـد النـاس كثـير مـن مكتسـباتهم المشـتركة وظهـر التفـاوت الطبقـي بأوضـح أشـكاله وسـاد الفسـاد الإداري وتفسـخت المنظومـة الاجتماعيـة، إذ تخـلى النـاس عـن معتقداتهـم الدينيـة وتقاليدهـم الاجتماعيـة فعمـت الفـوضى، وأصبـح النـاس غربـاء في مدينتهـم التـي أصابهـا الوهـن والضعـف. لقـد تفـكك بنيـان الدولـة وأنهـار اقتصادهـا، ثـم، وعـن طريـق انقـلاب عسـكري تـولى مقاليـد الحكـم في لگـش الملـك أوركاجينـا (2351-2342ق.م)، وقـد كان ينتمـي لطبقـة الكهنـة أيضـاً، وقـام بإصلاحـات اجتماعيـة

واقتصاديـة كـما سنشـير عنـد الحديـث عـن هـذا العاهـل المصلـح، ولم يـدم حكمـه طويـلاً، إذ حكـم ثمانيـة أعـوام فقـط، وقـضي عليـه مـن حاكـم (أومّـا) لـوگال زاگيـزي (2342-2334ق.م). وكان الأخـير ملـكاً طموحـاً، ويحمـل أبـوه اسـماً سـامياً، وكان كاهنـاً للإلهـة (نيسـابا) في مدينـة (أومّـا) لكنـه كان ذا نزعـة عسـكرية واتبـع سياسـة الغـزو العسـكري التـي كان مـن نتائجها كـما ادعـى أنـه أخضـع معظـم البـلاد الأجنبيـة لسـيطرته، وأنـه حكـم في سـلام وازدهـار مـن البحـر السـفلي وعـلى طـول نهـري دجلـة والفـرات إلى البحـر العلـوي، أي مـن الخليـج إلى البحـر المتوسـط. وربمـا كان هـذا الغـزو المزعـوم في طبيعتـه غـارة مصحوبـة ببعـض النهـب وتدمـير الممتلـكات؛ إذ مـن المشـكوك فيـه أن يكـون لديـه المـوارد البشريـة لإخضـاع مثـل هـذه المسـاحة الواسـعة. وقـد بـدأ حياتـه بالسـيطرة عـلى الـوركاء، ولقـب نفسـه (ملك الـوركاء)، وجعلهـا عاصمـة لـه، وحمـل لقـب (ملـك كيـش) أيضـاً، وضـم المدينـة لسـلطته، وكذلـك مدينـة (نيبـور) ذات المكانـة الدينيـة العاليـة، فهـي مقـر كبـير الآلهـة السـومرية (أنليـل). وادعـى أن جميـع حـكّام سـومر وحـكّام البـلاد المسـتقلة انحنـوا لتحكيمـه في الـوركاء، ولا يعـرف مـدى صحـة هـذه الادعـاءات، أو أنهـا يمكـن أن تكـون نـوع مـن المثاليـة والطمـوح. وقـد أشـار الباحثـان جـين وديفيد أوتـس إلى أن الاكتشـافات الأثريـة في السـنوات الأخـيرة تدعـم مـا ادعـاه عـلى نحـو متزايـد. إلا أن حكمـه لم يـدم طويـلاً، وهـزم في القتـال مـن رجـلاً سـيكون لـه السـبق في إنشـاء أول إمبراطوريـة في التاريـخ؛ أنـه سرجـون الأكـدي.

مصادر الفصل الرابع

1 . الأحمد، سامي سعيد(1978). العراق القديم. ج1، بغداد.

2 . الأحمد، سامي سعيد(1985). نظام الحكم والإدارة. حضارة العراق، ج2. بغداد.

3 . إسماعيل، بهيجة خليل(1985).الكتابة .، حضارة العراق، ج1.بغداد.

4 . اوتس، ديفيد وجين(1988). نشوء الحضارة. ترجمة، لطفي الخوري، بغداد.

5 . باقر، طه(1973). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1.

6 . بشور، وديع(1981). سومر وأكد. دمشق.

7 . برستيد، هنري جيمس(2010). انتصار الحضارة. ترجمة أحمد فخري. القاهرة.

8 . بوتس، دانيال(2006). حضارة وادي الرافدين، الأسس المادية. ترجمة، كاظم سعد الدين، بغداد.

9 . بوتيرو، جان وآخرون(1989). الشرق الادنى الحضارات المبكرة.، ترجمة عامر سليمان. الموصل.

10 . بوتيرو، جان(1990). بلاد الرافدين(الكتابة- العقل،الآلهة). ترجمة البير أبونا، بغداد.

11 . تيومينيف،(1986). اقتصاد الدولة في سومر القديمة. في. العراق القديم، دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية. ترجمة سليم طه، بغداد.

12 . ديلا بورت، ل(1997). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، محرم كمال، القاهرة.

13 . رو، جورج(1998). لغز مقبرة أور الكبير. ترجمة، مازن اكرم فاضل، آفاق عربية، عد11-12.

14 . ساكز، هاري(1979). عظمة بابل. ترجمة، عامر سليمان، الموصل.

15 . سعيد، مؤيد (1985). المدينة في عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي الحديث. حضارة العراق، ج3، بغداد.

16 . سعيد، مؤيد (1985). العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث. حضارة العراق، ج3، بيروت.

17 . خليـــل، غيـــث حبيـــب(2012). وادي الرافديـــن في عـــصر فجـــر الســـلالات. رســالة ماجســتير غــير منشــورة جامعــة بغــداد ، كليــة الآداب.

18 . كريمــر، صموئيــل نــوح (2012). الســومريون تاريخهــم وحضاراتهــم وخصائصهــم . ترجمــة فيصــل الوائــلي، بغــداد.

19 . كريمر، صمؤيل نوح(1956). من ألواح سومر. ترجمة، طه باقر، بغداد، القاهرة.

20 . كيبرا ، ادوارد (1964). كتبوا على الطين . ترجمة، محمود الامين، بغداد.

21 . عــلي، فاضــل عبــد الواحــد(1974). أقــدم حــرب تحريــر عرفهــا التاريــخ. مجلــة ســومر، مــج 30 .

22 . لامبرت، موريس(1952). ما قبل سرجون. سومر ، مج 8، ج1.

23 . لويد، سيتين (1980). آثار بلاد الرافدين. ترجمة، سامي سعيد الأحمد. بغداد.

24 . الطحان(1981). الفكر السياسي في العراق القديم. ج 1. بغداد.

25 . مالــوان، ماكــس(2001).: حضــارة عــصر فجــر الســلالات في العــراق. ترجمــة كاظــم ســعد الديــن. بغــداد.

26 . مارغــرون، جــان كلــود(1999). الســكان القدمــاء لبــلاد مــا بــين النهريــن وســوريا الشــمالية. ترجمــة، ســالم ســليمان العيــسى، دمشــق.

27 . الماجدي، خزعل(1988). متون سومر. بيروت.

28 . مهدي، علي محمد(1975). دور المعبد في المجتمع العراقي القديم. بغداد.

29 . الهاشمي، رضا جواد (1985). التجارة. حضارة العراق، ج٢، بغداد.

30 . Admas,R,M(1960).Early Civilizations, Subsistance and Environment .USA.

31 . Adams,R,M(1966).The Evolution of Urban Society: Early Mesopotamia and prehistoric in Mexico. USA.

32 . Algaze,G(2001). Initial social complexity in southwestern Asia. Journal Current Anthropology,Vol,42,№,2.

33 . Bowen, R.L (1958). Ancient Trade Routes in South Arabia. London.

34 . Chavalas,M(2005). The Age of Empires (3100900- BCE).(In). Snell,D(ed). A Companion to the Ancient Near East. Oxford.

35 . Cooper,J.S(1983). Reconstruction history from Ancient inscriptions: The Lagash –Umma border conflict. Sources from the ancient Near East. malibu, California.

36 . Crawford, H.(2002). Sumer and Sumerians. Cambridge.

37 . Davies,K(1995).The Origin and Growth of Urbanization in the world. The American Journal of Sociology,Vol,60.

38 . Frankfort,H(1956). The birth of Civilization in the Near East. New York.

39 . Gibson,M(1972).The City and area of Kish. Miami,Florida.

40 . Jacobcen,Th(1943). Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia. J.N.E.S, vol,11.

41 . Jacobsen,Th(1957). Early political Development in Mesopotamia. ZA, Vol,18.Berlin and New York.

42 . Jacobsen,Th (1995). Searching for Sumer and Akkad .New York.

43 . Larsen, M.T(1979). The tradition of empire in Mesopotamia .Copenhagen.

44 . Mieroop, Van. D (2000).History of Ancient Near East (3000323- Bc). Oxford.

45 . Mieroop, Van, D (2003). The Origins and Character of the Mesopotamia city. Chicago.

46 . Nissen, H. J (1988). The Early History of the Ancient Near East, 9000-

2000 Be. Chicago.

47 . Oates, D and Oates, J. (1976). The Rise of Civilization. Oxford.

48 . Postgate, J.N (1986). The transition from Uruk to Early Dynastic: Continuities and Discontinuities in the record of Settlement. Wiesbaden.

49 . Redman,C.L(1978). The Rise of Civilization: from Early farmers to Urban Society in the Ancient Near East. USA.

50 . Rothman, M. S. (2000). The commoditization of goods and the rise of the state in Mesopotamia.(In). Haugerud, A., Stone, P., and Little, P. (ed). Commodities and Globalization. University Press of America, Lanham.

51 . Snell,D(1997). Life in the Ancient Near East,3100332- B.C.E. London.

52 . Stone, E(1995). The Development of Cities in Ancient Mesopotamia. Civilization of the Ancient Near East. Vol,1, New York.

53 . Stone,E(1997). City-States and their Centers: The Mesopotamia Example.(In). Nichols,D.L, Charlton,T.H.Washington (ed).The Archaeology of city-States : Cross-Cultural Approaches.

54 . Ur, Jason (2012). Southern Mesopotamia.(In). Potts,D.T(ed) A Companion to the Archaeology of the Ancient Near East. Blackwell,USA .

55 . Ucko,P.J, Tringham,R and Dimbleby,G.W(1972). Man, Settlement and Urbanism .London.

56 . Wright, H.T(1977). Recent Research on the Origin of the State. Annual Review of Anthropology,Vol, 6.

57 . Yoffee, N. (1995). Political economy in early Mesopotamian states. Annual Review of Anthropology,Vol,24.

(5)
السومريون ... حرب التحرير
سلالة لكَش الثانية (2162-2112 ق.م)

1 - 5 تمهيد

بعد مدة انقطاع استمرت لأكثر من مئتي عام ساد في اثناءها الحكم السامي عن طريق قيام الإمبراطورية الأكدية جاءت حقبة سومرية خالدة بدأت من عهد حكم سلالة لگش الثانية، والتي كان گوديا أبرز ملوكها، ومن ثم في عصر أور الثالثة من نحو 2112 إلى 2004 ق.م، وقد شكلت هذه المدة آخر عصر ذهبي للسومريين.

فقد عمت الفوضى في بلاد الرافدين بعد سقوط الإمبراطورية الأكدية، وأوردت الكتابات المسمارية العبارة الشهيرة: (ترى من كان ملكاً؟، ومن لم يكن ملكاً؟!) التي تعبر بدقة متناهية عن حالة الاضطراب والتدهور، ويبدو من الوقائع أن للأقوام الگوتية اليد الطولى في سقوط الإمبراطورية الأكدية، وكانوا السبب المباشر في النهاية المأساوية لهذه الإمبراطورية المترامية الأطراف. إذ جاء في رسالة لآخر الملوك الأقوياء في هذه الدولة (شار-كالي-شري) أن الگوتيين كانوا يخربون المدن وينهبون ثرواتها، وأنهم استولوا على ممتلكات الناس ونهبوا ماشيتهم، كما أنهم دنسوا حرمة المعابد؛ ومنها معبد عشتار في آشور، ولم يسلم من أذاهم شيء.

2 - 5 الگوتيون

ما يعرف عن هذه الأقوام كان قليلاً جداً، ويبدو أن هذه القبائل الغازية البربرية كانت تعيش في جبال زاگروس في القسم الشمالي الشرقي من بلاد الرافدين، وقد كانت منطقة جبال(گوتيم) في جنوب غرب إيران الجزء المزعج للإمبراطورية الأكدية. ويسجل في أسماء السنين لآخر الملوك الأكديين حملة ضد منطقتهم هذه. وقد انتهزت هذه المجموعات المقاتلة حالة الوهن والضعف التي دبت في أوصال الإمبراطورية الأكدية فاكتسحت بلاد أكد ومن ضمنها العاصمة أكد، وأسسوا سلالة حاكمة شغلت فاصلاً زمنياً يقدر بنحو قرن من الزمان يمتد من 2220 - 2120 ق.م، أو أكثر قليلاً (نحو 125 سنة).

وتذكر جداول الملوك السومرية مدد حكم وأسماء (21) ملكاً لهم. ونظراً لقصر مدة حكمهم، إذ أن واحداً منهم فقط زادت مدة حكمه عن سبع سنين، في حين كانت مدة حكم نصفهم لا تزيد عن ثلاث سنين، أو أقل، لذا من المرجح أن أغلبهم كانوا عبارة عن رؤساء يعينون لمدة معينة. ويبدو أن أحدهم قد اتخذ لقب (ملك الجهات الأربع) أي ملك العالم، وهو اللقب الذي استعمله الملوك الأكديين فيما سبق، فضلاً عن لقبه المعروف (ملك الگوتيين)، وهو الملك أريدو- بيزار الذي وضع تمثاله في معبد الإله أنليل في مدينة (نفر) لمجاراة وتقليد ما كان يفعله الملوك الأكديين. وربما كان الملك الوحيد الذي أحتل وحكم بعض مناطق الجنوب، وأحتفظ بها لبعض الوقت، وترك نصاً طويلاً في مدينة نفر. ويبدو أن هؤلاء

القـوم كانـوا أقـل شـأناً مـن الناحيـة الحضاريـة بـل يصفهـم كثـير مـن الباحثـين عـلى وفـق المعطيـات الأثريـة والنصيـة أنهـم أقوامـاً بربريـة لـذا فأنهـم لم يبنـوا ولم يتركـوا ولم يجلبـوا أي شيء خـاص بهـم، أو أي شيء جديـد إلى بـلاد الرافديـن. فقـد عمـدوا إلى تبنـي المفاهيـم والأسـس التـي كانـت سـائدة في الإمبراطوريـة الأكديـة. واتخـذوا في الجانـب السـياسي الألقـاب الملكيـة الأكديـة، ولا سـيما أنهـم كانـوا يجهلـون عـلى مـا يبـدو النظـام الملـكي كونـه شـكلاً متقدمـاً مـن أشـكال الحكـم، وربمـا كانـوا يتبنـون نظـام الأُسر، أو النظـام القبـلي في مواطنهـم الأصليـة. ويحتمـل أنهـم اقتبسـوا في الجانـب الدينـي بعـض الآلهـة الأكديـة وطابقوهـا مـع آلهتهـم. وتوضـح النصـوص التكريسـية والنذريـة أنهـم تبنـوا الديانـة الرافدينيـة، إذ لا مـؤشرات عـن ديانـة خاصـة بهـم. ويبـدو أنهـم لم يخلفـوا الإمبراطوريـة الأكديـة بشـكل كامـل، إذ أن عـدد مـن حـكّام المـدن قـد وجـدوا عـلى نحـو مسـتقل عـن حكمهـم، والظاهـر أن تواجدهـم انحـصر أو تركـز عـلى القسـم الشـمالي مـن بـلاد بابـل (بـلاد أكـد)، وربمـا نتـج هـذا مـن قربـه مـن مواقعهـم الأصليـة. وحتـى في هـذا الجـزء مـن البـلاد كان احتلالهـم ضعيفـاً وبقطعـات قليلـة هنـا، أو هنـاك أو حاميـات عسـكرية في النقـاط الاسـتراتيجية.

اسـتغل الگوتيـون تدهـور الأوضـاع السياسـية في العاصمـة أكـد فهاجمـوا بشـكل عنيـف المـدن الأكديـة واكتسـحوها. ولا يعـرف لحـد الآن أيـة معلومـات عـن الملابسـات والظـروف التـي أحاطـت بالجيـش الأكـدي ولا عـن حجـم المقاومـة التـي أبداهـا ضـد القبائـل الغازيـة. إلاّ أنـه مـن الواضـح أن الصدمـة التـي نتجـت عـن الغـزو الگـوتي كانـت عنيفـة، ولا

سيما في مراحلها الأولى والتي أدت إلى تدمير العاصمة أكد تدميراً كاملاً وفي احتلال المدن الرئيسة. وربما تمتعت الأقسام الجنوبية من بلاد بابل(بلاد سومر) ببعض الاستقلالية تجسدت بقيام سلالة حاكمة ذات قوة ونفوذ وتأثير حضاري واضح، وهذا ما حصل في ظل السلالة الثانية في مدينة لگش، فقد أُعيد بناء هذه المدينة وارتفع شأنها بعد أن دمرها الملك (لوگال-زاگيزي) حاكم أُومّا المعادية كما أشرنا، ويبدو أنها استعادت أهميتها ومكانتها كميناء نهري مهم، ولا سيما بعد تدمير العاصمة أكد وزوالها كونها المنافس الرئيس لها.

5-3 . سلالة لگش الثانية(2162-2112 ق.م)

قامت في مدينة لگش سلالة بارزة ربما استغلت عدم وجود حكومة مركزية قوية فتمكن حكّامها من توسيع نفوذهم وسلطانهم إلى خارج بلاد الرافدين مع وجود الگوتيين، علماً أن جداول الملوك السومرية أغفلت ذكر هذه السلالة ولم تذكر شيئاً عنها، إلا أن مجمل المعلومات عنها جاءت من النصوص الكتابية التي خلفتها هذه السلالة. فقد أوردت الكتابات المسمارية أسماء ستة ملوك حكموا في هذه السلالة، ويعد أور- باو أو أور- بابا (2162-2142 ق.م.) مؤسس هذه السلالة[1]*، وكانت(گرسو) عاصمة لگش في هذه المدة، وليس(تل الهبة)، وقد امتدت سلطته على أجزاء كبيرة من بلاد سومر(القسم الجنوبي) من بلاد الرافدين، إلا أنه على ما يبدو لم يستطع أن يسيطر على مدينة أور القريبة ربما

(١) * - هناك من يعتقد أن أور- ننگرسو الأول هو أول حكّام هذه السلالة، وأنه حكم نحو أربع سنوات، وقام ببعض الأعمال العمرانية.

لوجود حاكم قوي فيها، والدليل على عدم سيطرته أنه لم يستطع أن ينصب ابنته (أينانيبادا) كاهنة عليا في معبد (أي-أنّا) في مدينة أور كما فعل سرجون وأسلافه. ومن أشهر حكّام هذه السلالة الحاكم گوديا (2141-2122 ق.م.) الذي ربما كان ابناً لـ(أور- باو)، أو حفيداً له من ابنته، الذي سنشير إليه بالتفصيل في موضع آخر.

يبدو أن الملك المؤسس أور-باو كان مثقفاً، وقد جاء بعد مدة قصير سقوط الملك الأكدي شار-كالي-شري ، حتى أنه أعتمد قوالب اللبن الضخمة نفسها التي كانت تستعمل في عهد الملك نرام- سين. وشرع بالقيام ببعض الأعمال العمرانية منها بناء أو إعادة بناء المعبد العظيم للإلهة ننگرسو على الشرفة الواقعة شمال گرسو في لگش، وقد زين هذا المعبد بالتماثيل الجميلة لهذا الملك وكذلك تماثيل الملك گوديا. وقد كشف عن تمثال صنع من حجر الديوريت لهذا العاهل، وهو مقطوع الرأس، ويبدو الجسم بوضعية القرفصاء على نحو غير طبيعي وضخم، وتنفيذه أقل جودة من تماثيل نظيره گوديا من دون أدنى شك. وقد بنى معبداً للإلهة باو إلهة الشفاء وقرينة الإله ننگرسو في المدينة المجاورة أور-كوگ(المدينة المقدسة).

وحظي هذا الملك بشهرة واسعة تجاوزت نطاق مدينته وزمانه، ففي زمن سينسو- إيلونا (من القرن الحادي والعشرين (ق.م) سمي شارع في الوركاء باسمه. وهو أول من ذكرت نقوشه نيناگال، وهي أحد الأشكال المختلفة لنينيگال المشتقة من شكل أريشكيگال، إلهة العالم السفلي؛ ويدعي أنه كان ابنها. وأصبح

زوجا ابنته حاكمين من بعده، وعاشوا في حقبة لم تكن فيها سلطة قوية مركزية، لأنهم استخدما تواريخ سنين بأسمائهما، وهو أمر نعرف أنه غير ممكن في ظل وجود دولة قوية كما هو الحالة في العصر الأكدي على سبيل المثال. ويبدو أن نامخاني زوج أبنته نينگاندو كان حاكماً مهماً، ويبدو أنه كان حفيد الحاكم كا-أزاگ، والذي ربما سبق أور-باو. ويلاحظ أن نامخاني استخدم قوالب طين صغيرة تشه ما استخدمه گوديا فيما بعد، والبناة العظام من حكام سلالة أور الثالثة في مدينة أور، وعليه يمكن القول أن أور-باو عاش بعد مدة قصيرة من سقوط شار-كالي-شري، وأن گوديا لم يعش في حقبة بعيدة عن أور-باو. ويدل هذا في حد ذاته على استحالة ادخال مدة طويلة بين سلالة أور-أنگور والإمبراطورية الأكدية.

وجلبت هذه السلالة، ولا سيما في ظل الملكين أور- باو وگوديا الرفاهية والسلام لمدينتها ولكل بلاد سومر. إلا أنها بدأت بالضعف تدريجياً وفقدت أهميتها بعد أور- ننگرسو ابن گوديا (2121 - 2117 ق.م.)، وبيريگمي (2116 - 2115ق.م.). ويبدو أن هذه السلالة لم تكن لديها القدرة والقوة لطرد الگوتيين ومقارعتهم، ولم تستطع توحيد البلاد مع وجود الإمكانات التي أظهرها بعض أمراء هذه السلالة، ولا سيما الأمير گوديا في الميدان الحضاري والتجاري وحتى العسكري كما سنشير إلى هذا عند الحديث عن هذا العاهل. وربما يكون لظهور سلالة أخرى قوية في الجوار الأثر في تضاؤل أهمية هذه المدينة. إذ تجددت قوة مدينة الوركاء، ولا سيما مع ظهور الملك القوي في تلك

المدينـة هـو القائـد العسـكري أوتـو- حيـگال(2123 - 2113 ق.م.) الـذي حكـم في مدينـة الـوركاء، واسـتطاع القضـاء نهائيـاً عـلى الوجـود الگـوتي في بـلاد الرافديـن، إذ انتـصر عـلى آخـر ملوكهم(تريـگان).

ونشـير هنـا أنـه لأول مـرة ظهـرت كلمـة سـومر كمصطلـح عـام لـكل الأرض الجنوبيـة. فقـد حصلـت سـومر، الاسـم القديـم لمقاطعـة نيبـور، عـلى هـذا التمييـز الأوسع لأن أنليـل أصبح أكـثر مـن أي وقـت مـضى إلهـاً وطنيـاً ينسـب إليـه حتـى الملـوك الأجانـب هبـة القـوة الإمبراطوريـة. وكانـت عمليـة الإحيـاء العظيـم للسـلطة السياسـية السـومرية في متنـاول اليـد الآن، فقـد طـرد أوتو-حيـگال، زعيـم الـوركاء، البرابـرة الشـماليين مـن سـومر وأكـد. ويحمـل آخـر ملوكهـم، تيريـگان، أو تيريخـان، اسـماً مثـل العديـد مـن الأسـماء الأخـرى لهـذا الشـعب قـد يكـون ذا صلـة بالحثيـة. وقـد أعلـن أوتو-حيـگال لشـعبه أن الإلـه أنليـل أرسـله لتدمـير الگوتيـين الذيـن مـلأوا سـومر بالحـزن، والذيـن فرقـوا الـزوج مـن الزوجـة والآبـاء عـن الأطفـال. وقـد جـاءت تفاصيـل هـذا الانتصـار في وثيقـة سـومرية هـي تأليـف أدبي مـن بدايـة الألـف الثـاني ق.م تظهـر انتصـار هـذا الملـك وفـرار نظـيره مـن المعركـة ولجوئـه إلى مدينـة تدعـى (دبـروم)، ربمـا هـي تـل جـدر شـمال شرق أومّـا، وقـام أهـل هـذه المدينـة بتسـليم الملـك الهـارب مـع عائلتـه إلى أوتو-حيـگال. فقـد ذكـرت هـذه الوثيقـة التـي تعـد أقـدم وثيقـة معروفـة تـدون حـرب تحريـر مـن قـوى أجنبيـة: (أنليـل، ملـك البـلاد كلهـا، كلـف «أوتو-حيـگال» الرجـل القـوي، ملـك «الـوركاء» ملـك جهـات «العـالم» الأربـع، الملـك الـذي ليـس بوسـع أحـد أن يخالـف

أمره، بتحطيم «ملك ؟» [گوتي] ثعبان وعقرب الجبل، الذي حمل سلاحه ضد الآلهة، والذي نقل ملكية بلاد سومر إلى بلاد «أجنبية»، والذي ملأ سومر بالعداوة، والذي فصل الزوجة ممن كان له زوجه، والذي سلب الطفل ممن كان له طفل، وأوجد العداوة والعصيان في البلاد.......).

ومن الواضح أن شعب الوركاء هب للدفاع من مدينته، ووقفوا وراء بطلهم وقفة رجل واحد. وقد جرت الترتيبات للمعركة. ومع أن ملك العدو أرسل رسالة من اثنين من تابعيه: أور- نينازو ، السومري، ونبي أنليل، وهو سامي. ويبدو أن هذا الاختيار لشخصين يمثلان العرقين العظيمين لسومر وأكاد ربما يظهر السياسة التصالحية التي ارادها الگوتيين. ويبدو أن إرادة البطل السومري وقوته وضعف عدوه حتمت عليه الرفض ومهاجمة العدو. إذ تستمر الوثيقة في الإشارة إلى أن الإله أنليل وآلهة أخرى أعطوا القائد أوتوحيگال «گوتي»، وجاء فيها: (في ذلك المكان جمعت «بلاد» [گوتي] قواتها[؟] وأرسلت الجيوش ضده. إلا أن أوتو حيگال الرجل القوي، أوقع بهم الهزيمة وأسر «شكاناك» هم، «أي قائدهم»). وتفصل الوثيقة هذا الحدث وتشير إلى هروب ملك الگوتيين: (ثم هرب «تريگان» ملك گوتي وحده وعاد «إلى بلاد گوتي». وفي «دوبروم» حيث لجأ، عومل برفق [؟] ولكن لما كان رجال دوبروم يعرفون بأن أوتوحيگال كان هو الملك وهبه أنليل القوة ولم يطلقوا سراح «تريگان». وأسر رسول أوتوحيگال «تريگان» مع عائلته في «دوبروم» وقيد يديه بـ«أطواق» من الخشب. ووضع

عصابة على عينيه[؟]. ثم جلب «تريگان» [بعد ذلك] إلى حضرة أوتوحيگال، وألقى بنفسه على قدميه، فداس أوتوحيگال بقدمه على رقبته. ثم تضرع [؟] الـ«گوتي» عقرب وثعبان الجبل ونقل [؟] الـ... من [؟] منطقتها، [وهكذا] عادت الملكية إلى سومر.

وربما عمل هذا الملك على استعادة السلطة المركزية التي كانت سائدة في ظل الإمبراطورية الأكدية، وقد يكون راوده حلم بناء إمبراطورية على غرار الإمبراطورية السابقة، ولا سيما بعد أن أصبحت البلاد تحكم عن طريق دويلات المدن المستقلة التي اعترفت بسلطانه، وحظي برضا واعتراف مدينة (نفر)، ولقب نفسه ملك الجهات الأربع في محاولة منه محاكاة أسلافه الأكديين. ومن المعروف أن الأسرة الخامسة في الوركاء، والتي أسسها أوتو-حيگال ضمت ثلاثة ملوك، وربما حكموا نحو خمسين سنة. عموماً أن تاريخ سومر غير معروف تماماً في المدة التي تلت أوتو-حيگال، وحتى ظهور أور- انگور وتأسيس سلالة أور الأخيرة. ولم يستمر الأمر طويلاً، فقد ظهر حاكماً محلياً جديداً كان أكثر قوة وبأساً من سابقه هو (أور- نمو) الذي قام أسس إمبراطورية حقيقية كانت مدينة أور عاصمتها، وعرفت بين المؤرخين باسم سلالة أور الثالثة.

مصادر الفصل الخامس

1 . الأحمد، سامي سعيد(1978). العراق القديم. ج1، بغداد.

2 . الأحمد، سامي سعيد(1985). نظام الحكم والإدارة. حضارة العراق، ج2. بغداد.

3 . الأحمد، سامي سعيد(1990). السومريون وتراثهم الحضاري. بغداد.

4 . أدزارد، أوتــو(1986). عــصر فجــر الســلالات. في الــشرق الادنى الحضــارات المبكــرة. ترجمــة، عامــر ســليمان، الموصــل.

5 . اوتس، ديفيد وجين(1988). نشوء الحضارة. ترجمة، لطفي الخوري، بغداد.

6 . باقر، طه(1973). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1.

7 . بشور، وديع(1981). سومر وأكد. دمشق.

8 . بوتــيرو، جــان وآخــرون(1989). الــشرق الادنى الحضــارات المبكــرة.، ترجمــة عامــر ســليمان. الموصــل.

9 . ديلا بورت، ل(1997). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، محرم كمال، القاهرة>

10 . - رشيد، فوزي (1990). الأمير كوديا. بغداد.

11 . رو، جورج (1984). العراق القديم. ترجمة، حسين علوان حسين، بغداد.

12 . سكر، عزمي(1999). السومريون في التأريخ. بيروت.

13 . ســليمان، توفيــق(1985). دراســات في حضــارات غــرب آســيا القديمــة، مــن أقــدم العصــور إلى عــام 1190 ق.م. دمشــق.

14 . ساكز، هاري(1979). عظمة بابل. ترجمة، عامر سليمان، الموصل.

15 . خليــل، غيــث حبيــب(2012). وادي الرافديــن في عــصر فجــر الســلالات. رســالة ماجســتير غــير منشــورة جامعــة بغــداد ، كليــة الآداب.

16 . فرانكفــورت، هــنري (1965). فجــر الحضــارة في الشــرق الأدنى. ترجمــة، ميخائيــل خــوري، بــيروت.

17 . فــون زودن، ف(2003). مدخــل إلى حضــارات الــشرق القديــم. ترجمــة، فــاروق إســماعيل. دمشــق.

18 . كريمر، صموئيل نوح (2012). السومريون تاريخهم وحضاراتهم وخصائصهم . ترجمة فيصل الوائلي، بغداد.

19 . عبد الكريم، عبد الله (1974). ملامح الوجود السامي في جنوبي العراق قبل تأسيس الدولة الأكدية. سومر، مج 30.

20 . علي، فاضل عبد الواحد(1974). أقدم حرب تحرير عرفها التاريخ. مجلة سومر، مج 30.

21 . علي، فاضل عبد الواحد(1988).وثيقة حرب التحرير للملك السومري اوتوحيكال 2120-2114 ق.م. في الجيش والسلاح، ج 1، بغداد.

22 . لامبرت، موريس(1952). ما قبل سرجون. سومر ، مج 8، ج1.

23 . لويد، سيتين (1980). آثار بلاد الرافدين. ترجمة، سامي سعيد الأحمد. بغداد.

24 . الطحان(1981). الفكر السياسي في العراق القديم. ج 1. بغداد.

25 . مالوان، ماكس(2001).: حضارة عصر فجر السلالات في العراق. ترجمة كاظم سعد الدين. بغداد.

26 . وولي، ليونارد(1948). وادي الرافدين مهد الحضارة. ترجمة أحمد عبد الباقي. بغداد .

27 . Diakanoff, I. W(1958). Some remarks on the reform of Uru- Kagina, RA, 52..

28 . Diakanoff.I.W(1991). Early Antiquity. Chicago.

29 . Douglas,F(1993). Sargonic and Gutian Period 23342113- B.C. Royal Inscriptions Mesopotamia 2. Toronto.

30 . Douglas,F(1993). presargon Period 27002350- B.C. Royal Inscriptions Mesopotamia1. Toronto.

31 . Jacobsen, Th(1973). The Sumerian King List. Michigan.

32 . Hall, H.R(1963). The Ancient History of Near East. London.

33 . Redman,C.L(1978). The Rise of Civilization: from Early farmers to Urban Society in the Ancient Near East. USA.

(6)

السومريون ... عصر الانبعاث

(سلالة أور الثالثة 2112-2004 ق.م).

يبـدو أن الأفـق الجغـرافي لإمبراطوريـة أور الثالثـة لم يتجـاوز الأفـق المـادي لإمبراطوريـة أكـد (الخريطـة: رقـم 7). إذ لم يعـثر مثـلاً عـلى الأسـماء المحليـة في المناطـق الداخليـة مـن الأناضـول، وإن كان هنـاك كثـير مـن الرسـل التـي تذهـب وتـأتي بـين بـلاد الرافديـن وإيـران، وفي مناطـق بعيـدة عـن عيـلام مـع ذكـر وحيـد لبيبلـوس (مدينـة جبيـل اللبنانيـة) عـلى سـاحل البحـر المتوسـط. والغريـب أنـه لا يوجـد دليـل عـلى أيـة علاقـات مـع مـصر سـواء في عـصر أور الثالثـة أو في العـصر البابـلي القديـم، إن عـدم وجـود اتصـالات في نهايـة الألفيـة الثالثـة قبـل الميـلاد بـين الحضارتـين العظيمتـين في الـشرق الأوسـط القديـم يبقـى أمـراً محـيراً.

حكـم هـذه السـلالة خمسـة ملـوك أولهـم المؤسـس أور- نمـو (2112 - 2095 ق.م.) الـذي قـضى عـلى أوتو-حيـگال، والثـاني ابنـه شـولگي (2094 2047- ق.م.)، وثالثهـم آمار-سـين (2046-2038 ق .م.)، والرابـع كان شـو- سـين (2037 2029- ق.م.)، أمـا خامسـهم فهـو آبي- سـين (2028 - 2004 ق.م).

ويحتمـل أن يكـون مؤسـس هـذه السـلالة قد عـين في البدايـة حاكماً عسـكرياً مـن أتو-حيـگال، وقـد يكـون صهـره، أو أخيـه إلا أنـه سرعـان

ما طوح به واستولى على السلطة واتخذ لنفسه لقب (ملك أور)، وهكذا أسس سلالة جديدة في تلك المدينة كانت من نواحٍ كثيرة بارزة مثل سلالة أكد. وقد ثبت نفسه حاكماً مستقلاً، مع استمرار العلاقات الوثيقة مع الوركاء. ولم يكتف بالاستقلال، فقد وضع بسرعة عدداً من المدن الرئيسة في الجنوب تحت سيطرته، كان ذلك على ما يبدو عن طريق مزيج بارع من التفاوض والمداهنة. وربما كان قد أجبر على استعمال القوة في حالة لگش، والوركاء نفسها. وكان رجلاً مميزاً، لأنه، فضلاً عن كونه جندياً فاعلاً، كان بانياً عظيماً، وإدارياً ممتازاً، وقد شرع في الإصلاح والسلطة المركزية. حكم لمدة 18 عاماً، وأسس سلالة استمرت أكثر من قرن.

وحكم من بعد ابنه شولگي لمدة ثمان وأربعون عاماً حاول فيها أن يحاكي خطوات سلفه الأكدي (نرام –سين 2254 - 2218 ق.م)، وقد أثبت أنه حاكم فاعل بالقدر نفسه، إذ عزز كثيراً من إصلاحات والده وأظهر أنه أيضاً كان بانياً نشيطاً ومبتكراً. ويمكن القول إن السلالة التي أسسوها كانت المرحلة السياسية البارزة في حياة مدينة أور، ويزعم بعض الباحثين أن المدينة كانت العاصمة لأول إمبراطورية في بلاد الرافدين التي امتدت سلطتها إلى جبال زاگروس في الشرق وشمالاً حتى سبار غرب بغداد وأعلى الفرات باتجاه ماري. وكانت مدينة أور العاصمة طوال مدة السلالة الحاكمة، وبنى كل حاكم في داخلها منطقته المقدّسة، وهي المنطقة الدينية المخصصة لإله القمر ننار. وقد تلقب الملك شولگي بلقب (ملك الجهات الأربع)، ويبدو أنه تألّه مثله عن طريق وضع

النجمة العلامة الدالة على الآلهة قبل أسمه. ويعرف عن هذا الملك حبه للأدب السومري والحضارة السومرية، ويفخر أنه أصبح كاتباً بعد أن تعلم في المدرسة (أيدوبا) في صغره. وقد مد حكمه إلى جهة الشرق وسيطر على بلاد عيلام وأنشان، وطارد القبائل البدوية التي تسكن جبال زاگروس، وسيطر على مدن الشمال مثل : آشور وأربيل وهي منطقة نفوذ الأقوام السوبارتية.

تولى مقاليد الحكم بعد ابنه آمار-سين الذي حكم تسعة أعوام، ويبدو أنه حافظ على مناطق النفوذ الذي وصل إليها والده. وجاء بعده أخيه شو-سين وحكم تسعة أعوام أيضاً، ولكنه واجه خطراً كبير من الأقوام الآمورية، ولهذا عمل إلى بناء سور عازل من أجل تفادي هجماتهم من جهة الغرب عرف بسور مارتو (موريك تيدنيم) أي الذي يبعد التندوم، وهي إحدى القبائل الآمورية، وبلغ طوله نحو 270 كم، ومع هذا لم يكن هذا السور فعّالاً مثله مثل الأسوار الضخمة عبر التاريخ، وقد زاد ضغط الأقوام الآمورية في عهد خليفته (آبي- سين) الذي بقى في الحكم لمدة أربعة وعشرون عاماً، إلا أن هذه المدة كانت صعبة ومليئة بالمآسي، إذ عانت مدينة أور من المجاعة وقلة المواد الغذائية. ونعرف الوضع الصعب والمؤلم من رسائله إلى حكام الأقاليم التي تمدنا برؤية واضحة عن الوضع العام في هذه المملكة وحالة الحزن والضياع التي كان يعاني منها هذا الملك. وقد استغل العيلاميون هذا الوضع من أجل الانقضاض على هذه الدولة السومرية الأخيرة فأسقطوها في نحو 2004 ق..

شـهد هـذا العـصر إعـادة الملكيـة إلى مدينـة أور مـع عـودة إلى استعمال اللغـة السـومرية كلغـة رسـمية للبـلاد أو عـلى الأقـل في بـلاد سـومر، لـذا يوصـف هـذا العـصر بعـصر الانبعـاث السـومري. وهنـا لا بـد مـن الإشـارة إلى أن السـومريين والأكديـين قـد انصهـروا منـذ زمـن طويـل، وأصبحـوا شـعباً واحـداً متجانسـاً لـه تقاليـد وحضـارة مشـتركة. وقـد أقـر ملـوك أكـد بوضـوح بسـلطة الإلـه السـومري الأعـلى في نفـر ونظمـت ابنـة سرجـون التراتيـل بأرقـى لغـة سـومرية أدبيـة. وكان آخـر ملـوك سـلالة أور الثالثـة، وأقـوى ملـكات السـلالة يحملـون أسـماء سـامية. إن تعمـد اسـتعمال اللغـة السـومرية في هـذا الوقـت لا بـد أن يعكـس إلى حـد مـا وعيـاً بـتراث أور الثقـافي، وإن نبـذ منـذ زمـن طويـل أي تلميـح إلى حـدوث صراع عرقـي.

واتخـذ مؤسـس هـذه السـلالة مـن أور عاصمـة لـه وسـار عـلى نهـج سـلفه أوتو-حيـگال، وأجـبر حـكّام المـدن المسـتقلة عـلى الخضـوع لسـيطرته، وكذلـك حـكّام المقاطعـات والمـدن التـي كانـت تحـت السـيطرة الگوتيـة جعلهـا خاضعـة لـه، ولقـب نفسـه بلقـب (ملـك سـومر وأكـد) إشـارة إلى سـيطرته عـلى كل بـلاد بابـل، فضـلاً عـن تجهيزه حمـلات عـلى مناطـق ديـإلى، وأخضـع مدينـة سوسـة تحـت سـيطرته.

وقـد شـق عـدد كبـير مـن القنـوات الجديـدة لدعـم المسـتوطنات الجديـدة وزراعـة أراضٍ جديـدة بكثافـة. لـذا تؤكـد النقـوش الملكيـة عـلى الأهميـة التـي تعلقهـا هـذه الأنشـطة الهيدروليكيـة؛ وقـد بذلـت جهـود كبـيرة مـن ناحيـة القـوى العاملـة والمـوارد في أعـمال الترميـم

والصيانـة. فقـد كانـت هنـاك حاجـة إلى جهـود كبـيرة مـن الرجـال للقيـام بأعـمال التنظيـف والإصلاح الدوريـين، ويبـدو أن أفـراد الجيـش وسـجناء الحـرب جنـدوا لأداء هـذه الأعـمال. وكان مـن نتيجـة هـذه الأعـمال والمشـاريع الزيـادة في كميـات الحبـوب المنتجـة إلا أن هـذا جـاء عـلى حسـاب بـروز مشـكلة الملوحـة، وهـي إحـدى أبـرز مشـاكل التربـة في جنـوب بـلاد الرافديـن عـلى مـر التأريـخ.

كان النظـام السـياسي في عهـد سـلالة أور الثالثـة نظامـاً مركزيـاً، ولكنـه لم يكـن نظامـاً دكتاتوريـاً صرفـاً، وإنمـا اعتمـد عـلى الإدارة البيروقراطيـة، إذ كانـت مفاصـل الدولـة تـدار بواسـطة مجموعـة مـن الموظفـين الحكوميـين الذيـن كانـوا يحسـنون التصرف كـما هـو واضـح في مـا تركـوه لنـا مـن تفاصيـل إداريـة وفنيـة تنـم عـن كفـاءة وقـدرة عاليـة. وكان الجانـب الاقتصـادي والإداري واضحـاً عـن طريـق النصـوص الكتابيـة مـن هـذه المـدة، إذ تسـجل هـذه النصـوص الأعـداد اليوميـة للعاملـين في الحقـول، وحفـر القنـوات، والحصـاد، والتحميـل، وتحسـب معـدلات العمـل والأجـور بالتفصيـل، وتوضـح هـذه النصـوص اقتصـاداً يسـهم فيـه الأفـراد والدولـة.

وعمـل ملـوك هـذه السـلالة سلسـلة مـن الحمـلات العسـكرية، فقـاد الملـك أور-نمـو المؤسـس حمـلات عـدة باتجـاه المنطقـة المحصـورة بـين دجلـة، وجبـال زاگـروس، وعمـل عـلى القضـاء عـلى بقايـا الگوتيـين، وكانـت مدينـة سوسـة في بـلاد عيـلام تحـت السـيطرة في نهايـة حكـم الملـك الثـاني شـولگي، إذ أنـه نهـب في سـنته الرابعة والعشرين، ولسـبب

غـير معـروف، مدينـة أنشـان ووضـع حاكـم عسـكري عليهـا عـرف بـ(شـاگينا). وقـد وصلـت حمـلات عسـكرية مناطـق في بـلاد الرافديـن في أربيـل، وكركـوك، وإلى أنشـان في إيـران، وكذلـك الجبـال في المتاخمـة لحـدود الأقـوام الخوريـة.

وقـد اعتمـدت هـذه الإمبراطوريـة أسـاليب أكـثر مدنيـة وسـلمية مـن الأسـلوب العسـكري التقليـدي في السـيطرة ومـد النفـوذ، وعملـت في زمـن ملكهـا الرابـع (شـو- سـين) إلى بنـاء سـور عـازل مـن أجـل تفـادي هجـمات الأقـوام الآموريـة القادمـة مـن الغـرب كـما أشرنـا أعـلاه. وقـد أرغمـت هـذه الهجـمات فضـلاً عـن غـزوات العيلاميـة آبي- سـين آخـر ملوكهـا عـلى تشـييد أسـوار كبـيرة وتحصينـات حـول أور ونفـر. وتعـد هـذه هـي المـرة الأولى التـي نسـمع فيهـا عـن هجـوم خطـير عـلى بـلاد بابـل يشـنه شـعب ناطـق بلغـة سـامية مـن الصحـراء الغربيـة يعـرف بمارتـو (الغـرب)، أو الآموريـون (الغربيـون).

وقـد سـقطت آخـر الـدول السـومرية عـلى يـد الأقـوام العيلاميـة، فبعـد أن هاجـم آبي-سـين آخـر الملـوك السـومريين بـلاد انشـان في السـنة التاسـعة مـن حكمـه، هاجـم كينـدادو ملـك عيـلام (شيماشـكي) مدينـة أور وقـضى عـلى آخـر السـلالات السـومرية في بـلاد الرافديـن. لقـد اجتمعـت جملـة أسـباب أدت لهـذا السـقوط منهـا: الانتفاضـات والثـورات المحليـة ضـد حكامهـا، فشـجعت هـذه الظـروف بعـض الحـكام المحليـين للانفصـال عـن الـدول الأم، فضـلاً عـن تدهـور الوضـع الاقتصـادي، والضغـط الـذي مارسـته الأقـوام الآموريـة البدويـة مـن جهـة الغـرب، وأخـيراً الهجـوم المبـاشر مـن العيلاميـين الذيـن اسـتغلوا

تـردي الأوضـاع العامـة سياسـياً، واقتصاديـاً، واجتماعيـاً للانقضـاض عـلى الإمبراطوريـة والاسـتيلاء عـلى عاصمتهـا، ولم تكـن هنـاك أيـة مقاومـة فعالـة، وبحـث النـاس عـن الأمـان بـين أسـوار المـدن.

وتـروي قصيـدة ملحميـة ملخـص موجـز لبعـض الأحـداث الدراميـة التـي سـبقت التدمـير النهـائي لأور. فقـد جـاء في بعـض أبياتهـا: (بعـد أن غـير أنـكي مجـرى نهـري دجلـة والفـرات، بعـد أن ألقـى أوتـو لعنتـه عـلى الشـوارع والطـرق العامـة؛ مـن أجـل محـو القـوى الإلهيـة لسـومر، وتغيـير خططهـا المسـبقة وتنفـير القـوى الإلهيـة لحكـم ملكيـة أور(...)، وإن شيماشـكي وعيـلام العـدو يمكثـان في مكانهـما؛ وإن الراعـي يـأسر مـن العـدو وحيـداً تمامـاً، وإن آبي- سـين يؤخـذ إلى أرض عيـلام مكبـلاً بالسلاسـل، مـن جبـل زابـو عـلى حافـة البحـر، إلى حـدود أنشـان، مثـل طائـر طـار مـن عشـه، ولا يعـود إلى مدينتـه(...)، ومصـيره لا يمكـن تغيـيره، ومـن يسـتطيع أن يسـقطه- مـن يسـتطيع أن يعـارض أمـر آن وأنليـل؟ وذعر(جـداً) سـكان سـومر، كان النـاس خائفـين. وفجّـر أنليـل عاصفــة شريـرة، وخيـم الصمـت عـلى المدينـة(...)، وحولـت أينانـا (النـصر في) الـصراع والمعركـة إلى البـلاد المتمـردة(...)، ثـم أرسـل أنليـل الگوتيـين مـن الجبـال، وكان تقدمهـم مثـل طوفـان أنليـل الـذي لا يمكـن الصمـود أمامـه، وملأت عاصفـة السـهل العظيمـة الريـف، ثـم تقدمـت أمامهـم. ودمـر الريـف الواسـع، ولم يتحـرك أحـد هنـاك(...)، وتـرك الأغنيـاء ممتلكاتهـم واتخـذوا طريقـاً غـير مألـوف، وقـد دنسـت ملوكيـة البـلاد في تلـك الأيـام، التـاج الـذي كان عـلى رأس (الملـك) [-] لوحـده. البـلاد التـي اتخـذت الطريـق نفسـها قسـمت إلى فصائـل، (...) أمـا

تقديم الطعام في أور، والمزار (الذي يتلقى) تقدمات الطعام المهيبة فكان قد تغير نحو الأسوأ، واستبدل ننار قومه بعدد من الشياه، وجلس ملكها مشلول الحركة في قصره، وحيداً تماماً(...)، وأما كش التي بناها بمفردها على أعلى المنحدر فقد كانت تسكنها الأشباح، وأدب التي تمتد على طول النهر حرمت من الماء. وجعل ثعبان الجبل عرينه هناك، وأصبحت أرض متمردة. وتربى الگوتيون هناك، وانتشرت بذورهم(...)، وهجرت إينانا الوركاء، وأنطلقت إلى أرض العدو(عيلام)، في أي-أنّا وضع العدو عينه على مزار گيبار المقدس. گيبار المقدس للإين الكهنوت تم تدنيسه. الإين الكاهن تم خطفه من گيبار(و) حمل إلى أرض العدو(...)، اسقط أنليل العيلاميين، العدو من المرتفعات(...) وسلم مقاطعة لگش إلى عيلام، ثم وصلت الملكة أيضاً إلى نهاية زمانها(...)، في مكان نانار إذ لم يسر الشيطان قط، سار العدو (...)، وخطف سيده الكاهن من گيبار(و) حمل إلى أرض العدو(...)، لقد مسحنا من الگوتيين، المخربين(...)، إلى الجنوب تدخل العيلاميون، وذبحوا... إلى الشمال المخربين، العدو... وكان التيدنوميون في كل يوم يربطون الصولجان إلى حقويهم. إلى الجنوب كان العيلاميون مثل الموجة العاتية (...)، هذا ما فعله أنليل الذي يقرر المصائر، وبعد ذلك عمل: للمرة الثانية أنزل العيلاميين، العدو، من الجبال(...)، نانار الذي يحب مدينته غادرها، واتخذ سين طريقاً غير مألوف بعيداً عن حبيبته أور(...)، أور التي كانت واثقة من قوتها وقفت مستعدة للذبح، أما شعبها المضطهد فلم يستطع الصمود أمام أسلحة العدو(...)، عيلام، مثل موجة فيضان

متضخمـة، لم تـترك سـوى أرواح المـوتى. حطمـت الأسـلحة الـرؤوس في أور مثـل الأواني الفخاريـة، وكان اللائـذون فيهـا (غـير قادريـن) عـلى الفـرار، وظلـوا محاصريـن في داخـل الجـدران(...)، وقـد أصابهـم الدنس، ونقلـت الجزيـة العظيمـة التـي جمعوهـا إلى الجبـال(...)، ولم يعـد (الموسـيقيون) يعزفـون طويـلاً عـلى آلـة البـالاگ في الغرفـة المقدسـة لننـار، والصنـدوق المقـدس الـذي لم يـره أحـد كان قـد رأه العـدو(...)، وقطعـت التماثيـل التـي كانـت في المـزار(...)، وتخـلى عـن الطقـوس والقـرارات المقدسـة، وذهبـوا إلى مدينـة أجنبيـة(...)، في الحقيقـة أن العاصفـة التـي هبـت عـلى سـومر هبـت عـلى الأراضي الأجنبيـة. لقـد انفجـرت في تيدنـوم، ونفخـت في البـلاد الأجنبيـة. لقـد انفجـرت في الگوتيـين، ونفخـت في البـلاد الأجنبيـة. وقـد هبـت عـلى أنشـان، وهبـت عـلى الأراضي الأجنبيـة، (و) دمـرت أنشـان مثـل عاصفـة شريـرة. لقـد طغـت المجاعـة عـلى الشريـر، ربمـا (أن) يخضـع النـاس(...)، أه يـا ننـار، ملكيتـك الحلـوة ترجـع إلى مكانـك. وربمـا عهـداً وفـيراً يـدوم طويـلاً في أور. ودع أهلهـا يرقـدون في مـراعٍ آمنـة، ودعهـم يتكاثـرون. آه يـا بـشر [-]، آه يـا ننـار، وآه مدينتـك! وآه معبـدك!.

مصادر الفصل السادس

1 . الأحمد، سامي سعيد(1978). العراق القديم. ج1، بغداد.

2 . الأحمد، سامي سعيد(1975). السومريون وتراثهم الحضاري. بغداد.

3 . اوبنهايم ، ليو(1981). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد.

4 . أوليش، هلموت(2021). السومريون شعب في مطلع التأريخ. ترجمة، أحمد أمحان. بغداد.

5 . باقر، طه(1973). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1.

6 . بشور، وديع(1981). سومر وأكد. دمشق.

7 . بوتيرو ، جان وآخرون(1989). الشرق الادنى الحضارات المبكرة. ترجمة عامر سليمان. الموصل.

8 . ديلا بورت، ل(1997). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، محرم كمال، القاهرة.

9 . رشيد ، فوزي (1990). الأمير كوديا. بغداد.

10 . رو، جورج(1984). العراق القديم. ترجمة حسين علوان حسين. بغداد.

11 . زودن، ف. فون(2003). مدخل إلى حضارات الشرق الأدنى القديم. ترجمة، اسماعيل محمد. دمشق.

12 . ساكز، هاري(1979). عظمة بابل. ترجمة، عامر سليمان، الموصل.

13 . سكر، عزمي(1999). السومريون في التأريخ. بيروت.

14 . الطحان(1981). الفكر السياسي في العراق القديم. ج 1. بغداد.

15 . عبد الغني، هاني(2005). حركات التحرر في العراق القديم. رسالة ماجستير، الموصل.

16 . علي ، فاضل عبد الواحد(1974). أقدم حرب تحرير عرفها التاريخ. مجلة سومر، مج 30.

17 . علي، فاضل عبد الواحد(1983). السومريون والأكديون . العراق في التأريخ. بغداد.

18 . علي، فاضل عبد الواحد(1987). المنجزات السياسية والعسكرية في عصور فجر السلالات السومرية. مجلة المورد. بغداد.

19 . عكاشة، ثروت(ب.ت). الفن العراقي- سومر وبابل وآشور. بيروت.

20 . لويد، سيتين (1980). آثار بلاد الرافدين. ترجمة، سامي سعيد الأحمد. بغداد.

21 . فرانكفورت، هنري (1965). فجر الحضارة في الشرق الأدنى. ترجمة، ميخائيل خوري، بيروت

22 . كريمر، صموئيل نوح (2012). السومريون تاريخهم وحضاراتهم وخصائصهم . ترجمة فيصل الوائلي، بغداد.

23 . مورتكات، أنطون(1975). الفن في العراق القديم. ترجمة، عيسى سلمان وسليم التكريتي، بغداد.

24 . متولي، نوالة أحمد (1994).مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء المصادر المسمارية المنشورة وغير المنشورة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد.

25 . وولي، ليونارد(ب.د). وادي الرافدين مهد الحضارة. ترجمة، أحمد عبد الباقي، القاهرة.

26 . Crawford. Harriet(2015).Ur the city of the Moon god. London, New York.

27 . Diakonoff, I . M(1991). Early Antiquity. Chicago.

28 . Jacobsen, Th(1973). The Sumerian King List. Michigan.

29 . Nissen, H,J(1988).The early history of the near east 90002000- B.C. Chicago& London.

30 . Openheim, A.L(1964). Ancient Mesopotamia. Chicago.

31 . Redman,C.L(1978). The Rise of Civilization: from Early farmers to Urban Society in the Ancient Near East. USA.

32 . Woolley, C.L(1929). The Sumerians. Oxford.

(7)

مدن سومرية خالدة

7-1 مدينة أريدو

7-1-1 **الموقع**

تعد مدينة أريدو واحدة من أشهر وأعظم المدن السومرية، فهي بيت الإله أنكي، اله الأرض والسماء، وهي مدينة الملوك الأولى. وتصنف كواحدة من بين أبرز المستوطنات وأقدمها في عصر العبيد، وتقع بالقرب من الجانب الغربي من نهر الفرات في مدينة الناصرية تعرف بقاياها الآن باسم (أبو شهرين) نحو 25 كم جنوب غرب مدينة أور. وقد سميت على وفق النصوص الكتابية بصيغة (Uri-DUG-GA) التي تعني المدينة الجيدة. وكتبت بالصيغة الآتية: (Nun.ki) التي تعني المكان العظيم أو الرمز العظيم. ويبدو أن اسم المدينة غير معروف على وجه الدقة، فهو واحد من الأسماء الجغرافية من عصور قبل التأريخ، والذي حصلت عليه تغيرات وتحولات عدة قبل بداية الكتابة، ومن ثم ضاعت معالمه الأصلية. ويعتقد الباحث جاكوبسين أن اسم المدينة قد ارتبط باسم الإله أنكي، إذ جاء اسمها في البداية باللغة السومرية بالصيغة التي أشرنا إليها أعلاه، وقال أن (Nun) تعود إلى تعين قديم للاسم وبشكل جزئي لمدينة أريدو. وأطلق الإغريق على المدينة اسم ديريدوتس،

وأنها كانت المركز الرئيس للطب في بلاد الرافدين، ولا سيما التطبب بالتعاويذ واستعمال الماء المعوذ الذي يجري في معابدها. وعرفت كميناء استخدمه الإسكندر المقدوني كقاعدة بحرية.

تقع مدينة أريدو على حافة منطقة السهل الرسوبي، وهي الآن في شبه صحراء رملية. ويبدو أن موقع المستوطن الأول عبارة عن كثبان رملية مرتفعة عائمة ربما شكلت جزيرة مناسبة في منطقة واسعة في الأهوار لإحدى بحيرات المد والجزر لرأس الخليج. وقد شيدت مستوطنو أريدو (دور العبيد الأول) معبداً صغيراً من الطين الطري، ويبدو أن هذه البقعة اكتسبت قدسية خاصة، إذ كشف عن سلسلة من المعابد، وحاول بعض الباحثين وضع تاريخ لدور العبيد بالاعتماد على وجود ستة أو سبعة معابد متعاقبة من هذه الحقبة. غير أن تحديد ذلك بمدة زمنية قد يقود إلى افتراضات عرضة للمناقشة. فأبنية الطين سريعة الهدم والانهيار لذا فإن افتراض الباحث (گوردن تشايلد) أن معدل عمر المعبد الواحد يقدر بنحو مئة عام يبدو فيه مغالاة، إذ أن هناك إشارات لمعابد في الألف الأول ق.م، انهارت في مدة 40 سنة، لذا فإن مدة الستمائة سنة التي توصل إليها (گوردن تشايلد) يمكن قسمتها إلى اثنين (الشكل: رقم 5).

2-1-7 الاستيطان في مدينة أريدو

تمثل حضارة أريدو من مطلع الألف الخامس ق.م، أول أدوار عصر العبيد، وتمثلت عمارياً بمجموعة من الطبقات البنائية، ومع أن المعبد شغل معظم هذه الطبقات إلا أنه يوضح أساليب

البناء المتبعة والمواد الأولية المستعملة. ومثل هذا الواقع العماري الجديد الذي يغطي مدة الألف الخامس، وبداية الألف الرابع ق.م، يتضح في عمارة مدن سومرية أخرى في جنوب بلاد الرافدين؛ منها أور، وتلو، والعقير.

ويبدو أن المدينة قد هجرت في مطلع الألف الرابع قبل الميلاد في عصر الوركاء ربما بسبب مشاكل المياه، وتغير مجاري الأنهار، إلا أنها بشكل عام كانت مركزاً دينياً مميزاً. ويبدو أن مناطق الجنوب الرافديني قد تدهورت مرة ثانية في العصر الأكدي، فقد اختفت قرى عدة كانت منتشرة حول المدن الكبرى، وهجرت بعض المركزية الحضرية الكبيرة ومنها أريدو. ولكن الوضع تغير في عصر أور الثالثة، إذ يبدو أن القسم الجنوبي من السهل الرسوبي كان قد نجا من التعسف الگوتي، ومن ثم أسهم في طردهم مما أدى إلى أن تزدهر المنطقة بأكملها ويتضاعف عدد السكان فيها.

تقول المصادر الكتابية أن مدينة أريدو قد بنتها الآلهة بحسب اعتقاد السومريين، إذ ورد في أسطورة الخليقة السومرية أن: (البقاع جميعها كانت بحراً ثم خلقت أريدو). وكانت العاصمة الدينية في عصر السلالات المبكرة، ويعتقد أن كهنتها هم من كتبوا القسم الأول من جداول الملوك السومرية. فقد أشارت هذه الجداول إلى أن مدينة أريدو كانت المدينة الأولى التي هبطت فيها الملوكية من السماء. وإن أول ملوكها هو آلوليم الذي حكم على وفق هذه الجداول نحو 2800 سنة، وحكم بعده الملك آلاگار الذي حكم نحو 3600 سنة، ولا يعرف شيء عن هذين الملكين، وربما كانا من الكهنة

أو الحكـماء، إذ أنهـم يشـبهون شـخصية عرفـت باسـم آدابـا الـذي عـرف بوصفـه شـخصاً حكيـماً، وإن مـن منحـه الحكمـة هـو الإلـه أنـكي، وسـمي بـ(ابـن أريـدو)، وزعيـم البـشر، وكان أكـثر مـن ملـك، وإن لم يـدرج ضمـن ملـوك قبـل الطوفـان. لقـد كان آدابـا متميـزاً بـكل معنـى الكلمـة ونموذجـاً بهيـاً للإنسـان المتمـدن:

(شاء أن تكون كلمته مثل كلمة آن،

أتحفه بعقل واسع لكي يكشف مصائر البلاد،

أُعطى هذا الإنسان الحكمة ولكنه لم يمنحه الحياة الأبدية،

في ذلك الزمان في تلك السنين كان الحكيم قد ولد في أريدو

فقد خلقه أنكي (أيّا) نموذجاً بين الناس،

حكيماً لا يستطيع أحد أن ينبذ كلمته،

عالماً أنه الأذكى بين الانوناكي...).

وهكـذا كان آدابـا يمثـل الرجـل المتحـضر بـكل معنـى الكلمـة كـما كان أنكيـدو يمثـل الانسـان البـدائي. وكان ذلـك الإنسـان المتحـضر قـد انصـب اهتمامـه عـلى تقديـم القرابـين للآلهـة، ولكنـه حكيـم إلى درجـة أن كلمتـه مثـل كلمـة آن (آنـو)، وقـد جعلـه أنـكي كامـلاً في القـدرة عـلى الفهـم. وقـد ظهـر متأخـراً الارتبـاط الأول للحكـماء السـبعة المعروفـين باسـم (ابكالـوا= Abkallu) بملـوك قبـل الطوفـان مـن العـصر الآشـوري الحديـث والعـصر الهلنسـتي، والذيـن كانـوا يعـدون «أبطـال الثقافـة» الذيـن جلبـوا فنـون الحضـارة إلى سـومر.

3-1-7. الحالة السياسية في مدينة أريدو

يبـدو أن مدينـة أريـدو لم تحظـى بأيـة مكانـة سياسـية ولم تظهـر فيهـا سـلالة محليـة حاكمـة، وقـد كانت تـدور في فلـك المدن والسـلالات التـي حكمـت بـلاد الرافديـن، ولا سـيما القسـم الجنـوبي. وقـد أشـير إليهـا في كتابـات حـكام هـذه المـدن والسـلالات، وقـد وردت أقـدم إشـارة مـن زمـن أور-نانشـة مؤسـس سـلالة لگـش مـن نحـو 2700 ق.م، وهـي تشـير إلى أن هـذا الملـك ذهـب إلى مدينـة أريـدو حامـلاً أنفـس الهدايـا وأثمنهـا متضرعـاً بهـا إلى الإلـه أنـكي لينـال رضـاه وبركاتـه في بنـاء معبـد أي-ننـا في مدينتـه لگـش. وذكـر أحـد خلفائـه وهـو الملـك أياناتـم (2454-2425 ق.م) أنـه أخضـع مدينـة أريـدو لنفـوذه السـياسي. وأشـار الملـك أنتمينـا (2405-2375 ق.م) إلى المدينـة، إذ أنـه أقـام حوضـاً واسـعاً لأنـكي إلـه المدينـة، وربمـا كان رمـزاً لـ(أبـزو). وبعدهـا أشـار الملـك المصلـح أوركاجينـا(2351 ق.م) إلى المدينـة في ألقابـه (راعـي مدينـة أريـدو)، وهـو أول الملـوك الذيـن اسـتخدموا هـذا اللقـب، وتبعـه ملـوك آخـرون مـن عصـور لاحقـة. وتفاخـر لوگال-زاكيـزي (2342 ق.م) ملـك أومّـا بسـيطرته عـلى معظـم المـدن السـومرية ومـن بينهـا أريـدو المقدسـة، وأتخـذ لقب(الـذي أعطـي الحكمـة مـن أنـكي، وملـك أوروك).

ويبـدو أن العلاقـة بـين هـذه المدينـة ومدن الـوركاء ولگش اتسـمت بالوديـة، وعمـل حـكام هـذه المـدن عـلى المحافظـة عـلى قدسـية ورفاهيـة هـذه المدينـة، وربمـا كان الملـوك يسـتمدون شرعيتهـم مـن اعـتراف هـذه المدينـة بملوكيتهـم.

وخضعت المدينة لنفوذ الإمبراطورية الأكدية مثل بقية المدن في السهل الرسوبي، وقد وردت إشارات إليها من زمن سرجون المؤسس، ومن ثم من زمن حفيده نرام-سين الذي ذكر المدينة في أحد نصوصه التكريسية بعد بناء معبد له في العاصمة، فأشار لمدينة إلهها السومري (أنكي). وبنى أحد الملوك الگوتيين (إيليلي) حوض أبزو في مدينة أريدو على وفق ما جاء في إحدى كتاباته على مخروط طيني: (من أجل الإله أنكي، ملك أريدو... إيليلي، ملك أور، بنى له معبداً). كما أشار إليها ملك لگش أور- باو، وهو أحد ملوك السلالة الثانية (2250-2114 ق.م) في إحدى كتاباته التي يذكر فيها بناءه مجموعة من المعابد لعدد من الآلهة في مدينة گرسو، فذكر الإله أنكي ملك مدينة أريدو، ولقب نفسه (راعي مدينة أريدو).

وأشار گوديا إلى هذه المدينة في أحد نصوصه، إذ ذكر أنه بنى معبداً لإله مدينته ننگرسو على أرض بكر مثل أريدو، كما أنه قام بنقل تمثال ننگرسو إلى أريدو لحين اكمال بناء معبده في لگش عملاً بوصية الإله أنكي بحسب كما ورد في إحدى كتاباته.

ويسرد الملك أور-نمو مؤسس سلالة أور مراحل قيامه ببناء معبد أنكي في أريدو: (إلى أنكي، عاصفة السماء والأرض، ملكه، أور-نمو، الرجل القوي، ملك أور، ملك سومر وأكد، بنى منزله). ويذكر الملك شولگي (2094-2047 ق.م) ابن أور -نمو أنه نصب حاكماً أو كاهناً في أريدو في عامه الثامن والعشرين. كما ذكر الملك آمار-سين (2046-2036 ق.م) أنه من بنى معبد (الأبزو) في مدينة أنكي. وتشكل هذه

الإشارات دليلاً واضحاً على أهمية هذه المدينة في عصر سلالة أور الثالثة، وأنها ربما كانت تضفي الشرعية على حكام هذه السلالة كما يتضح ذلك من أعمال البناء التي تقترن بالجانب الديني، وهو ما عرفت به المدينة عبر التاريخ كمدينة مقدسة. فقد كان إلهها الرئيس أنكي إله الحكمة والمعرفة، والإله الثاني في ترتيب الآلهة السومرية بعد أنليل، كما سنشير عند الحديث عن هذا الإله.

4-1-7 المباني العمارية في مدينة أريدو

تعد الزقورة من بين أبرز الصروح العمارية في هذه المدينة، ويبدو أن بداياتها تعود إلى أقدم أدوار السكن في المدينة، لكن الشكل الأوضح لها هو المبنى الذي غلفه الملك أور-نمو بالآجر. وتشبه هذه الزقورة في عمارتها وتصميمها نظيرتها الشهيرة في مدينة أور المجاورة، فهي مستطيلة الشكل (61،8 × 46،5 م) بقي من ارتفاعها نحو (9،5 م)، شيدت من اللبن الذي شيد بشكل صفوف عمودية وأخرى أفقية لزيادة تماسك البناء. وغلفت جدران الزقورة بالآجر والملاط القيري في زمن الملك أور-نمو كما أشرنا، ويبدو أنه جرت عليها عمليات ترميم في مراحل مختلفة من أهمها ما قام به الملك آمار-سين، إذ عثر على آجر مختوم باسمه. وتعرضت أقسام كبيرة منها للتلف بفعل العوامل الطبيعية، إذ لم يبق من الجدران المغلفة بالآجر إلا الجانب الجنوبي الغربي الذي حفظ قسم كبير منه نتيجة الحماية التي وفرتها السلالم الثلاثة المبنية مقابله في الجانب الشمالي الشرقي. ويعتقد أن هذه السلالم شيدت في هذا

الضلع لتكون باتجاه الأهوار (البحر) أو الأبزو أي مقر الإله أنكي، ويعتقد الباحث تايلر أن أساس هذا السلم كان معمولاً من آجر شديد الصلابة أقيم على أرضية من الرمل، وربما بلطت درجاته من ألواح المرمر بقياس (55×32×11 سم). وكان عرض السلم الوسطي نحو خمسة أمتار، أما السلمان الجانيان فكانا بعرض متران ونصف لكل منهما. وقد كشف في الضلع الشمالي الشرقي عن قناة لتصريف مياه الأمطار، وكانت بعرض خمسة أمتار، وتبعد نحو ثمانية عشر متر عن الزاوية الشرقية من الضلع الشمالي الشرقي، ومن المحتمل وجود قناة مياه مشابهة في الضلع الجنوبي الغربي كما الحال في زقورات أور ونفر والوركاء.

لعل أبرز ما يميز هذه المدينة وجود سور يحيط بها شيد من الحجارة والجص، وربما يعود بتأريخه إلى عصر سلالة أور الثالثة. وقد كشفت بقاياه في ثلاثة مواضع في محيط المدينة. وكشف عن قناة يعتقد أن الملك أور-نمو قام بحفرها من نهر الفرات عرفت بقناة أريدو، وذكرت بالمصادر الكتابية باسم (گوبي =Gu-Bi)، ربما كان لها وظيفة دفاعية أيضاً .

أشرنا إلى أنه كشف عن سلسة معابد في هذه المدينة، فضلاً بعض القصور منها ما وجد في التل الشمالي، إذ كشف عن قصرين متماثلين في هذه المنطقة. وقد كانا ذا تخطيط منتظم فخم البناء ومتقن العمل جمعت فيهما البساطة والإتقان، وزودا ببعض المزايا الدفاعية. كما كشف عن مبانٍ عامة منها مبنى يعتقد أنه ربما

كان مـكان إقامـة الاحتفـالات بأعيـاد (أكيتـو)، أو لإقامـة مراسـيم الـزواج المقـدس. وكشـف عـن مقـبرة فتـح منهـا مـا يقـرب مـن مئتـين مـن القبـور، ويعتقـد أنـه تضـم نحـو ألـف قـبر. ربمـا تـؤرخ مـن أواخـر عـصر العبيـد أو بدايـات عـصر الـوركاء.

ولعـل أهـم مـا عـثر عليـه مـن آثـار في هـذه المدينـة مـا يعـرف بأسـد أريـدو، وهـو عبـارة كتلـة مـن الحجـر موشـورية الشـكل بارتفـاع يقـرب مـن 164 سـم وعـرض 70 سـم، عمـل مـن حجـر المسـتماز الصلـب (نـوع مـن حجـر البازلـت)، ويسـتند التمثـال عـلى عجـزه بوضـع شـاقولي خـالٍ مـن أيـة انحنـاءة مـما يقربـه مـن الوضـع الطبيعـي، ويشـكل الـرأس ثلـث الجسـم تقريبـاً وفيـه تتباعـد حفرتـا العينـين أكـثر مـما مألـوف، وربمـا كانتـا مطعمتـين بمـادة أخـرى، ويبـدو الفـم طبيعيـاً وصغـيراً وخاليـاً مـما يشـير إلى القـوة والتحفـز. وربمـا يـؤرخ مـن عـصر أور الثالثـة أو مـن عـصر إيسن-لارسـا (الشـكل: رقـم 6).

(7-2)
مدينة الوركاء

7-2-1 تمهيد

تعـد مدينـة الـوركاء مـن أشـهر المـدن السـومرية، وهــي (ارُك) في التوراة(سـفر التكويـن 10:10)، وتقـع عـلى بعـد 60 كـم جنـوب شرق مدينة السـماوة. وكتـب أسـمها باللغـة السـومريين بصيغـة (أوروك=ki UNUG)، جـاء ذكرهـا في إثبـات الملـوك السـومريين بصيغـة (أي-أنّـا=E-Anna)، وهـو أحـد قسـمي المدينـة، وتسـمى الآن الـوركاء، فقـد ورد هـذا الاسـم في المصـادر والكتابـات العربيـة، وهـو متـداول في المصـادر الأثريـة العربيـة والأجنبيـة.

ويعتقـد أن اسـم المدينـة ليـس سـومرياً وإنمـا يعـود للأقـوام التـي عرفـت بالفراتيـين الأوائـل كـما أشرنـا في مواضـع سـابقة. وذكــرت في ملحمـة گلگامـش باسـم أوروك ربيتـم أي المدينـة العظيمـة، أو أوروك سـبوري أي المدينـة ذات الأسـوار. وسـميت في المصـادر الإغريقيـة (Orugeia)، في حـين كتـب باللغـة اللاتينيـة (Orchoi). ويـرى الباحـث أدوارد كيـرا في كتابـه الشـهير (كتبـوا عـلى الطـين) أن اسـم المدينـة يعنـي المستوطن، وإن اسـم العـراق الحديـث جـاء مـن تسـمية (أوروك). وهــي مركـز عبـادة الإلـه آن إلـه السـماء، والإلهـة أينانـا (عشـتار)، وقـد زينـت جـدران معبـد الأخـيرة بالفسيفسـاء الجميلـة ذات الألـوان الجميلـة

منهـا الأحمـر والأبيـض والأسـود مـما اضفـى عليـه بهـاء ورونقـاً جميـلاً. وتتألـف بقايـا المدينـة مـن مجموعـة تلـول ومرتفعـات، وكانـت المدينـة في السـابق تنقسـم إلى حيـين سـكنيين هـما: كُلاب (Kullaba) في الجهـة الغربيـة، وأي-أنّـا(E-Anna) في الجهـة الشرقيـة. وهـي محاطـة بسـور جـاء ذكـره في ملحمـة گلگامـش الشـهيرة، ويبلـغ محيطـه نحـو 9،5 كـم. وتذكـر المصـادر الكتابيـة القديمـة أن نهـر الإيتورونـگال كان يمـر بالقـرب منهـا، إذ يـرد في أحـد النصـوص: (عـلى الحقـول الزاهيـة لأوروك، خرافـك سـتأكل شـعيري، وصغـارك سـتشرب المـاء مـن «Ud-nun-i7».

ويرجـع تاريـخ بنـاء هـذه المدينـة أول مـرة إلى الألـف الخامـس قبل الميـلاد في عـصر العبيـد، إذ بنيـت مسـاكنها الأولى ومعابدهـا مـن الطـين والحـصران والقصـب، ووجـدت بقاياهـا في أعمـق طبقـات المدينـة. وتعاقبـت عـلى السـكن فيهـا كثـير مـن الأقـوام مثـل: السـومريون، والأكديـون، والبابليـون، والكيشـيون، ومـن ثـم حكمهـا الآشـوريون، ومـن بعدهـم الكلديـون، ومـن ثـم جـاء الفـرس الأخمينيـون، كـما شـيد فيهـا الإغريـق والسـلوقيون والفرثيـون كثـير مـن المبـاني مـا زالـت بقاياهـا إلى اليـوم.

وقـد نقـب الجيولوجـي الإنجليـزي (وليـم لوفتـس) في هـذه المدينـة عـام 1849م، ومـن ثـم نقبـت بعثـة ألمانيـة عـام 1912م، وتوقـف العمـل نتيجـة الحـرب الكونيـة الأولى، وأُسـتونف ثانيـة عـام 1928م مـن البعثـة نفسـها برئاسـة (نولدكـه)، واسـتمر العمـل لمواسـم عـدة توقـف مـع الحـرب العالميـة الثانيـة، وقـد مثـل الآثـار العراقيـة في المواسـم كلٍّ مـن الأسـتاذ طـه باقـر، والسـيد فـؤاد سـفر، وفـرج بصمجـي، ومحمـود

العينجـي. وتواصـل العمـل عـام 1954م لفـترات متقطعـة حتـى عـام 1989م. وتركـزت الأعـمال في كل المواسـم تقريبـاً في منطقـة (أي- أنّـا) كونهـا أهـم أجـزاء المدينـة، ومـع أن الكشـف الآثـاري كان محـدوداً إلا أنـه كان مهـماً لكشـفه عـن الوظائـف الأساسـية في منطقـة (أي -أنّـا) المركبـة التـي قدمـت فهـماً للتطـورات الاجتماعيـة والاقتصاديـة.

7-2-2 الكتابة

لعـل أبـرز وأهـم الاكتشـافات في هـذه المدينـة وجـد في الطبقـة الرابعـة منهـا (تقسـم عـادة إلى ثلاثـة أقسـام (A،B،C). فقـد ظهـر فيهـا أهـم الابتـكارات التـي تنسـب إلى سـكان الـوركاء: الكتابـة. فقـد ظهـرت الكتابـة في هـذه الطبقـة وتحديـداً في القسـم (A) منهـا. وتعـد الكتابـة ابتـكاراً وتقدمـاً حضاريـاً كبـيراً وحقيقيـاً إذا مـا قيـس بـأي اخـتراع أو ابتـكار آخـر. ويسـمى نظـام الكتابـة الوركائيـة بالكتابـة (قبل المسـمارية) لأن العلامـات المرسـومة عـلى الطـين بخطـوطٍ نحيفـة أو رفيعـة كانـت في هـذه المرحلـة صوريـة عرفـت بـ(Pictography) فهـي لا تلائـم مـا عـرف عـن الكتابـة في المراحـل اللاحقـة بأنهـا كتابـة مسـمارية (Cuneiform)، وهـي كلمـة لاتينيـة تعنـي شـكل المسـمار أو الأسـفين، وهـو الشـكل الـذي اسـتمدته عـن طريـق أدوات الكتابـة؛ فالقلـم (مجـازاً) هـو قصبـة الـبردي أو القصـب، وألـواح الطـين هـي الأوراق (مجـازاً)، وبمـا أن الطـين بعـد جفافـه، ولا سـيما بعـد فخـره يصبـح مـادة قويـة غـير قابلـة للتلـف بسـهولة فـإن تربـة بـلاد الرافديـن تضـم أعـداد هائلـة مـن هـذه الرُقـم مـن أواخـر الألـف الرابـع ق.م، وحتـى القـرن الأول الميـلادي تقريبـاً. وقد

أختلـف شـكل وحجـم هـذه الألـواح (الرُقـم)؛ فمنهـا البيضـوي ومنهـا الدائـري تقريبـاً أشـبه بكعكـة منبسـطة في حـين كانـت الرُقـم المتأخـرة مسـتطيلة الشـكل تقريبـاً، ويـتراوح حجمهـا مـا بـين حجـم علبـة الثقـاب إلى حجـم دفـتر كبـير مـع أن أكـثر الرُقـم كانـت ذات حجـم صغـير يمكـن مسـكها باليـد (الشـكل: رقـم 7).

ويشـير بعـض الباحثـين إلى وجـود بعـض الوسـائل والأدوات التـي وظفـت لأغـراض التذكـر والإخبـار سـبقت وجـود الكتابـة مـن دور الـوركاء، وقـد تمثلـت في كتـل طينيـة يخدشـها المـرء للتعبـير عـن أعـداد الحيوانـات وبعـض الأشـياء المحـددة بشـكل رمـزي. وكانـت توضـع بأعـداد معينـة في مـا يشـبه الكيـس مـن الجلـد أو القـماش، أو في مظـروف طينـي مغلـق (bullae)، عـادة مـا تحمـل عـلى وجهها الخارجـي طبعـة ختـم أو أكـثر، أو تحمـل أشـكالاً هندسـية هـي في الواقـع طبعـات الـدلالات المحفوظـة في داخلهـا. واسـتعمل النـاس بعـد أواسـط الألـف الرابـع ق.م، رُقـماً طينيـة عليهـا علامـات عدديـة أكـثر تميـزاً مـن ناحيـة الشـكل، وكذلـك بعـض الرمـوز الدالـة عـلى الأعـداد، ومـن ثـم طبعـات الأختـام. وتعـرف هـذه الكتـل الطينيـة باسـم توكـين(Token)، أي الـدلالات الطينيـة. ولكـن هـذه الوسـائل المسـاعدة بقيـت غـير كافيـة للتعبـير عـن الاحتياجـات المتنوعـة والمتزايـدة إلى نظـم للعلامـات الكتابيـة (الشـكل: رقـم8).

كان أصـل الكتابـة متواضعـاً، ولم تظهـر في البدايـة لخدمـة الديـن إلا بشـكل غـير مبـاشر، ولا لتدويـن أو نقـل الأحـداث التاريخيـة أو الكتابـة الأدبيـة أو الأفـكار الإنسـانية بـل كانـت مجـرد وسـيلة لتدويـن

حسابات المعابد المملة، لذلك فالكتابة كانت طريقة لـ(مسك السجلات أو الدفاتر). فكانت أقدم النصوص المعروفة هي قوائم بالدواجن والمعدات الزراعية وغيرها. فالمرحلة الأولى، وهي الصورية (Pictograph) كانت واضحة كثيراً غير أن حقيقة أن بعض الأشياء المرسومة أحياناً قد بُسطت وأُختزلت هي السبب الرئيس في افتراض أن الكتابة المعروفة لدينا من هذه الحقبة كانت قد مرت بمرحلة من مراحلها الصورية الأصلية(الشكل: رقم 9). فضلاً عن ذلك فأن هناك عدداً كبيراً من العلامات الصورية التي تمثل أشياء؛ كالحيوانات البرية قلما كانت هناك ضرورة للإشارة إليها في سجلات المعبد، وهذا يدل على أن بعض العلامات كانت تحمل معانٍ غير معاني الأشياء المادية التي تمثلها أصلاً. وبما أن شكل الكتابة الأولى كان صورياً بحتاً، ولأن اللغة المكتوبة لا يمكن تحليلها إلا إذا كانت الكتابة تمثل أدوات النحو أو الصرف، فضلاً عن الصور فإنه من المستحيل أن يعرف على نحو مؤكد أي من اللغات استعملت من مبتدعي كتابة عصر الوركاء، ولكن عندما تطورت الكتابة إلى المرحلة التي يمكن التعرف فيها على الأدوات النحوية فإن اللغة المدونة كانت بالتأكيد هي اللغة السومرية.

وتمتد جذور الكتابة الصورية في ممارسات وأشكال الفن التشكيلي. وإن الفرق الوحيد، وهو فرق جوهري وكافٍ ليكون ثمة «تغيير نوعي»، هو أن لا يتوقف الأمر من بعد على فن بل على كتابة، وهو إرادة متعمدة وواضحة لمدلول هو في آنٍ واحد أكثر تعميماً وأكثر تميزاً، وبالنتيجة فهو تنظيم حقيقي. فتقديم

العلامات يتخذ شكلاً موحداً أكثر ما أمكن، وليس من بعد متروكاً لحرية الفنان، وجدول علامات منظم، كما نرى ذلك في اللوائح التي وضعها الكتبة لاستعمالاتهم. ويبدو أنهم قننوا المعاني المختلفة الممكنة لصورة رمزية بعينها، وقلصوها على عدد قليل يحددها بكفاية: فعلامة الرجل، التي قد تذكر بشيء آخر أيضاً، ابتداءً من هذا العضو، تخصصت لبعض نماذج من المفاهيم.

وفي المرحلة الثانية التي عرفت بالمرحلة الرمزية(Ideagraphy) أصبح الرمز أو الرمز الواحد يمثل كلمة، وإن كانت لها قراءة مقطعية. ومن ثم تطورت الكتابة في المرحلة الثالثة إلى المقطعية(Syllabic). ويمكن عد المرحلة المقطعية الابتكار المهم الثاني في تأريخ التدوين، وقد ظهرت الألواح الأولى المكتوبة بهذه الطريقة في مدينة أور، وتعود إلى عصر السلالات المبكرة الأول والثاني. ونجد فيها أول استعمال معروف لمقاطع صوتية أملتها الحاجة إلى التعبير. وتعتمد الكتابة المقطعية على اختيار علامات مسمارية تكون أصوات كل مجموعة منها كلمة واحدة من دون أن يكون لمعنى كل علامة أو مدلولها صلة بذلك، أي أن ما يستعمل هنا هو القيمة الصوتية للعلامة أو لفظها لتكوين كلمة يشكل ذلك الصوت جزءاً من تهجئتها. وهكذا فإن مجموعة مقاطع تكّون بجميع قيمها الصوتية معاً كلمة معينة للتعبير عنها برسم شيء مادي على وفق الطريقة الصورية أو الرمزية. وقد هيأت المقطعية للكاتب القديم قدرة كبيرة على رسم الكلمات التي يريد تدوينها حتى ما كان منها بعيداً عن الأشكال المادية التي يمكن رسمها ومن ذلك الأفعال، والصفات، والمعاني المجردة.

كانـت الغالبيـة العظمـى مـن النصـوص أو الرُقـم الكتابيـة القديمـة عبـارة عـن معامـلات أو إجـراءات اقتصاديـة، وتنـاول بعضهـا الآخـر معامـلات دنيويـة؛ مثـل بيـع الأراضي، أو القـروض، أو النقـوش الملكيـة، والرسـائل، والأسـاطير، والأدب، وسـجلات للحمـلات الملكيـة، وألـواح تمثـل تماريـن مدرسـية، ونصـوص رياضيـة، وأخـرى فلكيـة. ويكشـف هـذا التنـوع الواسـع للوثائـق المسـمارية المتيـسرة للعلـماء عـن كثـير مـن المعلومـات، وإن كان فهمهـا صعبـاً إلى حـدٍ مـا. كـما أن هنـاك مشـاكل في الترجمـة الصوتيـة كذلـك فـإن تهشـم الألـواح وتكسرهـا يشـكل أحـد المشـاكل المؤثـرة في تعاملنـا مـع هـذه اللغـة. وتـؤدي الصدفـة الأثريـة دوراً مهـماً في الحصـول عـلى المعلومـات، فضـلاً عـن تركـز أعـمال التنقيـب عـلى مراكـز المـدن والتـلال الكبـيرة مـما يجعـل كثـير مـن تفاصيـل حيـاة الإنسـان العـادي مبهمـة، وأخـيراً فـأن الترجمة ومشـاكلها وعـدم القـدرة عـلى التعبـير عـن أفـكار قديمـة تقـف حاجـز بوجـه الفهـم لكثـير مـن الأمـور.

3-2-7 **تطور الاستيطان في مدينة الوركاء**

يلاحـظ في تطـور الاسـتيطان في مدينـة الـوركاء أنهـا بـدأت كقريـة صغـيرة في عـصر العبيـد ضمـت بيـوت طينيـة صغـيرة وربمـا رافقتهـا بيـوت مـن القصـب شـبيه ببيـوت سـكان الأهـوار في الوقـت الحـاضر مثـل كثـير مـن المـدن الجنوبيـة التـي بـدأت بهـذه الطريقـة. إلا أن المدينـة تطـورت بمـرور الوقـت حتـى أنهـا أصبحـت في أواخـر عـصر الـوركاء مسـتوطنة فـاق حجمهـا بشـكل كبـير مـا كان مـن حجـم

المستوطنات الأخرى مما يشير إلى أنها كان مركزاً للمنطقة، وأنها كانت مدينة حقيقة، وأنها يمكن أن تعد أقدم وأول مدينة في التاريخ الإنساني، وكانت محاطة بمستوطنات ثانوية، وتوسعت من 100 هكتار إلى 210هكتار. لقد أسهمت القوى الطبيعية بشكل مهم في فعاليات مستوطنة الوركاء كما يقول آدمز.

في حين غطت المدينة في عصر السلالات المبكرة مساحة قدرت بأكثر من 400 هكتار مع سيطرة محتملة على أماكن خارج الأسوار. ولم تكن المدينة نفسها هائلة فحسب بل كانت مجمعات المعبد فيها كانت أيضاً ضخمة للغاية ومصممة بشكل متقن كما في مجمع أي- أنّا. وقد كشف عن مجموعة من هذه المعابد في أغلب مستوطنات هذه المرحلة أبرزها، وأهمها مجموعة المعابد في مدينة الوركاء العائدة إلى عصر الوركاء المتأخر، وتحديداً من منطقة أي- أنّا، وهي منطقة مقدسة تتوسط القسم الشرقي من المدينة، وكانت مخصصة لعبادة الإلهة أينانا(عشتار)، ومن مناطق مجاورة لها.

وقد أحيطت مدينة الوركاء بسور دفاعي كما اشرنا، وهو من أشهر الأسوار المعروفة التي يحتفي بها الأدب الرافديني، وبلغ محيطه نحو 9,5 كم، وهو مزود بأبراج نصف دائرية، وهو يحيط بمنطقة تزيد عن 550 هكتار. وزودت المدينة من الداخل بأبواب فاصلة شكلت مع السور الدفاعي الحد الفاصل بين المدينة والمدن الأخرى. ويبدو أن السلطات كانت تفحص البضائع الداخلة، وقد أصبحت هذه البوابات في عصور لاحقة مراكز وأماكن لممارسة الأعمال القانونية والتجارية وكانت تنشر المراسيم الرسمية هناك

أيضاً. ونشير إلى أن المنطقة الدينية إي-أنّا كانت محاطة بسور يبلغ سمكه نحو 6 أمتار، وكان هذا السور مزدان بترتيبات الدخلات لكن ما يؤسف له أن هذا السور قد دمر في كثير من المناطق.

4 - 2- 7 **الحالة السياسة في مدينة الوركاء**

في الجانب السياسي تشير جداول الملوك السومرية إلى أن الملوكية هبطت بعد الطوفان في مدينة كيش، وانتقلت بعدها إلى الوركاء: (ضربت كيش بالأسلحة ونقلت ملوكيتها إلى «أي-أنّا»)، وقد حكم فيها اثنا عشر ملكاً فيما عرف بسلالة الوركاء الأولى لمدة 2310 سنة، وكان الملك (ميسكيگاشر) مؤسس السلالة وأول ملوكها، ويرد أسمه في جداول الملوك السومرية على أنه ابن الإله أوتو (شمش) ويذكر مع أسمه عبارة: (أنه ذهب إلى البحر وصعد الجبال وحكم بصفته سيداً ثم ملكاً). وجاء بعده ابنه أنميرگار الذي ينسب إليه تشييد مدينة الوركاء، وقد حكم مدة 420 سنة. وقام هذا الملك بالجمع ما بين قسمي مدينة الوركاء (أي-أنّا) و(كُلاب)، وجعل منهما مدينة واحدة يحيط بها سور كبير.

وحدثت في زمنه حالة الحرب بين مدينة (الوركاء) ومدينة (أرّاتا)، وذلك في نحو 2600 ق.م، بعد أن وجه الملك (أنميرگار) أنظاره نحو مدينة (أرتّا)، والتي كانت غنية بالمعادن والأحجار والمواد الأخرى التي تحتاج أليها مدينة (الوركاء)، وتفصل مدينة (أرتّا) عن مدينة (الوركاء) سبعة سلاسل جبلية، وهي تقع فوق قمة جبل ويصعب الوصول إليها، ومع كل تلك الصعوبات فقد

أصر(أنمــيركار) عــلى إخضــاع تلــك المدينــة وجعــل أهلهــا وحاكمهــا ومواردهــا تحــت ســيطرته فقــام بشــن الحــرب عليهــا بعــد أخــذ الأذن بالحــرب مــن الإلهــة (أينانــا)، وأرســل رســائل عــدة تحتــوي عــلى تهديــد وتحــدٍ لحاكــم (أرتّــا) إذا لم ينفــذ شروطــه ولم يرســل الأحجــار الكريمــة والفضــة إلى معبــد الإلهــة(أينانــا) في الــوركاء، وبنــاءه معبــد مدينــة (أريــدو) وتزيينــه، ولكــن مــا يؤســف لــه أن النــص غــير مكتمــل.

وحكــم لــوكال بانــدا لمــدة 1200 عــام كــما تشــير الجــداول، وعــرف باســم الراعــي، وربمــا كان أحــد رســل ســلفه أنمــيركار أو أحــد رفاقــه. وذكــرت بعــض القصــص الســومرية عــلى أنــه كان والــد البطل الســومري كلكامــش، وليــس كــما يعتقــد بعــض الباحثــين مــن أنــه زوج نينســون والــدة كلكامــش، وكان يلقــب بـ(ليلــو) التــي تعنــي كاهنــاً أعــلى ولقــب بكاهــن كُلاب أيضــاً. عمومــاً لا تشــير هــذه الوثيقــة إلى أنــه ينحــدر مــن عائلــة ملكيــة أو كهنوتيــة. وقــد حمــل لقــب (لــوكال)، ويعتقــد أنــه أول لقــب بهــذا اللقــب مــن بــين ملــوك ســلالة الــوركاء الأولى.

وكان دومــوزي(Dumu-zi) هــو الملــك الرابــع في الســلالة، والــذي يعنــي اســمه الابــن البــار أو الصالــح. وكان صائــد ســمك وفقــاً للجــداول الســومرية وقــد حكــم (1000) عــام. وحمــل لقــب دمــوزي الراعــي، وكان مشــاركاً فاعــلاً في الكثــير مــن الحكايــات والقصــص الســومرية. وهــو إلــه الخصــب والنســل في الحيوانــات والنباتــات. وكان يشــارك في الــزواج المقــدس، وغالبــاً مــا كان البطــل في أســطورة الإلــه الميــت، وهــو حبيــب وزوج الإلهــة أينانــا (عشــتار)، ونســب إلى اســمه شــهر(تموز).

ويعـد الملـك الخامـس في هـذه السـلالة الأشـهر في تأريـخ وحضـارة بـلاد الرافديـن أنـه گلگامـش الـذي سـنخصص لـه مبحـث خـاص. وحكـم بعـده ملـوك عـدة مـن المؤكـد أنهـم كانـوا ضعفـاء لـذا لم تـرد عنهـم سـوى إشـارات قليلـة.

في حـين حكـم في سلالة الـوركاء الثانيـة ثلاثـة ملـوك، وقـد ذكـرت جـداول الملـوك اسـمائهم ومـدد حكمهـم فقـط، فقـد حكمهـم أولهـم سـتون عامـاً، ولكـن اسـمه سـقط مـن هـذه الوثيقـة، وجـاء بعـد الملـك لـوگال-أوري الـذي حكـم مائـة وعـشرون عامـاً، وحكـم بعـد سـلفه أرگينـدا فقـط سـبعة أعـوام، وبعـده تنقـل الملوكيـة إلى أور مـرة أخـرى عـلى وفـق الصيـغ الـواردة في هـذه الجـداول.

وقـد جـاءت إشـارة تأريخيـة تذكـر بعـض الشـخصيات التـي يمكـن أن تكـون قـد حكمـت في هـذه السـلالة الثانيـة، ومنهـم شـخص يحمـل لقـب (السـيد =En) وأسـمه (أيـن- شـاكس-أنّا= En-Šakus-anna)، وقـد لقـب نفسـه أيضـاً بملـك سـومر وأكـد، وقـد حكـم في نهايـة القـرن الرابـع والعـشرون قبـل الميـلاد. وحكـم بعـده الملـك لـوگال-كينيشـيدودو(Lu-gal-ki-neŠ-dudu)، وربمـا كان معـاصراً للملـك أنتمينـا حاكـم لگـش، فقـد عقـد معـه اتفاقيـة، وأشـارت الكتابـات المسـمارية إلى أنـه كان سـيداً عـلى مـدن أور وأومّـا وكيـش، وخلفـه ابنـه الملـك كيسـالسي(Ki-sa-al-si).

وأسـس لـوگال زاگيـزي، وهـو آخـر حـكام مدينـة (أومـا)، سـلالة الـوركاء الثالثـة مـن نحـو (2342-2334 ق.م)، وهـو مـن طبقـة الكهنـة

كما أشرنا في موضع سابق، إذ كان والده كاهناً للإلهة (نيسابا) إلهة دويلة أومّا، وربما كان جزرياً كما يشير اسم أبيه إلى ذلك. وهو من قضى على مملكة لگش. وكان يفخر بأنه سيطر على معظم بلاد سومر ولقب نفسه بملك أوروك، ويبدو أن المدينة أصبحت عاصمة له كما جاء في أحد نصوصه الكتابية. وبعدها جاءت نهايته على يد ملك قوي آخر هو الملك سرجون الأكدي مؤسس السلالة الأكدية (2334 - 2112 ق.م) ويبدو أن الملك (سرجون الأكدي) تمكن من تجهيز جيش قاده من مدينة كيش في حملة عسكرية ضد لوگال زاگيزي، وتمكن من تحقيق النصر ودخول مدينة الوركاء والسيطرة عليها وقام بهدم أسوارها، ويبدو أن لوگال زاگيزي أنسحب بجيشه من مدينة الوركاء، وحصل على مساعدة من خمسين أميراً قدموا من مقاطعات متعددة، إلا أن سرجون الأكدي وجيشه تمكن من إيقاع خسائر كبيرة منهم، ويذكر في نص له كيف أنه تمكن من أسر لوگال زاگيزي، وأقتاده أسيراً مكبلاً وأجلسه ذليلاً عند بوابة الإله(أنليل) في مدينة (نفر)، ليلعنه كل من يدخل إليه، وبذلك أنهى سرجون الأكدي حكم لوگال زاگيزي وأنهى معه ما عرف بعصر السلالات المبكرة.

ويبدو أن المدينة بقيت تحظى بالرعاية والاحترام في حكم الدولة الأكدية، فهي مركز عبادة الإله «آن» سيد الآلهة وكبيرها في مجمع الآلهة الرافدينية، والإلهة أينانا سيد الوركاء العظيمة. وتذكر جداول الملوك أن مجموعة من الملوك حكموا في المدينة سقوط الدولة الأكدية، ونعرف فقط اسمائهم ومدد حكمهم

ومنهـم أور-نگـن، وأور-گيگـر، وكُـدا، و بوزور-إيـلي، وأخـيراً أور- اوتـو. وتصبـح المدينـة بعدهـا تحـت حكـم الگوتيـين حتـى مجـي البطـل المحـرر أوتو-حيـكال وهـو أحـد أبطـال هـذه المدينـة الـذي يصـف نفسـه بالرجـل القـوي، وملـك الـوركاء، الـذي ليـس بوسـع أحـد أن يخالـف أمـره كـما أشرنـا في موضـع سـابق. لقـد قـاد هـذا البطـل السـومري حـرب التحريـر ضـد الأقـوام الگوتيـة التـي غالبـاً مـا توصـف بأنهـا ثعبـان وعقـرب الجبـل، وهزمهـم وأسرهـم قائدهـم تـيرگان في مدينـة دوبـروم، وأعـاد الملوكيـة إلى بـلاد سـومر.

ومـع مـرور الزمـن أصـاب الوهـن المدينـة ربمـا بسـبب تغـير مجـرى نهـر الفـرات وابتعـاده عنهـا، الأمـر الـذي انعكـس عـلى حيـاة الاقتصاديـة وركنهـا الرئيـس وهـو الزراعـة فأصابتهـا الملوحـة بمقتـل وتدهـور نظـام الـري، عمومـاً يبـدو أنهـا بقيـت كقريـة صغـيرة حتـى العصـور الإسـلامية.

(7-3)
مدينة لگش

7-3-1 الموقع

تعد مدينة لگش واحدة من أعرق وأهم المدن السومرية، تقع على بعد 24 كم شرق مدينة الشطرة في محافظة ذي قار. وتتميز مدينة لگش بخصوبة أراضيها ووفرة مياهها إذ تتخللها كثير من قنوات الري التي تربطها بنهري دجلة والفرات، ويحتمل أن شط الغراف الحالي أو أحد المجاري القريبة منه كان يمثل قناة أنتيمينا. ويحتمل أن نهر دجلة كان يمر بالمدينة في حدود الألف الثالث ق.م، أو بالقرب منها باتجاه شط الغراف في طريقه إلى الخليج العربي، وقد استثمرت المدينة هذه الممرات المائية بأفضل الطرائق فازدهرت تجارتها النهرية وانتعش اقتصادها الأمر الذي انعكس في زيادة الاستقرار ونشوء سلالة حاكمة فيها حكمت لستة أجيال تقريباً كما أشرنا. إذ يعزى ازدهارها إلى كونها ميناء نهري مثل مدينة أور. وقد كانت المدن الرئيسة لدويلة لگش تقع على خط واحد يبدأ من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على مجرى نهر قديم يروي أراضيها ما بين نهر دجلة شرقاً ونهر الفرات غرباً.

تتوسط المدينة منطقة خصبة تتخللها قنوات الري مما جعلها تتمتع بوضع اقتصادي مميز وتجارة نهرية، وهو ما جعل منها مهداً

لكثير من السلالات السومرية المميزة. وتتكون المدينة من ثلاثة أقسام هي: گرسو(تلو) قرب شط الغراف، وسرغل(نينا)، وهي المدينة المقدسة ومركز عبادة الإلهة نانشة، وتل الهباء وهو مركز مدينة لگش.

كتب أسمها باللغة السومرية بالصيغة المقطعية الآتية (Šir-bur-lak ki):، في حين تتكون لفظة لگش من أكثر من مقطع: (La-gaš)، ويحتمل أنها القراءة الحديثة لـ(Šir-bur-lak)، التي يرجح أن معناها «طائر الغراب»، أو ربما رمزاً لجماعة أو قبيلة. ويحتمل أن يكون هذا الاسم ليس سومرياً ويعود بجذوره إلى ما يعرف بالفراتيين الأوائل الذين ربما سبقوا السومريين في السكن في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين كما أشرنا في الفصل الثاني. ومن تسميات المدينة الأخرى (Uru-ku-ug)، أي المدينة المقدسة وهي صفة لها. ويطلق عليها بعض الباحثين أسم لگاشو(Lagašu).

وتعد نتائج التنقيبات التي قامت بها البعثة الفرنسية في هذه المدينة عام 1877 م على قدر كبير من الأهمية، إذ أنها سلطت الضوء على دولة مدينة لگش وأعمال ملوكها عن طريق الوثائق والنصوص التي عثر في أثناء التنقيبات، ومن أهم هذه الوثائق تلك التي صورت لنا النزاع بين لگش وأومّا ومعاهدة الصلح التي أشرنا إليها سابقاً.

وقد أجرى السيد (ثوركيلد جاكوبسين)عمليات مسح وتنقيب للمنطقة في المدة بين عام 1953-1969م لصالح جامعة هارفارد، وحدد القناة التي تفصل بين المدينتين التي ذكرت من الحاكم

(أنتمينـا)، والتـي تسـمى بالقنـاة العظيمـة، ويبـدو أن بعـض المنطقـة كانـت مغطـاة بكميـات ثقيلـة مـن الطمـي. ويصعـب عـلى كل حـال تحديـد تفاصيـل عمليـات الهجـر المؤقـت للمـدن في أثنـاء انحسـار نفـوذ القـوى المحلية عـن طريـق نـوع بيانـات المسح المتاحـة. ويبـدو أن وقـوع بعـض المسـتوطنات ذات المسـاحة المتوسـطة عـلى مجـرى مـائي واحـد أدى إلى أن تمـارس المسـتوطنات التـي تقـع في أعـلى النهـر أو بالقـرب مـن منابعـه قـدراً مـن التحكـم في إمـداد الميـاه إلى المـدن التـي تقـع في أسـفل مجـرى النهـر، وهـذا مـا انعكـس عـلى حالـة الـصراع المسـتمر بـين المـدن كـما في حالـة الـصراع بـين مدينتـي أومّـا ولگـش في عـصر السـلالات المبكـرة الثالـث.

وجـرت تنقيبـات أمريكيـة في الأعـوام 1984م و1990م من مؤسسـات مختلفـة كشـفت عـن جوانـب مشرقـة مـن تاريـخ هـذه المدينـة العريقـة، لعـل مـن أبـرز مـا عـثر عليـه المسـلة الشـهيرة التـي عرفـت بمسـلة العقبـان أو النسـور، فضـلاً عـن مجموعـة مـن الألـواح النذريـة، فضـلاً عـن الكثـير مـن الألـواح الكتابيـة.

2-3-7. الاستيطان في مدينة لگَش

كانـت المدينـة في بداياتهـا الأولى عبـارة عـن قريـة صغـيرة، ربمـا تعـود إلى عـصر العبيـد، مثلهـا مثـل الكثـير مـن مـدن السـهل الرسـوبي التـي تطـورت بمـرور الزمـن إلى مـدن معظمـة. ويبـدو أن نمـو القـرى والمسـتوطنات التابعـة لهـذه المدينـة واندماجهـا مـع بعضهـا في الألـف الثالـث ق.م، أدى إلى أن تتطـور إلى مدينـة كبـيرة. ويمكـن أن يكـون هـذا الأمـر قـد حصـل في

عـصر السـلالات الثـاني مـن نحـو 2700 ق.م، واسـتمرت مدينـة كبـيرة حتـى منتصـف العـصر البابـلي القديـم. وكان لموقعهـا دوراً مهـماً في التكويـن السـياسي لدويلـة مدينـة لگـش، إذ أنهـا تتوسـط إقليـم خصـب كـما أشرنـا. وكانـت المدينـة تضـم مجمعـات سـكنية، وقـدر عـدد سـكانها بنحـو 36 الفـاً اعتـماداً عـلى مـا جـاء في بعـض الكتابـات، في حـين قـدر الباحـث (هـنري فرانكفـورت) سـكان مدينـة لگـش بمـا يقـرب مـن 100 الـف نسـمة.

لقـد كانـت المـدن الرئيسـة في أواخـر عـصر السـلالات المبكـرة كبـيرة ومأهولـة بالسـكان. وربمـا كانـت لگـش هـي الأكـبر بـين هـذه المـدن، إذ بلغـت مسـاحة الاسـتيطان فيهـا بحـدود 500 هكتـار. في حـين بلغـت مسـاحة منافسـتها أومّـا نحـو175-200 هكتـاراً. ويبـدو أن هنـاك علاقـة عكسـية بـين النـزاع المسـتمر والاسـتقرار لذلـك فـإن مـا ندعـوه عـصر دويـلات المـدن كان مرحلـة غـير مسـتقرة لان نسـبة قليلـة مـن السـكان شـعرت بالأمـن بمـا مكنهـا مـن الاسـتقرار في الأريـاف خـارج أسـوار المـدن.

3 - 3 - 7 الحالة السياسية في مدينة لگَش

تعـد سـلالة لگـش الأولى مـن أهـم السـلالات التـي حكمـت في بـلاد الرافديـن في عـصر السـلالات المبكـرة، وقـد أشرنـا إلى حكامهـا في موضـع سـابق، وإن آخرهـم هـو المصلـح أوركاجينـا (أوروانمگينـا). وقـد حمـل هـؤلاء الحـكام لقـب أنـسي الـذي يعنـي الحاكـم أو الأمـير أو حاكـم المدينـة المسـتقلة. وأشرنـا إلى حالـة الـصراع بينهـا بـين جارتهـا والعـدو اللـدود لهـا مدينـة أومّـا، وكيـف دونـت تفاصيـل هـذا الـصراع في واحـدة أهـم الوثائـق التأريخيـة السـومرية مـن عهـد الملـك أنتمينـا.

(4 –7)

مدينة أور

7-4-1 التنقيبات في مدينة أور

لا يختلف اثنان على أن مدينة أور واحدة من أعظم مدن العالم عبر التأريخ، وهي مدينة خالدة لا تموت. وترجع شهرة أور المبكرة إلى ما ورد من وصف في سفر التكوين (11: 28، 31)، الذي يذكر أن المدينة كانت مسقط رأس إبراهيم، الأب المؤسس للشعب اليهودي. وتحيط بالمدينة في الوقت الحاضر مجموعة من التلال التي تقع على بعد ستة عشر كم غرب نهر الفرات، وهي الآن صحراء رملية في جنوب العراق الحديث.

وقد ذكرت المصادر الكتابية القديمة مدينة أور بصيغ عدة منها: ki -ma(M)Uri 5 أو unu ki-ŠEŠ أو ŠEŠ-ab ki، وتعني (ŠEŠ-ab Ki) حرفياً (أخت البحر أو القريبة من البحر)، إذ يعني المقطع (ŠEŠ) أخ أو بمحاذاة أو قريب، في حين يعني المقطع الثاني (AB) البحر. وربما تعكس هذه التسمية واقع المدينة الجغرافي منذ نشأتها الأولى قريباً من شاطئ البحر، أو ربما قرب الأهوار كمصدر مائي يتصل بالبحر السفلي ونعني الخليج. ووردت التسمية الأكدية بصيغة Urim، وهي قريبة من التسمية السومرية، وجاءت في الكتاب المقدس بصيغة أور الكلديين (سفر التكوين 11: 28).

كان الرحّالة الإيطالي بيترو ديلا فالا في أوائل القرن السابع عشر الميلادي أول أوربي زار الموقع، وحينما عاد إلى موطنه أحضر معه آجراً يحمل كتابات مسمارية لم يقدر أحد على قراءتها، وعدداً من الأختام الأسطوانية. وتأجج اهتمام الأوروبيين، في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، في ظل الإمبراطورية العثمانية لتحديد المكان الدقيق الذي كانت تقع فيه المدينة القديمة. وكان الأبرز من المواقع المرشحة تل (المقير، أو المگير)، وهو التل الذي قمته من القار. فقد استعمل هذا القار بدلاً عن الملاط في بعض أعمال الآجر المكشوف، وهو ما أعطى للتل اسمه. وزار السيد ج. بيلي فريزر الموقع عام 1835، ووصف البناء المكّون من طابقين في وسط التل الذي جرى تحديده لاحقاً على أنه الزقورة أو برج المعبد، وحدد أبعاده.

وجرت حملات تنقيبية عدة في مدينة أور منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكانت في الغالب من ضباط ودبلوماسيين بريطانيين، إذ عمل وليم لوفتس عام 1850 م في المدينة، ومن بعده القنصل البريطاني في البصرة ميدوس تيلر عام 1852م، وكان من ضمن فريقه التنقيبي الآثاري الشهير هنري لورنسون الذي فك رموز الخط المسماري، واستمرت التنقيبات بفترات متقطعة حتى عام 1922م حينما بدأت التنقيبات النظامية والعلمية من البعثة المشتركة بين المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا برئاسة البريطاني ليونارد وولي. وكانت الاكتشافات في أور غنية ومتنوعة على نحو لافت. وبموجب القانون الساري وقت إجراء الحفريات بقي نصف المكتشفات في العراق والباقي جرى تقسيمه بين المتحف البريطاني ومتحف جامعة بنسلفانيا، رعاة الحفريات.

7-4-2 الاستيطان في مدينة أور إلى نهاية عصر السلالات المبكرة

يـؤرخ أقـدم استـيطان فيهـا مـن عـصر العبيـد مـن أواخـر الألفيـة السادسـة إلى أواخـر الألفيـة الخامسـة ق.م، وقـد عـثر وولي عـلى أدلـة عـن المسـتوطنين الأوائـل في أور في سلسـلة الحفـر الاختباريـة الغائـرة التـي ترسـبت بعمـق 18 مـتراً، وجـرى تحديـد التاريـخ النسـبي لعـدد مـن نمـاذج الفخـار المبكـر طبقـاً للعمـق الـذي عـثر عليـه فيـه. وقـد عـاش النـاس في المسـتوطن المبكـر في مجموعـات صغـيرة في بيـوت واهيـة مـن القصـب والطـين، ربمـا تشـبه تلـك التـي مـا زال يسـتعملها عـرب الأهـوار. وقـد كان هنـاك مزيـد مـن المبـاني الكبـيرة في أماكـن أخـرى مـن المسـتوطن، إذ إن وولي كان قـد حفـر في أطـراف المدينـة. واسـتعمل النـاس الذيـن عاشـوا في هـذه الأكواخ نوعـاً مميزاً مـن الفخار سـمي بفخـار العبيـد نسـبة إلى الموقـع الـذي وجـدت فيـه لأول مـرة.

وتشـير الصـورة التـي رسـمتها المكتشـفات مـن أور إلى مجتمـع قليـل التمايـز الاجتماعـي، وربمـا عـاش حالـة الاكتفـاء الـذاتي عـلى نحـو جيـد عـلى مـوارده الخاصـة مـن الأسـماك ورعـى قليـلاً مـن الحيوانـات التـي توفـر اللحـم والحليـب والصـوف لعمـل الخيـوط. وممـا يثـير الدهشـة حقـاً أن هنـاك قليـلاً مـن المـواد المسـتوردة أو السـلع المصنعـة، باسـتثناء الفخـار. فهنـاك شـفرات مصنوعـة مـن السـبج (زجـاج بـركاني)، ومـن المحتمـل أنـه جلـب مـن بـلاد الأناضـول، أو شـبه الجزيـرة العربيـة، والقار الـذي ربمـا كان مصـدره منطقـة هيـت، ومـن المحتمـل أنـه كان يسـتعمل لمنـع تـسرب الميـاه أو مـادة لاصقـة؛ وبعـض الفـؤوس الحجريـة التـي

ربما عملت من أحجار غير محلية؛ ولكن هناك قليلاً منها، مع كثرة من الصوان والأحجار التي كانت تستعمل منذ عصر العبيد المبكر، والتي يبدو أنها سقطت في نهر الفرات في أثناء فيضانات الربيع.

لعل الاكتشاف الأكثر إثارة من وولي في طبقات عصر العبيد في مدينة أور هو طبقة سميكة جداً من الطمى التي كانت تفصل القبور السفلية وقبور القرية التي تقع أسفل منها، وقد حيّرت هذه الطبقة الطينية التي يصل سمكها إلى 3،7 م، وولي في البداية، ولكنه لم يستغرق وقتاً طويلاً حتى فسّرها على أنها بقايا فيضان هائل- في الحقيقة كان طوفان نوح (الشكل: رقم 10). فبالنسبة له، هنا يبرهن علم الآثار حقيقة واقعية من التوراة. وقد تم التشكيك في هذا الافتراض بسرعة، إذ عثر على طبقات عدة للفيضانات في عدد من المواقع الجنوبية الأخرى، ولكن ليس كلها من التاريخ نفسه مما يشير إلى احتمال حدوث عدد من الفيضانات المحلية بدلاً من طوفان واحد ضخم. وعلى النقيض من ذلك، فإن بعض المواقع تظهر غياباً مفاجئاً للفيضان. إذ لم يعثر على أية طبقة للفيضان في موقع أريدو مثلاً، والذي لا يبعد إلّا بضعة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من أور. كما أن مواقع أخرى على السهل كان فيها ترسبات الفيضان من عصور مختلفة. فقد عثر في تل فارة، على سبيل المثال، على طبقة الفيضان ضمن طبقات عصر جمدة نصر، وفي أسفلها ألواح فارة القديمة (الأركائية) التي يعتقد بشكل عام أنها تؤرخ من عصر السلالات الثاني والثالث. وعثر في كيش التي تقع بعيداً إلى الشمال على أربع طبقات من الفيضانات لم تكن أية واحدة منها بسمك

طبقـة أور، وتقـع جميعهـا بـين طبقـات جمـدة نـصر وطبقـات عـصر السـلالات الثالـث. ومـع ذلـك فـإن الذكريـات الشـعبية عـن فيضانـات استثنائية في عـدد مـن أهـم المواقـع في جنـوب بـلاد الرافديـن ربمـا أدت دوراً في تطويـر قصـة الطوفـان الشـهيرة في أسـطورة گلگامـش، وبعـض الأدلـة في القصـة التوراتيـة لأور قـاصرة في أحـد المجـالات الرئيسـة، إذ لم يعـثر وولي في خنادقـه عـلى مبـانٍ كاملـة، كـما رأينـا، وبنـاءً عـلى الأدلـة التـي قدّمتهـا أكـواخ الخـوص الطينيـة يمكـن أن نـرى أن المسـتوطنين الأوائـل كانـوا فقـراء وبسـطاء.

واسـتمرت مدينـة أور في التوسـع والازدهـار بطريقـة متواضعـة في عـصر السـلالات المبكـرة الثالـث، وبلـغ حجـم المدينـة نحـو 50 هكتـاراً ، وأصبحـت موطـن لاثنـين مـن السـلالات الحاكمـة في تتابـع سريـع إلى حـد مـا، وإن كانـت ما تـزال صغيرة بحسـب المعايير السـائدة في السـهل الجنـوبي. ويبـدو أن المدينـة تعرضـت للاحتـلال بحلـول نهايـة هـذا العـصر، وربمـا حصـل تغيـير في مجـرى نهـر الفـرات. ومـن المعـروف أن اثنـين مـن القصـور أو المبـاني الإداريـة التابعـة لهـذه المرحلـة كانـت قـد أشرتهـا عمليـات التنقيـب والمسـح الأثـري.

3-4-7 المقبرة الملكية في أور

كشـف السـيد وولي في المـدة مـن عـام 1927-1934 م عـن مقـبرة كبـيرة ضمـت مجموعـات عـدة مـن المقابـر، مـن مجموعـة تعـود إلى عـصر العبيـد وأخـرى إلى عـصر جمـدة نـصر. وتعـود مجموعـة أخـرى منهـا إلى عـصر السـلالات المبكـرة كان مـن بينهـا سـتة عـشر قـبراً مميـزاً، بنيـت في

مستوى واحد تقريباً، كما أن تجهيزاتها الجنائزية كانت ذات طابع واحد أيضاً، وربما يشير هذا الأمر إلى أنها كانت تعود إلى حقب زمنية متقاربة جداً يمكن أن تحدد بين عصري السلالات المبكرة الثاني والثالث. وعرفت هذه المجموعة بالمقبرة الملكية، وربما يكون من دفن فيها ملوكاً، وقد دفنوا مع حاشيتهم وأتباعهم والحلي الذهبية والأثاث العائد لهم في طقس ربما يرتبط بعالم ما بعد الموت -وفقاً لمعتقدهم الديني- وربما تعود لعائلة ملكية أقدم من عهد سلالة ميس- آنيبدا المعروفة بالجداول الملكية بالسلالة الأولى .

وعرفت أسماء بعض الملوك المدفونين في هذه المقبرة عن طريق أختامهم الأسطوانية التي عثر عليها مدفونة بقربهم، فقد حدد قبر الملك ميس- كالام- دوك، وقبر ابنه الملك آ- كالام- دوك، ويقع قبر الملك آباركي بعيداً عن قبر الملك ميس- كالام- دوك. كما عثر على قبور زوجاتهم، منها قبر(نن- بندا) زوجة الملك ميس- كالام- دوك التي عرفت بواسطة ختم الملك ميس -كالام- دوك الذي عثر عليه بجانب جثتها، وقبر زوجة الملك آباركي الملكة بو-آبي (Puabi)، أو ما تعرف بشبعاد، والذي كان ملاصقا لقبر زوجها، وهناك قبور أخرى ربما تعود لملوك، ولكن مما يؤسف له أنه لم يتم التعرف على أسمائهم.

ويعد قبر الملكة أو السيدة (بو-آبي = Puabi)، القبر الملكي الأغنى بين هذه القبور، وقد حدد عن طريق الكتابات على أختام تعود للمدفن الرئيس لهذه السيدة. وهي تحمل لقباً غامضاً نين- تي، والذي يمكن أن يعني ملكة، ولكنه يساوي أيضاً لقب «سيدة». وقد

دفنت السيدة مع طقم رائع من المجوهرات من بينها مشط كبير من الذهب يشبه وشاح تعلوه زهور ذهبية وأقراط ذهبية ضخمة على شكل قارب وطوق من الخرز متعدد الألوان. وعثر على ختم سائب يحمل اسم (أباركي) في حفرة قبر بو-آبي، لذا اقترح أنه قد يكون زوجها الذي ربما يكون دفن بجوار القبر(RG1789)، إذ يعتقد أن المدفن الرئيس كان لذكر لكن هذه الصورة الجذابة تخمينية للغاية كما يعتقد (الشكل: رقم 11).

7-4-4 الاستيطان في مدينة أور في عصر سلالة أور الثالثة

تحسنت حالة الاستيطان والمستوطنات في عصر أور الثالثة، إذ تميزت هذه الحقبة بإعادة الإعمار والتجديد على نطاق واسع، فقد تمت تسوية كثير من المباني من عصور أقدم لتوفير الأسس لمبانٍ عامة جديدة. لقد شهد عهد سلالة أور الثالثة اختلافاً سياسياً واجتماعيا كبيراً. وقد أنشأ ملوك أور معابداً مركزية مقرونة بأنظمة إدارية ملكية وحاولوا أحياء الهوية السومرية. وقدمت النصوص المسمارية رؤية مميزة عن حالة الاستيطان والحدود الإدارية والنشاط السكني التي لا يمكن تحديدها عن طريق المسح الأثري وحده. فقد انتقل المركز السياسي إلى مدينة أور، وأعيد بناء مدينة أريدو القريبة منها، وظهرت مدن صغيرة عدة على القناة التي تمر بجوار أور. لقد تضاعف المساحة الإجمالية للاستيطان في المنطقة عما كان عليه الحال في العصر الأكدي، وشهد وسط السهل السومري أيضاً توسعاً في الاستيطان على جميع المستويات، ولا سيما في القرى

الصغـيرة التـي توسـعت وازداد عددهـا إلى أكـثر مـن ثـلاث مـرات قياسـاً بعددهـا في العـصر الأكـدي. وربمـا يكـون هـذا النمـو المطـرد للاسـتيطان نتيجــة الاســتقرار الســياسي تحــت حكــم ســلالة أور الثالثــة، فضــلاً عـن إعـادة التوطـين المنظـم لسـكان البـلاد التـي تـم فتحهـا وضمهـا. كـما شـهد تطويـر أول نظـم الـري الشـاملة. إذ سـبق وأن لاحظنـا أن المسـتوطنات في العصـور السـابقة تركـزت عـلى طـول مجـاري الأنهـار الكـبرى، ولكــن مســتوطنات أواخــر الألــف الثالــث ق.م، كانــت تقــع عــلى القنــوات الواســعة والجــداول الفرعيــة التــي تأخــذ مياههــا مــن الأنهـار الرئيسـة وتمتـد لمسـافة 15 كـم. ويبـدو أن المناطـق التـي تقـع شـمال شرق نيبـور وشـمال أدب كانـت تضـم مثـل هـذه الأنظمـة التـي كانــت تتطلــب اســتثماراً واهتمامــاً ملكيــاً. إن التطــور المتأخــر لنظــام الـري يـؤشر إلى أن ممارسـات الـري المعقـد واسـع النطـاق كانـت نتـاج للتطـور السـابق للتنظيـم العمـراني والإداري وليـس العكـس.

بحلـول هـذا الوقـت كانـت مدينـة أور تغطـي مسـاحة 100 هكتـار، وتفخـر بوجـود مرفأيـن: أحدهـما عـلى نهـر الفـرات، والآخـر عـلى القنـاة الرئيسـية، وكان للمدينـة أكروبوليـس (منطقـة مقدسـة مرتفعـة نوعـاً مـا) كبـير مـع سـور دفاعـي خـاص بـه أقيمـت فيـه المعابـد والقصـور والزقـورة الكـبرى، وتقـع الأحيـاء المختلفـة مـن المدينـة وراء هـذا السـور الداخلي كل منهـا عـلى حـدة مفصولـة بالطـرق والقنـوات بعضهـا عـن بعضهـا الآخـر، ولكـن كل ذلـك داخـل السـور الخارجـي المحيـط الـذي ربمـا دافـع عـن المدينـة مـن الفيضانـات وكذلـك مـن المهاجمـين (الشـكل: رقـم12).

وهنـاك مجموعـة مـن المبـاني داخـل المنطقـة المقدسـة منهـا معابـد ثانويـة متنوعـة؛ وقـصر الكاهنـة الكـبرى ومصلياتهـا؛ خزينـة الإلـه؛ ومبنـى محفـوظ عـلى نحـو سيء، والـذي قـد يكّـون بقايـا قـصر الحاكـم. وليـس واضحـاً حتـى مـا إذا كان هـذا المبنـى داخـل المنطقـة المقدسـة، أو خارجهـا مبـاشرة. أخـيراً، نجـد بالقـرب مـن مقابـر عـصر السـلالات المبكـرة، والعـصر الأكـدي، وخـارج جـدار المنطقـة المقدسـة مبـاشرة، القبـور التـي بناهـا ملـوك سـلالة أور الثالثـة. ويصعـد إلى مجمـع الزقـورة، الـذي يتكـون مـن كل هـذه المبـاني المتنوعـة، في مجموعـة قصـيرة مـن الدرجـات عـلى جانبـه الشـمالي الشرقـي، عـبر جـدار القاعـة السـفلي لمعبـد ننـار، الـذي كان أدنى بمقـدار 1,7 مـتر مـن مصطبـة الزقـورة نفسـها.

وكانـت القاعـة محاطـة بمـا كان عـلى الأرجـح مخـازن، وكان هنـاك عـدد مـن التراكيـب الطقسـية في القاعـة، معظمهـا أماكـن تقدمـات، وقواعـد تماثيـل- بعضهـا يعـود إلى عـصر السـلالات المبكـرة. وهنـاك بوابـة مزدوجـة متقنـة عـلى الجانـب المقابـل للدرجـات تـؤدي إلى المنطقـة المقدسـة، وتسـهل الوصـول إلى العـالم الخارجـي. وتقـدم جدران القاعـة السـميكة سلسـلة مـن التحديـات لأي عـدو، واعتقـد وولي أنهـا ربمـا خدمـت كخـط أخـير للدفـاع. وقـد بنيـت جميـع المبـاني مـن اللـبن غـير المفخـور، وغالبـاً مـا كانـت محميـة بقـشرة خارجيـة مـن الآجـر المحـروق، بسـمك يزيـد عـن 2م، ومثبتـة بمـلاط مـن القـار. وتحمـي قـشرة الآجـر المحـروق العنـاصر الأكـثر ضعفـاً مـن الآجـر غـير المفخـور سريـع التلـف. وعـلى نحـو مفيـد، ختـم بعـض الآجـر باسـم الملـك الـذي

أمرهـم؛ وكذلـك، دفعـت مسـامير الأسـس إلى أعـمال البنـاء بالآجـر أيضاً. ووجـدت تماثيـل الأسـس، في بعـض الأحيـان، عـلى شـكل رجـل يحمـل سـلّة الآجـر عـلى رأسـه، وغالبـاً مـا كتـب أسـم البـاني عليهـا أيضـاً.

وعـثر قُطـع هـي أكـثر القطـع الأثريـة إثـارة في عـصر أور الثالثـة في منطقـة (أي-دوب-لال-مـاخ) ومـا حولهـا، أسـفل بقايـا مبـانٍ تعـود إلى العـصر الكـشي في منتصـف الألـف الثـاني ق.م. (الشـكل: رقـم 13). ومـع أن بعـض القطـع كانـت لا تـزال مفقـودة، إلا أنهـا عنـد تركيبهـا معـاً شـكلت مسـلّة تظهـر ملـكاً، ربمـا أور- نمـو، يتقـدم إلى إلـه القمـر، الحاكـم الإلهـي لأور. ويسـتند عزوهـا إلى أور-نمـو إلى كتابة على المسـلّة، تسـجل عـدداً مـن القنـوات المعـروف أنـه قـام ببنائهـا. كـما وجد اسـمه عـلى قطعـة مـن الجـزء السـفلي مـن ردائـه. ولسـوء الحـظ، لا يمكـن إثبـات عـلى نحـو مؤكـد أن هـذا كان جـزءاً مـن المسـلّة. وقـد عملـت مـن حجـر معـرق جميـل، وقـد جـرى ترميمـه، فـكان ارتفاعـه نحـو 3 م وعرضـه 1،54 م عنـد القاعـدة، وأصغـر قليـلاً في الجـزء العلـوي، والـذي كان مسـتديراً. وقـد نُحـت في الأصـل عـلى الجانبـين كليهـما، وقسّـم التصميـم إلى حقـول، كـما هـو الحـال في المسـلّات السـابقة مـن عـصر السـلالات المبكـرة الثالـث. لسـوء الحـظ، التصميـم غـير مكتمـل، ولا سـيما عـلى أحـد الجوانـب، إذ تسـببت الظـروف الجويـة في تقـشر الحجـر في عـدد مـن الأماكـن. وأرسـلت هـذه القطـع إلى فيلادلفيـا للمعالجـة، وإعـادة التركيـب، وكان قـد أفـترض أن الوجـه الـذي حفـظ عـلى نحـو أفضـل كان في مقدمـة نصـب تـذكاري.

وتظهر عملية إعادة التركيب بأن (وجه المسلّة)، كان يحتوي على خمسة حقول. وكان الجزء العلوي نحو ضعف ارتفاع الأجزاء السفلية. ويظهر الحاكم واقفاً تحت هلال كبير يحيط بنجم متقن. ويرفع أحد ذراعيه بوضعية التحية أمام إله جالس حفظ منه فقط الخوذة ذات القرون، وأقدام الإله، وقاعدة العرش. ويمكن رؤية زوج آخر من الأقدام يتدلى أسفل المكان الذي كان يمكن أن يكون فيه حضن الإله. وكان يُفترض دائماً أن الإله هو إله القمر، مع إله أصغر أو طفل جالس على حجره، ولكن يبدو من المحتمل أن هذه هي نينگال، زوجة ننار، وطفلها في حجرها. وغالباً ما أدعى ملوك ذلك الوقت أن الآلهة ارضعتهم، فهل يمكن أن يكون الطفل هو أور- نمو نفسه، أو ابنه شولگي؟. ويمكن أن يكون مثل هذا المشهد جزءاً من دعاية جميلة للنظام.

وقد كان الحقل الثاني أفضل حفظاً، إذ يقف في وسطه شخصان ظهراً على ظهر، يعتني كل منهما بشخصية ثانية حفظ منها فقط من مستوى الكتف إلى الأسفل، لذا لا يمكننا التأكد فيما إذا كان خادماً بشرياً أم إلهة تشفع عن طريق رفع يديها. ويسكب الملك على اليمين الماء المقدس إلى النخلة في إناء، والذي ينتصب أمامها إله جالس يمسك ما يسمى بالقصبة، والخيط، وهما الرموز التقليدية للملكية. وربما تمثل آلات المساحة لقياس المخططات والزوايا، إذ كان بناء المعبد وترميمه من الواجبات الحيوية للحاكم، في حين يسكب الشخص المواجه لليسار الماء المقدس على نخلة مماثلة، ولكنه يقف هذه المرة أمام إلهة جالسة. ويمكن أن نخمن أن هذا هو

الـزوج الإلهـي ننـار ونينـگال. وحفـظ فقـط جـزء صغـير مـن الحقـل الثالـث، ويظهـر الحاكـم (مسـبوقاً بإلـه) يحمـل دلـواً مـع أدوات البنـاء، مـن الواضـح أنـه في طريقـه لبـدء بنـاء معبـد، أو ربمـا الزقـورة نفسـها. ويسـند خـادم يقـف خلفـه بعـض ثقـل الدلـو حتـى لا يرهـق الملـك نفسـه!. في حـين كان آخـر حقلـين متشـظيين للغايـة، ولكـن يبـدو أنهـما يظهـران تقـدم أعـمال البنـاء. وكل مـا تبقـى منهـما تقريبـاً يظهـر رجـلاً يحمـل آجـراً، أو ترابـاً عـلى رأسـه، وسـلماً يتـكأ عـلى جانـب المبنـي.

ان عمليـة إعـادة الجانـب الـذي تعـرّض للظروف الجوية السيئة (يشـار إليـه تقليديـاً بظهـر المسـلّة) بالكامـل غـير ممكنـة، لأن مـا لدينـا كـسر غـير مترابطـة، عـلى مـا يبـدو فـإن معظمهـا يظهـر احتفـالات دينيـة مـن أنـواع متنوعـة. ويمكـن رؤيـة بقايـا آلهـة طائـرة، في الجـزء العلـوي، وهـي تسـكب مـاء الحيـاة مـرة أخـرى فـوق شـخص الملـك، ولكـن بقيـة المشـهد ضـاع. وتظهـر عـلى قطعـة أخـرى شـخصية جالسـة عـلى منصـة ترتـدي رداءً فضفاضـاً، في حـين يقـف شـخص عـارٍ عـلى درجـة تحتـه، يمسـك بمـا قـد يكـون منشـة ذبـاب ومنشـفة. وهنـاك شـخصية ثانيـة بـرداء طويـل ورأس حليق(ومـن المحتمـل أن يكـون كاهنـاً) يديـر ظهـره إلى الشـخص الجالـس، ويمسـك بمنشـفة شـخص ملتحٍ أمامـه. قـد يكـون هـذا هـو الملـك، أو -كـما تـم اقتراحـه مؤخـراً قـد يكـون مصارعـاً. إذ كانـت المصارعـة رياضـة شـائعة في بعـض المهرجانـات الكـبرى، ومـن شـأن هـذا أن يفـسر الوضـع الغريـب لـذراع الشـخص الملتحـي (أو ذراع شـخص آخـر). وترينـا قطعـة أخـرى مـن المسـلّة رجلـين، أحدهـما بشـعر مجعـد عـلى نحـو محكـم يعزفـان عـلى مـا يبـدو وكأنـه طبلـة كبـيرة، كانـت بطولهـم. وهنـاك أيضـاً مشـهد التضحيـة،

إذ يستعد رجل (رأسه مفقود) للتضحية بثور، وقدّمه على خطمه، في حين يحمل شخص آخر حيواناً أصغر مقطوع الرأس، إذ يسيل الدم أمام شخص (محطم) يجلس على حافة صغيرة. ويمكن رؤية أرجل رجل آخر، خلف هذا الشكل، إلى جانب بعض الرموز الغريبة التي يمكن أن تكون تصويراً للأشجار والمناظر الطبيعية. وربما تأتي الكسرة الأخيرة من مسلّة مختلفة وهي تصور رجلاً بشعر مجعد يحلب بقرة. وتعد المسلّة ذات أهمية كبيرة ليس فقط للمشاهد التي تمثلها، ولكن أيضاً لأنها تظهر مزيجاً أسلوبياً. وقد اقترح أنها يمكن أن تربط مع عصر السلالات المبكرة عبر تقسيمها إلى حقول. وكانت المعالجة النموذجية للأشكال في العصر الأكدي أكثر طبيعية، في حين كانت هنا مجموعة جديدة كلياً من الموضوعات خاصة بهذا العصر. كما عثر على عدد قليل من التماثيل بالنحت المدوّر، مع أن أي منها لم يعثر عليه في موضعه الأصلي، لذلك من الصعب تحديد تاريخها بدقة.

ولم يكن في تخطيط المستوطنات ما يشير إلى التقسيم وفقاً للمجالات الوظيفية المختلفة. إذ تُظهر الحفريات في مدينة أور في نهاية عصر أور الثالثة متاجر ومزارات صغيرة ومدرسة بين المنازل، فضلاً عن بيوت التجار التي تميزت بوجود سلع كبيرة تركزت في غرف صغيرة مكتظة بأدوات السحق التي توضع في الأركان. ويبدو أن المساحة في المدن كانت أكبر من ذلك، وهناك عدد قليل من الأماكن العامة داخل الاسوار، وهناك من يقترح أن الأسواق الكبيرة والتجمعات العامة قد كانت قد أقيمت على أبواب المدينة، إذ كانت هناك مساحة أكبر.

ونشـير أخـيراً أن أور كانـت مـا تـزال تحظـى بتقديـر كبـير في العـصر البابـلي القديـم لدرجـة أن ملـوك إيسـن اسـتعملوا لقـب «ملـك أور». وليـس هـذا فقـط، ولكـن المنطقـة الواسـعة للبيـوت الخاصـة التـي نقّبهـا وولي تظهـر علامـات قليلـة عـلى حـدوث دمـار هائـل في نهايـة الألـف الثالـث ق.م. ويبـدو أن الحيـاة العاديـة ربمـا اسـتمرت، وإن عـلى نطـاق أصغـر، ومـع الكـوارث، لكـن المجـد السـياسي قـد ذهـب إلى الأبـد. ويبلـغ حجـم التـل الرئيـس البيضـوي لمدينـة أور نحـو 1200× 800 م تقريبـاً، ويقـع مركـز المدينـة المسـور بـين نهـر الفـرات وقنـاة كبـيرة. الموقـع في الواقـع أكـبر بكثـير مـن مجـرد التـل المركـزي.

ويبـدو أن الدمـار الكبـير الظاهـر في الطبقـات الأثريـة قـد حـدث في العـام الحـادي عـشر مـن حكـم سامسـو- إيلونـا (ابنـه)، الـذي سـجّل أنـه في هـذا العـام دمّـر أسـوار مدينـة أور انتقامـاً مـن ثورة ضـده. وربما يجـب أن نـؤرخ دمـار عـدد مـن البيـوت بالحريـق عـبر هـذا الحـدث. وليضمـن أن المدينـة لـن تنهـض مـرة أخـرى، قـام أيضـاً بتدمـير جـزء كبـير مـن نظـام القنـوات، ليحـول الجنـوب إلى صحـراء حقيقيـة، وكان الملـك الكـشي المدعـو كوريگالـزو، الـذي ربمـا اعتـلى العـرش في وقـت مـا في النصـف الثـاني مـن القـرن الرابـع عـشر ق.م، شرع في تجديـد مدينـة أور، وإعادتهـا إلى مـا يشـبه مجدهـا السـابق. وقـد ركـز كوريگالـزو جهـوده عـلى المنطقـة المقدسـة. ولا نعـرف عـلى وجـه اليقـين مـا إذا كان قـد عمـل عـلى الزقـورة نفسـها، لأن الأعـمال الرئيسـة في العـصر البابـلي الحديـث أزالـت جميـع التعديـلات السـابقة بعـد سـلالة أور الثالثـة. وتدعـي كتاباتـه أنـه فعـل هـذا، وليـس هنـاك سـبب للشـك فيهـا. وقـد

أعاد بناء سور المنطقة المقدسة، ومعبد نينگال، زوجة إله القمر ننار الذي كان ينتصب بالقرب من الزاوية الجنوبية للمنطقة المسورة للزقورة. ويبدو أن بنايته اتبعت مخطط المزارات السابقة، ولكن الجدران لم تكن سميكة، وبني على نحو رديء. لقد أتاحت إحدى البوابات في الجدار الجنوبي الشرقي للفناء الكبير أمام مزار نينگال الآن، وعلى نحو مبتكر، الوصول المباشر إلى مبنى (گيگ-باركو)، مسكن الكاهنة العليا، الذي جرى تجديده.

ويبدو أن مدينة أور أصبحت مرة أخرى مكاناً مهماً لعبادة الإله القمر، ننار، في العصر البابلي الحديث، وقد أنجزت بعض الأعمال الضخمة، ولاسيما من الملك نبونائيد. إن حجم أعمال البناء التي نفذت في مدينة أور كانت مقياس لأهمية الموقع في المشهد السياسي أو الديني في أي وقت. وقد يكون للأعمال غاية ثانية، فهي بمثابة محاولة من قبل السلالة الجديدة لاسترضاء الكهنوت المحافظ وكسبه لدعم أسيادهم الجدد، وإرساء الشرعية. ويبدو أن المدينة تعرضت لهجوم الجيش الفارسي، وقد عثر على الآجر الخاص بالملك كورش في أور، ولأنه مات في العام اللاحق لنجاحه، فلا بد أنه بدأ العمل هنا بعد وقت قصير جداً من سقوط بابل(539 ق.م). وتشير الدلائل إلى أن المدينة استعادت ازدهارها تحت حكم الفرس. ويبدو أن نهاية أور قد جاءت عندما حول نهر الفرات مساره شرقاً تاركاً المدينة من دون ماء. ويبدو أن هذا التحول جاء تدريجياً، إذ عثر على مدفنين فارسيين في قاع القناة الكبرى التي تدور حول الجانب الشرقي من مدينة أور، مما يشير

إلى أن المدينـة كانـت مـا تـزال تكافـح حتـى بعـد جفـاف القنـاة. ويمكـن للمـرء أن يتخيـل الانخفـاض التدريجـي في عـدد السـكان، إذ أصبحـت المياه أكـثر نـدرة، وتوقـف الإنتـاج الزراعـي.

مصادر الفصل السابع

1. الأحمد، سامي سعيد(1978). العراق القديم. ج1، بغداد.
2. آدمز، روبرت ماك(1984). أطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى. ترجمة، صالح أحمد العلي وآخرون. بغداد.
3. إسماعيل، بهيجة خليل(1985).الكتابة .، حضارة العراق، ج1.بغداد.
4. الأعظمي، محمد (1999).معبد أي- أنا في نفر(عصر فجر السلالات)، مجلة كلية الآداب، العدد ، 45. بغداد.
5. اوبنهايم ، ليو(1981). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد.
6. اوتس، ديفيد وجين(1988). نشوء الحضارة. ترجمة، لطفي الخوري، بغداد.
7. اونكر، ايكارد(1953). إدبا وأريدو. ترجمة محمود الأمين ، مجلة سومر، مج 1.
8. أور جيسون والحمداني عبد الأمير (2014). أنماط الاستيطان في سومر واكد. مجلة سوبارتو، ع 8.
9. باقر، طه(1939). تقرير عن أعمال البعثة الألمانية في الوركاء، تقرير رقم 53، 1939. بغداد.
10. باقر، طه(1939). تقرير عن أعمال البعثة الألمانية في الوركاء، تقرير رقم 56، 1939. بغداد.
11. باقر، طه(1939). تقرير عن أعمال البعثة الألمانية في الوركاء، تقرير رقم61، 1939. بغداد.
12. باقر، طه(1973). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1.
13. بشور، وديع(1981). سومر وأكد. دمشق.
14. بصمجي، فرج (1960). الوركاء. سومر، مج 11، ج1.
15. برستيد، هنري جيمس(2010). انتصار الحضارة. ترجمة أحمد فخري. القاهرة.
16. بوتس، دانيال(2006). حضارة وادي الرافدين، الأسس المادية. ترجمة، كاظم سعد الدين، بغداد.

17 . بوتـرو، جـين وآخـرون (1986). الـشرق الادنى الحضـارات المبكـرة. ترجمـة، عامـر سـليمان، الموصـل.

18 . بوتـيرو، جـان(1990). بـلاد الرافدين(الكتابـة- العقل،الآلهـة). ترجمـة البـير أبونـا، بغـداد.

19 . جـرك، أوسـام بحـر(1998). الزقـورة ظاهـرة حضاريـة مميـزة في العـراق القديـم. رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، جامعـة بغـداد، كليـة الآداب، قسـم الآثـار. بغـداد.

20 . الدبـاغ، تقي(1988).مـن القريـة إلى المدينـة. موسـوعة المدينـة والحيـاة المدنيـة . بغـداد.

21 . دوبلهوفـر، أرنسـت(1982). رمـوز ومعجـزات. ترجمـة، عـماد حاتـم، طرابلـس، ليبيـا.

22 . ديلا بورت، ل(1997). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، محرم كمال، القاهرة.

23 . رشيد، فوزي(1972). قواعد اللغة السومرية. بغداد.

24 . رو، جورج (1984). العراق القديم. ترجمة، حسين علوان حسين، بغداد.

25 . ساكز، هاري (2008). عظمة بابل . ترجمة، خالد اسعد .دمشق.

26 . سفر، فؤاد(1940). حفريات العقير، تقرير حقلي، رقم 1، 1940.

27 . سفر، فؤاد(1945). حفريات العقير. مجلة سومر، عدد 1، ج 1.

28 . سـفر، فـؤاد(1947).حفريـات مديريـة الآثـار القديمـة في أريـدو. مجلـة سـومر، عـدد 3، ج 2.

29 . سـفر، فـؤاد، باقـر، طـه(1962). المرشـد إلى مواطـن الآثـار والحضـارة، الرحلـة الأولى. بغداد.

30 . سليمان،عامر(2000). الكتابة المسمارية . الموصل.

31 . سوسـة، سوسـة (1981). تاريـخ حضـارة وادي الرافديـن في ضـوء المشـاريع الزراعيـة. بغـداد، ج1.

32 . سليمان، توفيق(1985). دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، من أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م. دمشق.

33 . رو، جورج(1998). لغز مقبرة أور الكبير. ترجمة، مازن اكرم فاضل، آفاق عربية، عد11-12.

34 . ساكز، هاري(1979). عظمة بابل. ترجمة، عامر سليمان، الموصل.

35 . سكر، عزمي(1999). السومريون في التأريخ. بيروت

36 . سعيد، مؤيد(1988). المدن الدينية والمعابد. في. المدينة والحياة المدنية. ج1، بغداد.

37 . سعيد ، مؤيد (1985). المدينة في عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي الحديث. ج 3 ، بغداد.

38 . شريف، إبراهيم(بلا). الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي. ج 1، بغداد.

39 . الصيواني، شاه محمد علي(1976). أور بين الماضي والحاضر. بغداد.

40 . الطعان، عبد الرضا(1981). الفكر السياسي في العراق القديم. بغداد.

41 . عبد الكريم، عبد الله (1974). ملامح الوجود السامي في جنوبي العراق قبل تأسيس الدولة الأكدية. سومر، مج 30، عد 1 ،2.

42 . فرانكفورت، هنري وآخرون (1965). فجر الحضارة في الشرق الأدنى. ترجمة ميخائيل خوري، بيروت

43 . لويد، سيتين (1980). آثار بلاد الرافدين. ترجمة، سامي سعيد الأحمد. بغداد.

44 . لنزن، هانريش(1989). العمارة في منطقة أي-أنا في عصر الطبقة الرابعة لمدينة الوركاء. ترجمة، عبد الرزاق كامل، مجلة سومر، مج .46.

45 . ماثيوس، روجر، شاكر، برهان(1988). التنقيبات في جمدة نصر، الموسم الأول. بغداد.

46 . ماثيوس، روجر(2015). آثار بلاد الرافدين. نظريات ودراسات. ترجمة،

محمـد صـبري عبـد الرحيـم، بغـداد.

47 . مالـوان، ماكـس(2001).: حضـارة عـصر فجـر السـلالات في العـراق. ترجمـة كاظـم سـعد الديـن. بغـداد.

48 . مارغــرون، جــان كلــود(1999). الســكان القدمــاء لبــلاد مــا بــين النهريــن وســوريا الشــمالية. ترجمــة، ســالم ســليمان العيــسى، دمشــق.

49 . مــكاي، دورثي(1952). مــدن العــراق القديمــة. ترجمــة، يوســف يعقــوب مســكوني، ط 2، بغــداد.

50 . المتـولي، نوالـة احمـد محمـود(1994). مدخـل في دراسـة الحيـاة الاقتصاديـة لدولـة أور الثالثـة . اطروحـة دكتـوراه غـير منشـورة ، جامعـة بغـداد ، كليـة الآداب.

51 . مورتــكات، أنطــوان(1967). تاريــخ الــشرق الادنى القديــم. ترجمــة. توفيــق ســليمان وآخــرون، دمشــق.

52 . مهدي، علي(1975). دور المعبد في المجتمع العراقي القديم . بغداد.

53 . نيســن،هانز(1966). المقـبرة الملكيـة في أور وموقعهـا الزمنـي ضمـن التاريـخ البابـلي. ترجمـة، فـوزي رشـيد، مجلـة سـومر، مـج22. بغـداد.

54 . اليـاسري، حميـد يـاسر وآخـرون(2007). الوركاء-حضارتهـا، بيئتهـا، تخطيطهـا. مجلـة كليـة الآداب. العـدد 80. بغداد.

55 . Adams, R.M(1958).Survey of ancient water courses and Settlement in central Iraq.Sumer,Vol,14,No,2.

56 . Adams, R.M(1965). Land behind Baghdad. A history of settlement on the Diyala plains. Chicago & London.

57 . Adams,R.M(1966).The Evolution of Urban Society: Early Mesopotamia and prehistoric in Mexico. Chicago.

58 . Adams,R,M & Nissen,H.J(1972). Uruk countryside. The Natural setting of Urban Societies. Chicago & London.

59 . Algaze, G (1963).The Uruk world system, the dynamics of expansion of early Mesopotamian civilizations. Chicago.

60 . Algaze,G(2001). Initial social complexity in Southwestern Asia .The Mesopotamia advantage. Current Anthropology,Vol,42.

61 . Buringh,P(1957). Living conditions in the lower Mesopotamia Plain in Ancient Times.Sumer,Vol,13

62 . Calvet, Y (19851986-). The new deep sounding X 36 at tell El Oueili. Sumer,Vol.44,No.1.

63 . Childe, G(1935). New light on the most ancient East .London.

64 . Charpin, D(2000).The History of Ancient Mesopotamia Civilizations of the Ancient Near East. New York.

65 . Cottrell, L(1962). The Land of the Two Rivers. America.

66 . Crawford. Harriet(2015).Ur the city of the Moon god. London, New York.

67 . Diakanoff.I.W(1991). Early Antiquity. Chicago.

68 . Espak,P(2010).The God Enki in Sumerian Royal Ideology and Mythology. Estonia.

69 . Falkenstein, A(1975). The Sumerian Temple city, 1954. Translation by Ellils, M., California.

70 . Finnegan, J(1959).Light from the Ancient past. London.

71 . Green, M. W(1975). Eridu in Sumerian Literature. Chicago.

72 . Hallo, W. W(1963). The Excavation of Inanna. New Haven.

73 . Karlovsky, C, Gl. And Sobloff, J. A(1974). The Rise and Fall of Civilization. California.

74 . Jacobsen, Th(1973). The Sumerian King List. Michigan.

75 . Jacobsen, Th(1976). The Treasures of Darkness, A History of Mesopotamia Religion. London.

76 . Nissen,H.J(1972).The City wall of Uruk.(In). Ucko,P.J.(ed). Man, Settlement and urbanism.London.

77 . Nissen, H,J(1988).The early history of the near east 90002000- B.C. Chicago& London.

78 . Nissen,H.J(1989).The Ubaid period in the context of the Early history of the Near East.(In). Henrickson,E.F and Thuesen,I.(ed). Upon this Foundation the Ubaid reconsidered. Copenhagen.

79 . McMahon, A(2005). From Sedentism to state, 10,000 – 3,000 BCE. In. A companion to the Ancient Near East.(ed).Snell,D.C. Blackwell Publ., USA.

80 . Mellart,J(1967). The earliest civilizations in the near east.NewYork.

81 . Olivier,A (1983). Mesopotamia Architecture from the 7th to the 4th millennia . Sumer,Vol, 42.

82 . Oates,J(1993).Trade and Power in fifth and fourth Millennia B.C: New evidence from Northern Mesopotamia. World Archaeology,Vol, 24.

83 . Redman,C.L(1978). The Rise of Civilization: from Early farmers to Urban Society in the Ancient Near East. USA.

84 . Safar, F & Mustafa, M & Lloyed, S (1981). Eridu. Baghdad.

85 . Sollberger, E(1967).The Rulers of Lagaš. JCS, Vol. 21, pp. 279288-.

86 . Zarins,J (1992). The Early Settlement of Southern Mesopotamia: A Review of Recent Historical,Geological, and Archaeological Research. Journal of the American Oriental society,Vol,112.

87 . Wallker,C.B.(1981).Cuneiform Brick inscriptions. London

88 . Woolly, L(1934). Ur Excavations, the Royal Cemetery. Vol. II, London.

89 . Woolly, L(1955). Ur Excavations, The Early Period. London and Philadelphia, Vol. IV.

90 . Woolly, L(1963). Excavations at Ur.London.

(8)
شخصيات سومرية خالدة

8-1 گلگامش

يبقى گلگامش واحداً من أعظم الشخصيات العالمية عبر التأريخ، ومن المؤكد أنه الأعظم بين السومريين. وهو فارس العالم القديم من دون منازع، والمغامر في سبيل الذكر والفخر والبقاء. وهو خامس ملوك سلالة الوركاء الأولى، ويمكن أن يكون القرن السادس والعشرين ق.م هو زمن وجوده، وتسجل الأحداث أنه أخضع مدينة كيش في زمن ملكها آگا وجعلها تابعة لمدينة الوركاء العظيمة. وقد كان ملكاً عظيماً بنى أسوار الوركاء الخالدة.

كتب أسمه بالمقاطع الرمزية السومرية، وعادة ما كان مسبوقاً بالعلامة الدالة على الآلهة، وهي علامة السومرية (Dingir)، ويعادلها باللغة الأكدية (ilu). ومن المعروف أن هذه العلامة عادة ما سبقت أسماء بعض ملوك بلاد الرافدين في أثناء حياتهم، وعليه فإنها ربما استعملت لغرض التعظيم والتبجيل وليس شرطاً أن تكون دلالة على الألوهية. ويصعب تقديم معنى محدد لهذا الاسم إلا أن عالم المسماريات الألماني فلكنشتاين يعتقد أنه يعني (المعمر«يبقى» شاباً) (الشكل : رقم 14).

ويبدو أنه حكم في عصر السلالات المبكرة الثالث في نحو 2600

ق.م، وربما قبل هذا التأريخ بقليل، وتشير قوائم أو أثبات الملوك السومريين إلى أن گلگامش كان أحد ملوك مدينة الوركاء، والتي ذكرت باسم «أي- أنَّا» كما أشرنا، وهي أحد أقسام مدينة الوركاء، في حين شكلت «كُلَاب» القسم الثاني من المدينة. وتعد سلالة الوركاء هي السلالة الملكية الثانية في البلاد بعد الطوفان. وينسب تشييد هذه المدينة على وفق ما جاء من أحداث في هذه الأثبات إلى الملك أينمرگار ابن مؤسس هذه السلالة. ويعد الملك الثالث في هذه السلالة لوگال-بندا جد الملك گلگامش، وأبنه دموزي، صائد السمك، ومن بعده گلگامش، الذي يعرف بأنه ابن لُلا(Lulla) وأنه حكم 126 سنة. ويأتي بعد گلگامش سبعة ملوك آخرهم لوگال-كدو، وبه ينتهي حكم هذه السلالة وتنتقل الملوكية إلى سلالة أور الأولى على وفق أثبات الملوك السومريين.

ومع أنه على وفق رؤية مدوني هذه القوائم كانت سلالات كيش والوركاء وأور متعاقبة، وأن إحداها تولت مقاليد الحكم بعد أن ضربت وسيطرت على سابقتها، إلا أن الأدلة والمعطيات الأثرية والتأريخية تشير إلى أن السلالات كانت متعاصرة جزئياً، ولا سيما في عهد گلگامش. إذ نعرف أنه كان معاصراً لآخر ملوك سلالة كيش الملك اگّا أو اگّا (Agga). كما أنه كان معاصراً لمؤسس سلالة أور الأولى ميس- انيبدّا.

إن ما يعرف من معلومات تاريخية، وهي قليلة جداً، عن الملك گلگامش جاءت من نص يعرف بنص«تُمّال»، يتكون من

نحـو 34 سـطراً، وقـد عـثر عـلى نسـخة منـه في مدينـة نفـر، ويـؤرخ مـن العـصر البابـلي القديـم. ويتعلـق بأعـمال بنـاء وترميـم قـام بهـا مجموعـة مـن الملـوك لمنطقـة «تمُّـال» المقدسـة المخصصـة للإلهـين أنليـل وزوجتـه ننليـل في هـذه المدينـة. ويذكـر هـذا النـص أن الملـك گلگامـش شـيد جـزءاً مـن معبـد أنليـل، كـما أن ابنـه أور- لـوگال قـام بترميـم منطقـة «تمُّـال».

ويبـدو أن غمـوض المعلومـات التاريخيـة وقلتهـا انعكسـت في الجانـب الآخـر المعـروف عـن هـذا الملـك، ونعنـي بـه الجانـب الأسـطوري. إذ مـن المعـروف أن هنـاك الكثـير مـن النصـوص الأدبيـة والدينيـة التـي تتنـاول جوانـب مـن شـخصيته، وتعـرض فصـولاً مـن سـيرته. ولا شـك أن أهمهـا وأبرزهـا الملحمـة الشـهيرة التـي تعـرف باسـمه. وقـد سـبق تدويـن الملحمـة سلسـلة مـن النصـوص التـي تـؤشر تطـور الأفـكار التـي تـدور حـول هـذا الملـك، فبعـد موتـه بنحـو مائـة عـام تقريبـاً يظهـر اسـمه عـلى رقيـم طينـي عـثر عليـه في شروبـاك (تـل فـارة)، دونـت عليـه قائمـة بأسـماء آلهـة، ومـن ثـم وبعـد أربعـة قـرون يظهـر اسـمه في نـص سـومري عـرف بـ(مـوت أور-نمـو) بصفتـه أحـد آلهـة العـالم السـفلي. وبعدهـا وفي أثنـاء القـرون الخمسـة اللاحقـة بـدأت تظهـر أولى المؤلفـات السـومرية والأكديـة عنـه، وربمـا كان يتـم تداولهـا شـفاهياً لبضعـة قـرون. وفي نحـو 1300 ق.م ظهـرت النسـخة النموذجيـة للملحمـة التـي نسـخها سـين-ليقي-اونيني، ومـن ثمـة أصبحـت النُسـخ مـن هـذه الملحمـة في التـداول في أثنـاء العـصر الآشـوري الحديـث، وبعـد مـرور مـا يقـرب عـن ثلاثـة قـرون كانـت

النسـخ البابليـة المتأخـرة عـن الملحمـة موجـودة في مدينتـي بابـل والـوركاء. ودونـت آخـر نسـخة بابليـة في نحـو 130 ق.م مـن الملحمـة مـن بيـل- اخّـي-اوصر، أي بعـد مـوت گلگامـش بنحـو 2450 سـنة.

ولم يخـبُ ذكـره وأسـتمر في كتابـات الكتّـاب الكلاسـيكيين، إذ جـاء ذكـره في القـرن الثـاني الميـلادي في كتـاب كلوديـوس اليانـوس بصيغـة (گلگامـوس)، ومـن ثـم عـام 893 م جـاء ذكـره بصيغـة گميمـوس في أثبـات ثيـودور برخـوني الآراميـة للملـوك البابليـين. وبعـد مـا يقـارب ألـف عـام بعـث گلگامـش وملحمتـه مـن جديـد عندمـا كشـف عـن ألـواح هـذه الملحمـة في نينـوى عـام 1872 م، وتوالـت الاكتشـافات، ومـن المؤكـد أن خبايـا وكنـوز أرض الرافديـن حبـلى بالمزيـد مـن الإثارة والتواصـل في معـين لا ينضـب مـن البهـاء والخلـود.

وكـما أوردنـا أعـلاه تعـود بدايـة الكشـف عـن محتـوى الملحمـة إلى عـام 1872م حينـما تعـرف السـيد جـورج سـميث عـلى جـزء مـن قصـة الطوفـان، وهـي موضـوع اللـوح الحـادي عـشر مـن الملحمـة، كان قـد دون عـلى كسرة مـن لـوح مـن بـين الكـسر المكتشـفة في تـل قوينجـق، وهـو التـل الرئيـس في موقـع العاصمـة الآشـورية الشـهيرة نينـوى.

وقـد حظيـت الملحمـة بشـهرة عالميـة واسـعة وترجمـت إلى لغـات عـدة، وكانـت مـدار مناقشـات في مؤتمـرات ومنتديات علميـة وأكاديمية، وكتبـت عنهـا مئـات الكتـب والبحـوث والدراسـات. ويبـدو مـن مجمل مـا كشـف مـن الملحمـة أن هنـاك روايتـين رئيسـيتين؛ أولهـما روايـة العـصر البابـلي القديـم التـي حملـت عنـوان «شـوتُر ايـل شرّي» أي

(المتفوق على الملوك)، وثانيهما رواية العصر البابلي الوسيط التي حملت عنوان «شَ نگب ايمُر» أي (هو الذي رأى المنبع). وتتفق الروايتان في السرد العام لحوادث الملحمة، وتستكمل النواقص في كليهما من بعضهما بعضاً.

تبدأ تفاصيل الملحمة في اللوح الأول بتمجيد گلگامش وتفوقه في المعرفة والإعمار مع وصف لمدينة الوركاء وتمجيداً لها ووصف أسوارها ومعابدها. وترد بعدها تفاصيل مغامراته الأولى من أجل الوصول إلى زيسودرا (أوتا-نبشتوم) بطل قصة الطوفان في بحثه عن الخلود. وتشير التفاصيل إلى تمتع هذا الملك بالقوة واللياقة البدنية والعقلية العالية. وتعرج على جانب آخر من شخصيته وهو الجانب العبثي المرتبط بوطأة حكمه وجوره على سكان مدينته وارهاقهم بالحروب والأعمال الكثيرة حتى أنهم شكوه إلى كبير آلهة الوركاء «آن» والإلهة-الأم ننخرساگ الملقبة بـ(أرورو)، فتعمل الأخيرة على خلق ند ونظير له الذي عرف بـ(أنكيدو). وخلق هذا الند من الطين ليكون بهيئة المتوحش، وكان جسمه يكسوه الشعر، وشعر رأسه طويلاً مع خصل متطايرة مثل سنابل الحقل كما يرد في النص. ويرتدي ملابس تشبه ملابس سموقان، إله الجبل والحيوانات الوحشية. ويشاهد أحد صيادي الوركاء هذا الوحش البشري مع الحيوانات، ويبدأ بمراقبته، وحين يكتشف أنكيدو في اليوم الثالث وجود الصياد يفر مع الحيوانات والوحوش إلى أوكارها.

ونشير هنا إلى أن شخصية أنكيدو يمكن أن تكون ضمن إطار مفهوم التطور الذي تمسك به العراقي القديم، ويمثل في الجوهر

الخط التطوري للشعوب بصورة عامة. إذ أشرنا كيف أن الإلهة الأم اورورو خلقت نظير البطل السومري گلگامش من قبضة من الطين ورمتها في البرية حيث خلق أنكيدو ليعيش بالفطرة حياة بدائية مع الحيوانات ويأكل العشب ويتدافع مع الوحوش عند مورد المياه. وعليه يمكننا أن نتلمس أن تطور حياة هذا الكائن تؤشر مراحل تطور الشعوب من البدائية إلى المدنية والتحضر. وسنرى أن اتصال أنكيدو بالغانية «شمخة»، ربما يمثل حالة الاتصال بالحضارة. إذ يشير الباحث الروسي دياكونوف أن أنكيدو مخلوق من الطين على غرار البشر جميعاً عاش مرحلة التطور الضرورية للبشرية، الحياة البريئة، حياة الرعي، فهو ليس إنساناً فقط وإنما هو إنسان نموذجي، إنه رمز للشعوب وهي تخضع للتطور. ويرى الباحث الروسي الآخر ترافيموف أن البغي تؤدي دور حاملة البداية الحضارية، فهي من علمته الحرف الحضارية، وتناول الطعام مثل الخبز، وتناول المشروب المسكر (نوع من النبيذ)، فضلاً عن ارتداء الملابس.

وبالعودة إلى تفاصيل الملحمة نعرف أن الصياد وبعد مشورة أبيه يذهب إلى مدينة الوركاء ويخبر گلگامش بقصة هذا المخلوق، فيطلب منه الأخير أن يصطحب معه الغانية «شمخة» والتي يعني اسمها (الفاتنة)، ومن معاني اسمها الأخرى (الغاوية)، من أجل الإيقاع بأنكيدو، فتغريه على معاشرتها لمدة ستة أيام وسبع ليالٍ الأمر الذي جعل الحيوانات تفر منه، ولم يعد قادراً على مجاراتها. ويبدو أن فقدانه للطاقة الجسدية تم تعويضه بتطور

طاقتـه وامكانياتـه العقليـة، وأصبـح يملـك الحكمـة. ثـم يعـود إلى الغاويـة فتطلـب منـه العـودة معهـا إلى الـوركاء لمقابلـة ملكهـا العظيـم گلگامـش، ويدخـل في مرحلـة التحـدي ومواجهـة بطـل الـوركاء.

يـرى گلگامـش في هـذه الأثنـاء حلـماً مفـاده أن نجـماً مـن بـين نجـوم السـماء يسـقط عليـه، وحـين يحـاول تحريكـه يعجـز عـن ذلـك لثقلـه. ويتجمـع أهـل المدينـة حـول النجـم ويقبلـون قدميه مثـل طفل صغـير، ويحنـو عليـه گلگامـش، مثـل امـرأة، ثـم يضعـه عند قدمـي أمه التـي تجعلـه مسـاوياً لـه. وتفـسره أمـه الإلهـة ننسـون الحلـم وتخـبره أن النجـم الـذي شـاهده هـو رفيـق لـه يكـون قويـاً وينقـذ الصديـق عنـد الخطـر. ويـرى حلـماً أخـراً تفـسره أمـه بمـا يقـارب التفسـير الأول عـن صديـق وفي ينقـذه عنـد المخاطـر. وربمـا يعـبر عـن رغبـة گلگامـش بوجـود صديـق قريـب يخلـص لـه المشـورة.

ويصــف اللــوح الثــاني لقــاء النظيريــن ويتضمــن تكــرار لروايــة الحلمـين وتفسـيرهما، كـما يشـير إلى تفاصيـل عـن لقـاء شـمخة بأنكيـدو ومعاشرتهـا لـه، ومـن ثـم دعوتـه للذهـاب إلى الـوركاء، وكيـف أنهـا كسـته بالثيـاب، وكيـف التقـى في المخيـم بالرعـاة، وكيـف أنهـم كانـوا يتهامسـون حـول الشـبه بينـه وبـين گلگامـش، وكذلـك تفاصيـل عـن تهذيبـه وتعليمـه نظـام الأكل والـشرب ومـن ثـم حلاقـة شـعره، ثـم يـرد حـدث العـرس وكيـف أنـه أغضـب أنكيـدو لأنـه علـم أن گلگامـش هـو مـن يعـاشر العـروس قبـل زوجهـا، وثـم يدخـل المدينـة ويعمـل عـلى منـع گلگامـش مـن دخـول بيـت الأعـراس، وتحـدث المواجهـة ويتجمـع النـاس لمشـاهدة الحـدث العظيـم.

ويبـدأ الـصراع العظيـم بـين البطلـين وفجـأة يتوقـف گلگامـش عـن القتـال ويجثـو عـلى ركبـة واحـدة ويهـدأ غضبـه. ويطلـق أنكيدو مـن جانبه عبـارات التمجيـد والـولاء لگلگامـش. ويحـث أنكيـدو نظـيره گلگامـش عـلى السـمو عـن رغابتـه وأن يقـوم بأعـمال ومآثـر لم يسـبق للبـلاد أن شـهدتها، فيوافـق گلگامـش، وتبـدأ قصـة الصداقـة العظيمـة بينهـما.

ويقـترح بعدهـا گلگامـش عـلى صديقـه أنكيـدو الذهـاب لمقاتلـة الوحـش خمبابـا الـذي وضعـه الإلـه أنليـل حارسـاً عـلى أشـجار غابـات الأرز. ومـع أن أنكيـدو يعـرف قـوة هـذا الوحـش المخيـف ويعـدد مزايـاه وأن بعـض الآلهـة تهابـه ولا تقـدر عليـه، إلا أنـه يسـتجيب لرغبـة صديقـه الـذي أقنعـه أن البـشر أيامهـم معـدودة في الحيـاة وأن مـا يفعلونـه مجـرد هـواء.

وبعـد أن يحـضر الصديقـان سـلاحهما يجتمـع گلگامـش بسـكان مدينتـه ويخاطـب الشـيوخ برغبتـه وعزمـه عـلى مقاتلـه الوحـش المخيـف خمبابـا، وأنـه سـيقطع أشـجار الأرز ويقيـم لنفسـه أسـماً خالـداً. ويطلـب مباركـة شـباب المدينـة ويتمنـى أن يعـود ويلتقـي بهـم بعـد مغامرتـه هـذه، وأنـه سـوف يوسـع احتفـالات رأس السـنة، في حـين يطلـب صديقـه مـن الشـيوخ والشـباب ثنـي ملكهـم عـن هـذه المغامـرة، فيقـوم الشـيوخ بالطلـب منـه بعـدم الذهـاب، وأنـه مـا يـزال فتيـاً ولا يعـرف العواقـب ولا يـدري عـما يتحـدث. فينظـر إلى أنكيـدو ضاحـكاً وبسـخرية مـن الشـيوخ، لأن مـا كان ينشـده ويتشـوق إليـه في حياتـه هـو الشـهرة الدائمـة والاسـم الخالـد وليـس مجـرد الوجـود والحيـاة الطويلـة الخاليـة مـن الإثـارة والبطولـة. وتسـتمر الألـواح في

رسم خط سير الرحلة إلى غابات الأرز ومقاتلة الوحش خمبابا. ويبدو أن البطل السومري استمتع بحياة المغامرات فتتابعت الواحدة بعد الأخرى. وتقع الإلهة أينانا (عشتار) في غرام البطل عند عودته إلى مدينته، فحاولت إغرائه وعرضت عليه جميع أنواع الهبات والخيرات. ومن الواضح أن كلكامش يعرف ألاعيبها ولهوها وتقلبها في هواها لذا أخذ يسخر منها ورفض طلبها. فلجأت إلى إله السماء (آن) ليرسل الثور السماوي ويسلطه على مدينة الوركاء، وبعد مداولات وشد وجذب أرسل هذا المخلوق إلى مدينة الوركاء وشرع بتدميرها وترويع سكانها وقتلهم، فما كان من الصديقان، كلكامش وأنكيدو، إلا التصدي له وقتله. فبلغا الذرى وتغنت المدينة بمآثرهما وأمجادهما. ولكن القدر وتدابيره كان لهما رأي آخر، فقد قررت وحكمت الآلهة على أنكيدو بالموت جزاء تحديه إرادتها عن طريق قتل خمبابا والثور السماوي، فمرض لمدة أثني عشر يوماً ثم مات. فحزن كلكامش وأصابه الغم ونالت منه الكآبة وبدأ يفكر بأن مصيره سيكون مثل رفيقه وهو الموت، وأن لا عزاء له عنه بكل شهرته ومجده ومآثره الماضية. فبدأ يفكر بالخلود والبقاء الأبدي، وأن عليه أن يبحث عن سر الخلود. فقرر أن يذهب إلى الشخص الوحيد الذي يعرف أنه نال الخلود من بين البشر، زيسودرا (اوتا-نبشتم)، الملك الحكيم، الصالح التقي، ملك شروباك، المدينة القديمة، إحدى المدن الخمس الملكية التي كانت في الوجود قبل الطوفان. فيبدأ رحلته في البحث عن سر الحياة الخالدة ويهيم في البرية ويقطع الفيافي والجبال ويصارع

الحيوانات والسباع الضارية، ويدخل في ممر الرعب المظلم وبعد طول عناء يخرج إلى نور الشمس ويشاهد أشجار الآلهة، ثم يصل سيدوري صاحبة الحانة، ويخبرها بقصته ورغبته في الوصول إلى زيسودرا (اوتا-نبشتم) فتخبره أن لا أحد عبر المحيط الذي يعيش خلفه الرجل الخالد، ثم ترشده إلى أور-شنب ملاح زيسودرا (أوتا-نبشتم)، فيصحبه الأخير عند الرجل الحكيم، فيصل هناك هزيلاً بشعر طويل أشعث ويرتدي جلود الحيوانات، وهو ذلك الحاكم المهاب في مدينته، ويقف متوسلاً الرجل الصالح أن يعلمه سر الحياة الخالدة. ودار حديثاً طويلاً بين الرجلين أباح عبره زيسودرا (اوتا-نبشتم) ببعض أسرار الآلهة. وحكى له قصة الطوفان التي حصلت في مدينة شروباك(تل فارة) الواقعة على نهر الفرات، والتي كانت ذات يوم مستقراً للآلهة المعظمة. ومع أن قصة الطوفان في اللوح الحادي من ملحمة گلگامش تبدو للوهلة الأولى وقد أقحمت على أحداث الملحمة، إلا أنها في الواقع، قد جاءت في انسجام تام مع الإيقاع المأساوي للملحمة، وأضافت إليها أبعاداً ومعانٍ خاصة تؤكد على أن الخلود سراب لن يناله أحد من البشر. وتعد قصة الطوفان من أقدم القصص التي رواها الإنسان وترتبط بتاريخه المبكر، وهي من أقدم ما نظم شعراً وخطاً وكتابة. كما تعد من أهم النصوص التي وردت في الكتب الدينية على اختلافها. واصطبغت، بطبيعة الحال باللون المحلي والنزوع العقائدي. فهي تحمل حمولة الوثنية في كتابات قبل الأديان السماوية، وتنزع إلى التوحيد في الكتب السماوية، على اختلاف في التصور والتمثل. وأولى

القصص التي وصلتنا هي قصة الطوفان السومرية- البابلية.

وتشير القصة السومرية عن الطوفان إلى حديث أحد الآلهة (أنكي) إلى مجموعة من الآلهة الأخرى عما سيفعل لإنقاذ البشرية من دمار ماحق وأنه يريد أن يرجع الناس إلى مواطن سكناهم. وتشير أيضاً إلى أن (زيسودرا) أو نوحاً السومري كان ملكاً صالحاً يعبد الآلهة ويخافها ويتبع دوماً ما تأمر به حلماً أو عن طريق الأصوات. ويظهر من النص أن زيسودرا كان قائماً عند حائط عندما سمع صوتاً يخبره بقضاء الطوفان. إذ يقوم الإله أنكي بإخباره بقرار الآلهة في إحداث الطوفان وإفناء البشر، إذ يهمس له :

(قف عند الحائط إلى جانبي الإيسر....،

وعند الحائط سأبلغك بكلمة، فخذ بكلمتي،

استمع لإرشادي ووصاياي:

في (مجمعنا)(؟)...أن طوفاناً سيدمر مراكز العبادة،

وتهلك ذرية البشر....).

ويخبر الرجل الحكيم گلگامش أنه لوم لم يلجأ للسفينة التي صنعها بنفسه بنصيحة أنكي لكان من الهالكين. وأثار هذا الحديث الإحباط واليأس في نفس گلگامش بعد أن علم أن الخلود الذي ناله هذا الرجل الصالح كان هبة من الآلهة. وتتدخل زوجة هذا الرجل الصالح فتحث زوجها أن يرأف بگلگامش فيكشف له عن سر آخر من أسرار الآلهة يتعلق بنبات يشبه العوسج وله

أشـواك تخـز مـن يقطفـه، وأنـه ينمـو في أعـماق البحـر، وأن مـن ينالـه يسـتطيع أن يعـود شـاباً كلـما تقـدم بـه السـن. فيغـوص گلگامـش إلى الأعـماق ويعـود سـعيداً بحصولـه عـلى مـا سـوف ينقـذه مـن المـوت، وحينـما كان يغتسـل عنـد البحـر يشـم الثعبـان رائحـة النبات السـحري فيتسـلل بصمـت ويخطفـه، وحالمـا يبتعـد ينـزع جلـده ويجـدده، فيصـاب گلگامـش بالغـم والحـزن، وينـدب حظـه ويعـود إلى مدينتـه، ويعمـل عـلى بنـاء أسـوار مدينتـه الخالـدة.

أخـيراً نشـير إلى أن هـذا الملـك المعظـم نـال مـن الشـهرة وحظـي بخلـود الذكـر بمـا يفـوق مـا عمـل عليـه في حياتـه التـي اقترنـت بالبحـث عـن الخلـود والرغبـة في الخـلاص مـن مواجهـة المـوت.

8-2 المصلح أور – كاجينا

يعد الملك أور-كاجينا «أوروانمگينا» (2351-2342 ق.م) آخر ملوك سلالة لگش الأولى، ويبدو أن الوضع العام لهذه المدينة أصابه الوهن والضعف في أواخر حكم هذه السلالة كما أشرنا في موضع سابق، إذ بدأ الضعف يدب فيها من الداخل بسبب الأزمات الاقتصادية وسوء تصرف الحكام والأمراء فعم الارتباك وقامت ثورة في البلاد وأطاحت بالسلالة الحاكمة وتسلم الحكم هذا الملك الذي اشتهر بإصلاحاته.

وقد عمل على وضع حد لتسلط الكهنة ومنعهم من التدخل في الحكم، كما منع رجال السلطة من التدخل في شؤون المعبد، ولقب نفسه بـ(لوگال)، وإزال سيطرة الأغنياء على ممتلكات الفقراء، وسعى لإنصافهم ورد حقوقهم المسلوبة.

وقد كتبت إصلاحات هذا الملك بأسلوب أدبي مؤثر، وهي تصف أولاً حالة السكان السيئة، أو كما يقول كاتبها على نحو أكثر تأثيراً: (قديماً، من أيام العبودية....)، وتصف الجور الذي كانوا فرائس له وكذا الظلم الذي كانوا يقاسونه. ثم يسرد الأمير اصلاحاته ويفاخر في النهاية بأنه (وطد دعائم الحرية في البلاد).

وتبدو لنا إصلاحاته صورة واضحة للطبيعة الاجتماعية في عصر دويلات المدن السومرية، إذ حاول هذا الملك إلى حد ما ازالة الفوارق الطبقية بين الناس ورفع المظالم مما كان يقع على الفقراء من جانب الأغنياء. ففي ظل الأوضاع المتدهورة في مدينة لگش

من النواحي السياسية والاجتماعية أخذ هذا الملك عهداً على نفسه أمام الإله ننگرسو إله مدينة لگش أنه: «لن يسمح أن يقع اليتامى والأرامل فريسة نظام الأقوياء».

وتعد أقدم اصلاحات اجتماعية واقتصادية في التاريخ، وقد وصف هذا الملك المصلح بأنه يخاف الإله وأنه أعاد حرية المواطنين الذين عانوا من الظلم الكثير في عهد سابقيه من الملوك، وعثر على أربع نسخ من هذه الاصلاحات في لگش عام (1878م)، وترجمها لأول مرة (فرانسوا دانگان)، وقد كتبت بالخط السومري ومختلفة بعضها عن بعض بالشكل المكتوب عليها.

وتبدأ هذه الاصلاحات بذكر اله مدينة لگش ننگرسو الذي من أجله شيد هذا الملك القصر والمعبد، وبدد المساوئ والمظالم ومنع الأغنياء والكهنة والمرابون من استغلال الفقراء. وجاء فيها: (... من أجل ننگرسو فارس أنليل الأول... شيد أوركاجينا ملك لگش، القصر«تيراش» وبنى له الـ «أنتاسورا»، وبنى بيت «باو»، بنى «بورسناگ» بيته «سادوگ»، وشيد سقيفة جز صوف الغنم في «المدينة المقدسة». وحفر من أجل نانشة القناة التي تجري إلى نينا، قناتها المحبوبة، وجعل مستودع مائها كأنه في وسط المحيط، وبنى سور«گرسو». ومنذ الأزمنة القديمة ومنذ البداية في ذلك الحين سكن البحارة على سفنهم، والرعاة بين الأغنام، وسكن صيادوا الأسماك... وكان على رعاة الغنم الذين لا يمتلكون نعاجاً بيضاً أن يسلموا المراقب فضة بدل من ذلك. لقد وجب على محصلي الضرائب ومراقبي كهنة دفن الأموات ومراقبي دار

الأعشـاب ومراقبـي تحضـير البـيرة ومراقبـي المحـار وجـب عليهـم جميعـاً أن يسـلموا فضـة بـدل مـن الحمـلان الصغـيرة، واسـتخدمت الأبقـار في ري الأراضي الموهوبـة للأنـسي، التـي تشـكل أخصـب حقـول الآلهـة، هـذه الاقطاعـات التـي تعـد منطقـة سرور الأنـسي. وكان الكهنـة يصـادرون الحمـير والأبقـار الجيـدة، ويوزعـون الحبـوب عـلى حاشـية الأنـسي، وكان عـلى الكهنـة أن يسـلموا الملابـس والخيـوط والأدوات النحاسـية وشـعر الماعـز والطيـور إلى الـ «سـانكا». واقتلـع كاهـن كل منطقـة لنفسـه أشـجار حديقـة والـدة الفقـير وأخـذ ثمارهـا. وعندمـا كان يدفـن الميـت، كان الكاهـن يأخـذ لنفسـه سـبع جـرار مـن البـيرة شرابـه و420 رغيفـاً مـن الخبـز و120 كيـلاً مـن الحبـوب، ورداءاً وجديـاً ذا قرنـين طويلـين فراشـاً. وكان رجـل النـدب يحصـل عـلى 36 كيـلاً مـن الحبـوب. أمـا إذ دفـن المتـوفي في أدغـال قصـب الإلـه أنـكي فيحصـل كاهـن الدفـن عـلى : سـبع جـرار مـن البـيرة420 رغيفـاً مـن الخبـز و72 كيـلاً مـن الحبـوب، وعـلى رداء واحـد وفـراش واحـد وكـرسي واحـد...).

مـن الواضـح أن هـذا الملـك وجـد وضعـاً اجتماعيـاً واقتصاديـاً منهـاراً سـاده الظلـم والطغيـان، وفيـه أصبحـت زوجـة الحاكـم هـي المهيمـن عـلى أمـلاك زوجـة الإلـه، وأديـرت حقـول أطفالـه التـي كانـت عـلى الأرجـح ملـكاً لـدار الأيتـام، باسـم أطفـال الأنـسي (الحاكـم). فعمـل عـلى إعـادة هيبـة الإلـه ننگرسـو وأبعـد الكثـير مـن الموظفـين الفاسـدين مـن المراقبـين وعزلهـم عـن أعمالهـم، وقـد ورد في النـص: (لم يعـد بعـد يوجـد مراقبـون مـن الحـدود الشـمالية لمقاطعـة ننگرسـو حتـى البحـر جنوبـاً...)، وألغـى التعويـض بالفضـة مقابـل نقـص الحيوانـات، وحـدد

كميـة المـواد التـي يحـق للكهنـة الحصـول عليهـا مقابـل خدماتهـم. وعمـل عـلى تحريـر أبنـاء مدينتـه وتخليصهـم مـن الضعـف والاسـتغلال والسرقـة والقتـل، والأهـم في إصلاحاتـه أنـه جعـل الحريـة تسـود في المجتمـع. إذ ورد مصطلـح الحريـة (آمارگـي= (ama-ar-gi4)، والـذي يترجـم حرفيـاً (عـودة إلى الأم)، لأول مـرة في نـص هـذا الملـك. ويتفرد هذا المصلـح الاجتماعـي أنـه جعـل إصلاحاتـه هـذه موضوعـاً رئيسـاً للنقـوش الملكيـة. إذ يذكـر أنـه ضيـق الخنـاق عـلى تجـاوزات أسـلافه وعبثهـم بممتلـكات المعبـد واسـتغلالهم جهـود الشـعوب بوسـاطة الموظفـين، ثـم يـورد بالتفصيـل مـا يمكـن القيـام بـه لإصـلاح هـذا الوضـع.

ويعكـس هـذا النـص بحيويـة عاليـة النضـال بـين الشرائـح الاجتماعيـة في مدينـة لگـش، إذ نقـرأ فيـه أن سـلفه في الحكـم «لوگالنـدا» (2400 ق.م.)، آذى حقـوق المشـاعات لصالـح «المتنفذيـن» ومـزق «قـرارات المـاضي»، وأقـام رقبـاء في كل مشـاعات لگـش الذيـن فـرض عليهـم ضرائـب تعسـفية لمصلحتـه ولمصلحـة كهنتـه، ولم يكتـف هـؤلاء بالضرائـب، بـل قامـوا بنهـب النـاس، فانتزعـوا مـن الفلاحـين مواشـيهم وطيورهـم والأواني النحاسـية والألبسـة الخاصـة بهـم وأحسـن أشـجارهم وأطيـب ثمارهـم، وطالبوهـم بأسـعار مرتفعـة لدفـن موتاهـم أو إقامـة المآتـم والولائـم، كـما أنهـم صـادروا صـوف أجمـل الخـراف البيضـاء وفرضـوا عـلى الخـراف الأخـرى فرضـة خمسـة «شـيقلات» مـن الفضـة لـكل رأس، وأدخلـوا حقـوق الضرائـب الگمرگيـة عـلى الوثائـق والأعـمال القضائيـة. فعمـل بعـد تسـلمه مقاليـد الأمـور في مدينـة لگـش إلى إزالـة هـذه المظـالم الاجتماعيـة، وسـعى إلى نـصرة العائـلات

المزقـة، وحـارب اللصـوص والمفسـدين، فأعـاد العمـل بنظـام الضرائـب القديمـة ومنـع الابتـزاز ودفـع الأمـوال، وعـزل المراقبـين مـن المشـاعات، لذلـك تفاخـر بأنـه (أرسى الحريـة).

وربمـا فـات هـذا الحاكـم أن يـدرك وجـوب وجـود نظـام اقتصـادي قـوي واحـد يجمـع بـين دويـلات المـدن السـومرية لتحقيـق طموحـه في إدارة دولـة قويـة. ونتيجـة لهـذا صعـب عليـه أن يزيـل الفـوارق الاجتماعيـة بـين عمـوم الشـعب السـومري بـكل فئاتـه بصـورة جذريـة. وقـد حـال ذلـك كلـه بينـه وبـين أن يحصـل عـلى نتائـج اصلاحاتـه التـي بقيـت تمثـل طفـرة حاكـم مثـالي لم تجلـب لـه ولنظامـه إلا الدمـار. إذ مـا لبثـت المـدن السـومرية أن عـادت مـن جديـد للنـزاع فيـما بينهـا، وأن المـدة التـي أعقبـت نهايـة حكمـه لم يعـثر في اثناءهـا عـلى أي مـن المدونـات القانونيـة سـوى بعـض الوثائـق الإداريـة، وبقيـت هـذه المـدة صامتـة قانونيـاً حتـى قيـام سـلالة اور الثالثـة.

وقـد حكـم أوركاجينـا البـلاد مـدة ثمـان سـنوات، إذ ظهـر في أومّـا العـدو التقليـدي لدويلـة لگـش حاكـم قـوي وتوسـعي وهـو الملـك لـوگال زاكيـزي الـذي أطـاح بمدينـة لكـش وقـضى عليهـا نهائيـاً.

8-3 گوديا

جاء هذا الرجل الرائع إلى الحكم في أكثر حقب تاريخ سومر اضطراباً. وتاريخه غير مؤكد إلى حد ما، ولكنه عاش في جميع الاحتمالات تحت حكم ملوك الگوتيون، والذين، مع ذلك، لم يرد ذكرهم في أرشيفات عهده. ويبدو من أسلوب الكتابة وأسماء الأشهر أنه حكم بعد مدة قصيرة من سقوط الدولة الأكدية. ومع أن النقوش الأثرية العديدة لگوديا كتبت باللغة السومرية الكلاسيكية القديمة، إلا أن العديد من سكان لگش لديهم أسماء سامية، وتظهر العبارات السامية في سجلات المعبد. وما زال غالبية الناس، الكهنوت والطبقات الحاكمة سومريين، ولكن تراجعهم أمام الأقوام السامية أصبح واضحاً الآن، وأصبح سكان لگش مواطنين عالميين. وفي ظل الظروف التي كان فيها نشاطه محصوراً في الأدب والهندسة العمارية، مارس گوديا تأثيراً عميقاً على دين سومر، ليس بوصفه حاكماً زمنياً، ولكن بصفته رسول الأدب الكلاسيكي وأسرار الآلهة، وحصل على تأليه بعد وفاته. إذ يذكر في عصر سلالة أور الثالثة على أنه أحد حكام الماضي، ويُذكر بوصفه رجلاً إلهياً. ويذكر أحد النصوص من زمن الملك آبي- سين أنه قدم القرابين إلى گوديا، وقد ورد ذكره مع ملوك أور المؤلهين. وتلقى گوديا الإلهي إراقة من النبيذ والوجبات في عيد القمر الجديد في لگش، ومن المحتمل أن يكون قد عرفت عبادته في جميع المدن السومرية، وأنه كان من المفترض أن يقيم في أحد النجوم.

وقد أشرنا عند الحديث عن مدينة لگش إلى أن أشهر حكّام سلالتها الثانية هو الحاكم گوديا (2141-2122 ق.م.) الذي ربما كان ابناً لـ(أور- باو) مؤسس هذه السلالة، أو حفيداً له من ابنته، وهو الحاكم السابع في هذه السلالة. وكتب أسمه باللغة السومرية بالصيغة الآتي: (Gù-dé)، بمعنى ينادي أو يتكل. ويبدو أن المعنى الشائع لهذه الصيغة يرتبط بالمناداة، ولا سيما مناداة الإله أو الملك، فتأتي بمعنى ينادي، أو يسمّي، أو يكلّم. وترجح بعض كتاباته أنه كان مجهول النسب:

(أنا لا أملك أماً أنت أمي

أنا لا أملك أباً أنت أبي

ولقد ولدتني في المعبد المقدس...).

لذا ربما كانت أمه من الكاهنات، وتحديداً كاهنة الإلهة «كاتمدو»، وكانت زوجته هي نينالـلا(Ninalla) ابنة الحاكم أور-بابا. وهناك من يشير إلى أن له زوجة ثانية هي گيميشولوبي (GemeŠulupae) وكان له ولدان، أحدهما أور-ننگرسو الثاني الذي حكم بعده، والآخر لوگال-كريكزي. ولقب نفسه بملك لگش، وعد نفسه الإله الشخصي لهذه المدينة، وقد وضع علامة النجمة رمز الآلهة أما م اسمه: (گوديا حاكم لگش، أورشاروا، ابن أور- سين= (dGù-dé-a énsi- Lagaški ur-dšár-ùr-ra dumu-ur-dsuen)، وأنه كان الوسيط بين شعبه وإله المدينة ننگرسو: (الحاكم الإله الشخصي لمدينته يتلو صلاته...). ومن أبرز ألقاب هذا العاهل السومري

«الراعـي»، وهـو اللقـب الـذي حملـه لأول مـرة الملـك لوگال-زاكيـزي، لـذا كان گوديـا يلقـب بـ(الراعـي الحـق لـلأرض). وجـاء في تفسـير حلمـه مـن الإلهـة نانشـة :(أيهـا الراعـي الصـادق گوديـا سـوف تبـدأ ببنـاء البيـت لي...). وحمـل لقـب «الحكيـم»: (گوديـا أمـير لگـش صاحـب الحكمـة الواسـعة العبـد الـذي تحبـه سـيدته...)، ولقـب بـ «العـادل»: (گوديـا أمـير لگـش الرجـل العـادل الـذي يحبـه إلهـه الشـخصي...)، وغيرهـا مـن الألقـاب، وهـي تحمـل منحـنٍ دينيـاً وليـس سياسـياً.

وتشـير تواريخـه السـنوية إلى اهتمامـه بالمعابـد وعباداتهـا. وكان أكـثر مشـاريعه طموحـاً إعـادة بنـاء وتوسـيع معبـد أنينّـو(Eninnu) عـلى التـل الشـمالي حيـث عمـل سـلفه أور- بـاو. وقـد دون هـذه الأعـمال عـلى أسـطوانتين كبيرتـين مـن الطـين: تعرفـان بالأسـطوانتين A و B، وتحمـل الأولى ثلاثـون عمـوداً كتابيـاً، والثانيـة واحـد وعـشرون عمـوداً كتابيـاً. واقـترن اسـم هـذا الحاكـم بـالأدب والفـن السـومري وبنـاء المعابـد، وقـد كشـف المنقبـون الفرنسـيون الذيـن عملـوا في أطـلال مدينـة لگـش عـن أكـثر مـن عشريـن تمثـالاً منقوشـاً لهـذا الملـك الـذي اتصـف بالتقـوى والصـلاح، وكانـت هـذه التماثيـل مقامـة أصـلاً في معابـد مدينـة گرسـو(تلو حاليـاً)، ومـا أن عرضـت في المتاحـف ونـشرت صورهـا حتـى أصبـح الوجـه السـومري معروفـاً جـداً لـدى العـالم الحديث(الشـكل: رقـم 15).

وظهـر الحاكـم في هـذه المنحوتـات بأوضـاع مختلفـة جميعهـا تعبديـة منهـا؛ حالـة الوقـوف والجلـوس، وكان حامـلاً في اثنـين منهـا رسـماً أو مخططـاً للمعبـد، وأغلبهـا بالحجـم الطبيعـي تقريبـاً، وبعضهـا

تحمـل كتابـات مسـمارية باللغـة السـومرية، وعملـت في معظمهـا مـن الحجـر الديورانـت الصلـب الأسـود أو الأخـضر المسـود، وبعضهـا مـن حجـر السـتياتيت، ويذكـر الملـك أن هـذه الأحجـار جلبـت مـن مكان(عُـمان). ويخاطـب هـذا العاهـل التمثـال بمـا يـدل عـلى أنـه صنع مـن حجـر صلـب: (أيهـا التمثـال لسـت مصنوعـاً مـن فضـة أو لازورد ولا مـن نحـاس أو قصديـر أو برونـز أنـك حقـاً مـن حجـر الديورايـت)، ومـما يؤسـف لـه أن كثـير مـن هـذه التماثيـل كانـت فاقـدة لـرأس لأسـباب مختلفـة. وقـد تميـزت هـذه التماثيـل بتصويـر الملـك بهيئـة ضخمـة لأعضـاء الجسـم وخاصـة العضـلات والرقبـة لدرجـة يبـدو منهـا في بعـض الحـالات عـدم وجـود الرقبـة مثـلاً، وربمـا كان لصلابـة الحجـر الأثـر الكبـير في هـذه الحالـة، فهـو لا يعطـي مرونـة للنحـات. كـما تظهر هـذه التماثيـل تشـابه كبـير فيـما بينهـا مـما يشـير إلى أنهـا عملـت للشـخص نفسـه ومـن نحـات واحـد، أو مدرسـة أسـلوبية واحـدة.

وأهـم هـذه التماثيـل هـو تمثـال للملـك گوديـا بوضعيـة الجلـوس بالحجـم الطبيعـي مـع نقـش طويـل في تسـعة أعمـدة محفـورة عـلى الظهـر والوركـين والجـزء السـفلي مـن الثـوب. وقـد أعطيـت جميـع التماثيـل السـومرية أسـماء صوفيـة، وتصـف الكتابـة عـلى التمثـال كيـف سـمي: (لقـد أقمـت لملـكي تمثالـه، فتكـون الحيـاة أجـرى). وقـد رُكـب التمثـال عنـد الانتهـاء مـن تشـييد المعبـد، وأعلـن عـن إجـازة كبـيرة لأهـل لگـش، لمـدة سـبعة أيـام، إذ ألغيـت العـادات القديمـة، وأصبحـت الخادمـة مثـل سـيدتها، وسـار الخـادم بجانـب سـيده، وطُهـر المعبـد كلـه.

فمـن أجـل العدالـة، مثـل أوروكاگينـا مـن قبلـه، طبـق گوديـا قوانـين نينـا وننگرسـو: «لـن يفعـل الرجـل الغنـي شراً لليتيـم، ولم يظلـم الرجـل الغنـي الأرملـة. وأمـا البيـت الـذي لا ولـد فيـه فقـد دخلـت ابنتـه وريثـة لـه». ثـم يعبر هـذا الحاكـم عـن أملـه في أن يبقـى هـذا التمثـال موجـوداً في أعـمال التقدمـات أو الإراقـة لروحـه عنـد وفاتـه، وفي الواقـع تشير محفوظـات المعابـد بعـد قـرن مـن الزمـان إلى تقديـم القرابـين مـن الغنـم والوجبـات والزيـت لـروح گوديـا. وينتهـي النـص الكتـابي كـما العـادة بلعنـة طويلـة عـلى مـن يتدخـل في معبـده أو يـضر النـص بـأي شـكل مـن الأشـكال. ويشـار إلى گوديـا عـلى أنـه ملـك في ملحمـة كتبـت بعـد نحـو قرنـين مـن الزمـان بعـد وفاتـه:

«انا الرب؛ أنت مهيأ لذراعي البطولية،

الملك الذي سيرث اسمه لحياة الأيام البعيدة،

الذي يصمم تمثالاً للأيام الأبدية،

في أنينّو، المعبد المليء بالعيد،

في مكان الإراقة الجنائزية ... على النحو المناسب ليضعك ...»

وهنـاك تمثـال مشـابه لـه الأبعـاد نفسـها تقريبـاً وفي الوضـع نفسـه، وربمـا يكـون أفضـل مثـال عـن النحـت السـومري. وقـد فقـد رأسـه أيضـاً. وتخلـد الكتابـة التـي يحملهـا ذكـرى بنـاء معبـد گاتومـدوگ في «المدينـة المقدسـة». وعـثر عـلى تمثـال صغـير الحجـم مـن الديوريـت الأخـضر بارتفـاع 3 أقـدام و4 بوصـات، وهـو مـن دون قاعـدة التمثـال.

وقد وضع بمثابة نصب تذكاري في معبد ننخرساگ في گرسو، وحمل اسم: «الإلهة التي في السماء والأرض تقرر الأقدار، الإلهة نينتود، أم الآلهة ، قد أطالت عمر گوديا باني معبدها».

واستمدت معظم معلوماتنا عن هذه المدة بالأصل من الكتابات التي حملتها تماثيل ملوك هذه السلالة، ولا سيما تماثيل الملك گوديا، فضلاً عن مخاريط طينية تحمل كتابات تذكارية خاصة بتأسيس المعابد؛ ومنها على وجه الخصوص أسطوانتين كبيرتين من الطين تعرفان بين المختصين بالمسماريات بأسطوانتي گوديا كما أشرنا يحتويان على أطول النصوص السومرية، إذ يخلد فيهما بنائه معبد الخمسين (أي- ننو) الخاص بالإله (ننگرسو) إله لگش(الشكل: رقم 16). وقد زودتنا هذه التراتيل الأدبية- الدينية بنفاذية جديدة في الأدب الديني عند السومريين. وأصبحت كتابات هذا الملك هي المادة الرئيسة في دراسة قواعد اللغة السومرية. إذ ترك هذا العاهل كتابات كثير على مخاريط طينية مختصرة دون فيها بنائه وتجديده لمجموعة كبيرة من المعابد، كما أن تماثيله حملت الكثير من الكتابات التي تتعلق بأعماله العمرانية. وتعد الأسطوانتين سالفتي الذكر من أبرز ما خلف من كتابات تم توظيفها في كتابة قواعد اللغة السومرية. وقد جمع الباحث فلكنشتاين كتابات گوديا ونظمها بشكل علمي ومفصل في وضع أسس قواعد اللغة السومرية في عصرها الحديث (عصر أور الثالثة)، وأصدر عام 1949-1950 م مجلدين بهذا الشأن.

وقد ادعى هذه العاهل السومري أنه كان يسعى إلى اسعاد

شعبه، وأنه عمل على جلب الرفاهية إليهم. وقد اهتم بالعمران وشق قنوات الري من النهرين العظيمين دجلة والفرات، وكان يقدم الهدايا والقرابين إلى الآلهة من أجل الحصول على رضاها لإسعاد شعبه. وكان گوديا كثيراً ما ينتظر الفيضان ويرى أنه يجلب الخير للبلاد. فيذكر في إحدى كتاباته: (ولم ترتفع مياه الفيضانات، ولم تظهر في مدينتي كالمعتاد. ولم يسطع بريق الماء العالي ولم نره. ولم يجلب فيضان أنليل الماء الخير العزيز مثل دجلة، يجب أن يخبر الملك المعبد أنينّو بوجوب مراعاة تعليماته في السماء والأرض...).

ويعد حلم هذا الملك الذي رواه لأمه من النصوص المهمة في اللغة السومرية، وقد دون على الأسطوانة «A»، ويبدو أن الكثير من تفاصيل هذا الحلم قد نفذها گوديا في أرض الواقع، فقد بنى معبد الخمسين لألهه المحبوب ننگرسو كما أشرنا. وقد كتبت تفاصيل هذا الحلم بأسلوب أدبي رفيع وبنهج ملحمي ترتيلي: (كان هنالك شخص في حلمي، كان هائلاً كالسماء هائلاً كالأرض...).

وبعد أن سمعت الإلهة نانشة الحلم منه فسرته على النحو الآتي:

(أيها الراعي سوف أفسر الحلم من أجلك ...

الرجل كان حجمه هائلاً كالسماء وكان حجمه هائلاً كالأرض كان إلهاً،

طبقاً لواقع جناحيه كان طير آن-زو،

وطبقاً لواقع أجزائه السفلى كان عاصفة الطوفان،

وعلى يمينه ويساره كانت الأسود تضطجع ...

كان ذلك بالتأكيد أخي ننگرسو ...

وقد تحدث إليك بشأن تشييد الأنينّو ...).

وقد أجرى گوديا أعمالاً احتفالية من التطهير والطقوس في أنينّو. وبعد صلاة إلى ننگرسو، نام مرة أخرى وظهر له إلهه في أحلامه، وأمره بإعادة بناء الهيكل: «الذي سيدعو اسمه جميع البلدان معاً من تخوم السماء، وحتى مگان وملوخا يظهران من جبالهما». ثم يعطي الإله تعليمات بخصوص المصليات والشعارات المقدسة لأنينّو.

وتعد تماثيل أسس البناء من أبرز ما خلفه لنا هذا العاهل السومري، وهي تماثيل صغيرة تصنع من المعادن وتوضع في أسس المباني، ولا سيما المعابد الكثيرة التي شيدها هذا الملك، وجلب لها عمال وفنيين من خارج مدن السهل الرسوبي. فقد عثر على تمثال صغير صنع من حجر الديوريت الذي جلب من مگان، وأطلق عليه اسم: (أتمنى أن تطول حياة گوديا باني المعبد)، ويبدو أنه وضع في منطقة أي-أنّا في مدينة الوركاء في معبد أينانا إلهة الوركاء المعظمة.

ويمثل ختم الملك گوديا ابتعاداً عن فن النقش المعروف في العصر الأكدي السابق، والذي تميز بهيمنة الموضوعات الأسطورية مثل ملحمة گلگامش، إذ نشاهد هذا الملك يقوده إلهه نينگيشزيدا أمام إله. وقد صور بالهيئة السومرية الممثلة برجل حليق الذقن، ورأسه مطابق تقريباً للرأس المفترض أنه ينتمي إلى بعض تماثيله. ويقف خلفه ما يمثل الإلهة الأم الشفيعة (الشكل: رقم 17).

وقد بلغ فن النحت السومري مستوى عالياً من الدقة والروعة في

عـصر هـذه السلالة، ومـن المعـروف أن هـذه السـلالة تمثـل عـصر انتعاش في الفــن الســومري والمآثــر الســومرية، وتشــهد عــلى ذلــك تماثيــل هــذا العاهـل وكتاباتـه التـي جهـز بهـا المعابـد التـي جـدد بناءهـا في مدينـة لگـش. وقـد جـاء في أحـد هـذه النصـوص مـا يـأتي: (گوديـا، بـاني المعبـد «معبـد الخمسـين»، في المعبـد وضـع السـلة كالتـاج المقـدس فـوق رأسـه، عمـل الأسـس، أقـام الجـدران عـلى الأسـس). ويعـد هـذا المعبـد من أشـهر معابـد المدينـة، وهـو معبـد الإلـه القومـي لسـكانها، وقـد شـيده مسـيليم وجـدده هـذا العاهـل، وكان لـه مصليـات عـدة تابعـة. كـما أنـه أعـاد بنـاء معبـد الإلهـة بـاو الـذي شـيده أور- نانشـة مؤسـس سـلالة لگـش الثانيـة. ويعـد معبـد الإلـه ننگيشـزيدا الواقـع في القسـم الجنـوبي مـن المدينـة مـن أبـرز المعابـد، فهـو معبـد الإلـه الشـخص لهـذا الملـك:

(للإله ننگيشزيدا،

إلهه الشخصي،

گوديا حاكم لگش،

عبد الإلهة گاتمدوك،

معبده في گرسو،

بناه له...).

ومـع تقـوى هـذا الملـك وانشـغاله بالأمـور الدينيـة وبنـاء المعابـد، إلا أنـه أورد إشـارات عـن قيامـه بحملـة عسـكرية في انشـان في جنـوب بـلاد عيـلام: (ضرب بالسـلاح انشـان وعيـلام وأدخـل غنائمهـما إلى الإلـه

ننگرسو في معبد الخمسين...)، فضلاً عن صلات تجارية واسعة مع كل من الأناضول فجلب الذهب، ومع لبنان وغابات الأرز فيها، وكذلك مع دلمون في الخليج، فيذكر في أحد النصوص أنه فتح الطريق لتجارته من البحر الأعلى

(البحر المتوسط) إلى البحر الأسفل(الخليج العربي):

(عندما بنى معبد الخمسين،

إلى ملكه المحبوب ننگرسو،

عندما فتح أمامه الطريق،

من البحر الأعلى إلى البحر الأسفل...).

وخلفه في حكم هذه المدينة من أبناء سلالته بعض الملوك الأقل شأناً الذين لا نعرف عنهم سوى اسمائهم. ويمكن القول أن حكّام هذه السلالة كانوا يبتغون هدف سرجون وخلفائه وهو احتكار تجارة مواد ضرورية معينة، ومن ثم تطبيق اقتصاد حكومي إلى درجة ما. غير أنهم تابعوا تحقيق هذا الهدف بوسائل مختلفة تماماً وتقليدية في بلاد سومر وتقوم على أسس اقتصادية أكثر من الأسس السياسية. فقد وصل وكلاء (گوديا) إلى الأماكن نفسها التي وصلها سرجون عسكرياً، ولكن أتباع (گوديا) كانوا تجار من دون مقاصد سياسية.

8-4 أور- نمو

استطاع أور-نمـو(2112-2095 ق.م) حاكـم مدينـة أور مـن القضـاء عـلى أوتو-حيـگال ملـك الـوركاء الـذي كان قـد قـضى عـلى الگوتيـين قبـل مـدة قصـيرة كـما أشرنـا في موضـع سـابق، وكان أور-نمـو مـن أنصـاره. وكان أول أعـمال أور-نمـو هـو العمـل عـلى إعـادة وحـدة البلاد السياسـية ونظـام حكمهـا المركـزي. ويبـدو أن مؤسـس هـذه السـلالة كان قـد عـين في البدايـة حاكـماً عسـكرياً مـن أتو-حيـگال، وقـد يكـون صهـره أو أخيـه إلا أنـه سرعـان مـا طـوح بـه واسـتولى عـلى السـلطة، واتخـذ لنفسـه لقب(ملـك أور)، وهكـذا أسـس سـلالة جديـدة في تلـك المدينـة كانـت مـن نـواحٍ كثـيرة بـارزة مثـل سـلالة أكـد. لقـد أسـس إمبراطوريـة عظيمـة هـي الثانيـة في بـلاد الرافديـن بعـد الإمبراطوريـة الأكديـة واسـتمرت مـا يقـرب القـرن(2112-2004 ق.م)، وهــي آخـر الـدول القوميـة السـومرية. وحمـل هـذا الملـك ألقـاب عـدة منهـا: ملـك أور، والرجـل العظيـم لأور، أو سـيد وملـك أراضي سـومر وأكـد، والملـك العظيـم ملـك سـومر وأكـد، وسـيد الحكمـة الواسـعة، والذكـر القـوي، والرجـل الشـاب المختـار مـن الجبـل العظيـم، وغيرهـا.

واتخــذ مؤســس هــذه الســلالة مــن أور عاصمــة لــه وســار عــلى نهـج سـلفه أوتو-حيـگال، وأجـبر حـكّام المـدن المسـتقلة عـلى الخضـوع لسـيطرته، وجعــل حــكّام المقاطعــات والمــدن التــي كانــت تحــت السـيطرة الگوتيـة خاضعـة لـه، ولقـب نفسـه بلقـب (ملـك سـومر وأكـد) إشـارة إلى سـيطرته عـلى كل بـلاد بابـل، فضـلاً عـن تجهيـزه

حملات على مناطق ديالى ، وأخضع مدينة سوسة تحت سيطرته. لقد نجح في فرض سلطته على البلدان والمناطق المجاورة لبلاد سومر، إذ يذكر أنه: (جعل الطرق مستقيمة من «البلدان»السفلى إلى «البلدان» العليا).

ويعد برنامج المباني العامة الكثيرة في هذا العصر التي قام بها الملوك في كل المدن السومرية أهم سمات هذا العصر، وهي تؤشر مدرسة عمارية راسخة فرضت خبرتها الفنية ومعاييرها الجمالية، واوضح مثال على ذلك هو الزقورة أو البرج المدرج الذي يقوم عليه معبد صغير. وقد بنى أور- نمو مؤسس السلالة زقورة أور الشهيرة في مدينة أور وأكملها ابنه شولگي. ويمكن لأور- نمو الادعاء بفضل البدء في بناء الزقورة العظيمة، والتي ما تزال أجزاء منها مرئية حتى اليوم، وتظل رمزاً قوياً لقوة حقبة أور الثالثة وازدهارها. ويُعتقد عموماً أن هذه الزقورة أو واحدة أخرى من الزقورات التي بناها أور- نمو في الوركاء، وأريدو، ونيبور كانت أصل القصة التوراتية لبرج بابل، ومع أن زقورة بابل نفسها كانت أيضاً منافساً. وقبل الزقورات من عصر أور الثالثة، كانت هناك «شرفات عالية» أخرى متوجة بمعابد، ولكن لا يوجد دليل واضح عن بناء ثلاثي متدرج حقيقي قبل ذلك. ويزعم أن هناك اثنين منهما في كيش، ولكن تبقى حالتهن غير مؤكدة، إذ جرى التنقيب عنهن منذ سنوات عدة، ولم تنشر التفاصيل على نحو دقيق. كما هناك دليل على وجود بناء بالآجر المستوي المحدب من نوع ما ضمن زقورة أور-نمو. وهناك كثير من النقاش حول مغزى هذه

المباني الضخمة، الجبال التي من صنع الإنسان فعلياً، والتي ربما قصد منها الوصول قريباً من السماء، حيث مساكن الآلهة، ولأجل أن لا تذهب الصلوات على قمتهن بعيداً. وكان يتم تسمية كل منها باسم بانيها، وتوضع علامة غالباً ما تتضمن دلالة «جبل».

ودرس السير(ليونارد وولي)عمارة هذه الزقورة وأشار إلى أنها بناء صلد شيد من ثلاثة أجزاء، ونواتها من اللبن، وربما بنيت حول وعلى برج قديم ربما من عصر السلالات المبكرة، وغطيت بقشرة من الآجر الذي لصق بالقير السميك لذا سميت بـ(أور المقير)، ولهذه الزقورة سلم ثلاثي. وتتكون الزقورة من ثلاث مصاطب متراكبة، ويتضاؤل حجم كل واحدة منها، مثل طبقات كعكة الزفاف. ويبلغ قياس المصطبة السفلى نحو 60× 45 م، و ارتفاعها نحو 15 م في المنتصف. وقد بنيت من كتلة صلبة من الآجر، وثبت أنه من الصعب للغاية التخطيط على نحو صحيح لأنه لم تكن هناك أي خطوط مستقيمة. وكان من المستحيل الرؤية من زاوية إلى أخرى على طول قاعدة المبنى بسبب انحناء الجدران؛ وكان هناك أيضاً ميل كبير في المستوى العمودي. وقد اعتقد وولي في البداية، أن هذه الميزات ناتجة من محاولة متعمدة لخداع العين للاعتقاد بأن الخطوط مستقيمة باستعمال الجهاز اليوناني المعروف باسم الشدة(entasis). ومع ذلك، فأنه غير رأيه واقترح أخيراً أن هذه الانتفاخات كانت نتيجة التجويف التدريجي. وقد زين الوجه الخارجي للزقورة بالطلعات والدخلات. واخترقت ثقوب صغيرة مستطيلة مليئة بالفخار المكسور عمق المبنى. ويرى معظم العلماء أنها ثقوب تصريف، مما يسمح للرطوبة بالخروج

من وسط الشرفة الكبيرة، ولكن وولي نفسه كان مصمماً أنها كانت لتفريغ الشرفة السفلية. وأشار إلى أنها كانت في الأصل قد زرعت بالأشجار لتعزيز الانطباع بأن الزقورة جبل عظيم. ومن المؤكد أن هناك شروطاً لسحب المياه إلى الشرفة، ولكن يبدو أن هناك شكاً كبيراً بأن الأشجار كانت ستنجو من الشمس الحارقة لصيف بلاد الرافدين من دون مظلة. وما يزال يوصل إلى سطح المصطبة الأولى عن طريق سلم ثلاثي على الوجه الجنوبي الشرقي من الشرفة. اثنان من السلالم من 100 درجة، ويصل كل منهما إلى واجهتها، يمتد أحدها باتجاه الشمال تقريباً، والآخر باتجاه الجنوب، في حين يدور الثالث بزوايا قائمة إلى الاثنين الآخرين. ومن الممكن أن تكون هناك معابد صغيرة في الزوايا بين السلم الوسطي والأخرى التي تدور حول وجه الزقورة على كل جانب منها. والتقت جميع السلالم الثلاثة أسفل طبقة الشرفة مباشرة، وربما غطيت نقطة الاتصال بنوع من القبة، كما يظهر في عمليات إعادة البناء. ويبدو أن مستوى سطح الشرفة كان أعلى بمقدار 3م في الوسط منه عند الزوايا، وتتصل الطبقتان بمجموعة واحدة متصلة من الدرجات. ولم تحتفظ المصطبة الثانية بارتفاعها بشكلٍ كامل، لأنها سويت من قبل نبونائيد في العصر البابلي الحديث. ويقدر ارتفاعها بنحو 5،7 م فوق المصطبة الأولى.

وقد دمّر الجزء الأكبر من سطح مصطبة أور-نمو الثانية، ولكن ليس هنا أية ميزّة واحدة غير موجودة في المصطبة السفلى. وكشف عن غرفة صغيرة بنيت مقابل الواجهة الجنوبية-الشرقية للزقورة التي كانت أرضيتها مغطاة بأشكال نحاسية صغيرة من

طيـور، وأهلّـة، وقـوارب. وعـدّ وولي أن هـذه الأشـكال قـد تمثـل تعاويـذ سـحرية، أمـا أن يقدمهـا متضرعـون، أو يتـم بيعهـا لهـم. وربمـا كانـت مثـل تـذكار الحـج التـي كان يتـم شراؤهـا في العصـور الوسـطى، لجلـب الحـظ السـعيد، والحمايـة الإلهيـة بعـد زيـارة أحـد مواقـع الحـج.

وقـد تـلاشى الطابـق الثالـث حتـى أسسـه بسـبب البنـاء اللاحـق والتـآكل، ومـع ذلـك يمكننـا إلى حـد مـا تثبيـت قياسـاته (20 × 11،30م)، ولكـن ليـس هنـاك شيء آخـر. وأعيـد بنـاء مـزار صغـير ليكـون قائمـاً عليـه، كان جزئيـاً نتيجـة لحسـاب هيرودوتـس لزقـورة بابـل بعـد أكـثر مـن ألـف عـام. فقـد ادعـى أن المـزار أعـلى الزقـورة كان يحتـوي عـلى أثـاث ذهبـي، حيـث تنـام الكاهنـة هنـاك. ويعتقـد أن الإلـه ينـام هنـاك أيضـاً. وكان هيرودوتـس يتطلـع إلى قصـة جيـدة، وأحيانـاً يـترك حماسـه يذهـب بعيـداً، لذلـك لا يمكـن التأكـد مـن دقـة روايتـه. ومـن الممكـن أيضـاً أنـه لم يكـن هنـاك مـزار، ولكـن بـدلاً مـن ذلـك، مذابـح لتقديـم القرابـين. وللأسـف، تعرّضـت جميـع الزقـورات الباقيـة للتـآكل بشـدة، ويبـدو مـن غـير المحتمـل أننـا سـنعرف أبـداً مـا الـذي أقيـم عـلى المصطبـة العليـا، إن وجـد. مـع، أو مـن دون مـزار، لا بـد أنـه كان مشـهداً مذهـلاً، ومعلـماً نافعـاً يمكـن رؤيتـه مـن مسـافات بعيـدة في الريـف المنبسـط. كـما أنـه تصريـح واضـح عـن تقـوى بناتـه وثروتهـم.

وقـام (جيـه. إي. تايلـور) في منتصـف القـرن التاسـع عـشر بالعمـل الأقـدم لتنظيـف الأنقـاض مـن زقـورة أور. وبـدأ فريـق أمريـكي العمـل مـع نهايـة القـرن، ولكنـه سرعـان مـا أصيـب بخيبـة أمـل بسـبب

حجم التحدي. كما لاحظ وولي أنها كان مهمة هائلة تتطلب إزالة آلاف الأطنان من الركام قبل إعادة بناء الشكل والحجم الأصليين مع بعض اليقين. وكانت المحاولة أكثر تعقيداً بسبب الإصلاحات والإضافات للحكّام اللاحقين التي دائماً ما كان يصعب تمييزها في البداية. ورمم جزء من الزقورة الآن علماء الآثار العراقيين، وتقع الزقورة والمباني المرتبطة بها في النصف الشمالي من المدينة المسورة. وتقع الزقورة نفسها في منطقة مسوّرة أصغر في الزاوية الشمالية الغربية من المنطقة المقدسة المرتفعة، وتشرف على المدينة التي تقع أسفلها. وتتجه زواياها مع اتجاهات البوصلة، على وفق التقاليد المطلوبة، فضلاً عن الزقورة اهتم هذا الملك السومري بعمليات بناء وتعمير المعابد، كما أنه حفر القنوات وشق الجداول، وقد دون الكثير من هذه الأعمال على بعض المخاريط الطينية التي عثر في مدينة لگش.

ويسجل لهذا الملك أنه شرع القوانين، إذ يعد أول من اصدر قانوناً مدوناً باللغة السومرية، وهو يسبق القانون الشهير الذي شرعه العاهل البابلي العظيم حمورابي (1792 - 1750 ق.م). فقد عثر في مدينة نيبور على ألواح كتابية مدونة بالسومرية تحمل مواد قانون هذا الملك. ومما يؤسف له أن حالة هذه النصوص سيئة. وسعى هذا الملك عن طريق فقراته ومواد قانونه إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي لدولته والعمل على انجاحها في مختلف الجوانب الحياتية وتلبية الاحتياجات الأساسية لمختلف طبقات المجتمع وتحسين أوضاعهم المعاشية. ويتألف من إحدى وثلاثون مادة قانونية أعتمد

فيها مبدأ التعويض في العقوبات، أي فرض الغرامة على من يتسبب في إيذاء شخص آخر. ومن المعروف أن القوانين اللاحقة أتبعت قاعدة القصاص المعروفة: (العين بالعين والسن بالسن).

وتعد راية أور- نمو من أبرز النماذج الفنية من هذا العصر، والتي عثر عليها في مدينة أور، وهي بارتفاع نحو 3 م، قسمت بصورة أفقية تبرز صوراً مرتبطة مع البناء، ويظهر الملك وهو يقوم بأعمال طقوسية. وهي موضوعات ظهرت على الأختام أيضاً (الشكل: رقم 18)، فضلاً عن تماثيل تظهر روعة الفن السومري الأصيل، وعلو كعبه في مجال الفن القديم في بلاد الرافدين. وعثر على كثير من تماثيل الأسس للملك السومري أور-نمو في عدد من المدن السومرية مثل : لگش وأور ونيبور والوركاء. وكانت هذه التماثيل صغيرة الحجم توضع في أسس المباني، وتحمل كتابات تكريسية، إذ حمل أحدها يعود لهذا الملك النص الآتي: (الإله أنليل، ملك البلدان، إلى ملكه، أور-نمو، الرجل القوي، ملك مدينة أور، ملكك بلاد سومر(و) أكد، سو مدينة نيبور، بنى له) (الشكل: رقم 19).

وعثر على تمثال آخر لهذا العاهل وهو يحمل سلة مواد البناء، وكان يرتدي لباساً طويلاً ذا نطاق، ويلاحظ وجود إله واقف فوق قاعدة مستديرة، مع وجود كتابة مسمارية في أسفل التمثال تذكر اسم الإله والمعبد. وهناك تمثال آخر صنع من الخشب، وكان بالوضعية السابقة ذاتها ويحمل سلة البناء ويرتدي مئزراً طويلاً .

كان عهد أور-نمو مليئاً بالحروب والأعمال العسكرية التي قضت

على جميع السلالات المحلية الحاكمة وعلى بقايا الگوتيين في البلاد وامتدت لتصل إلى سواحل البحر المتوسط ليستعيد بذلك النشاط التجاري مع الأقاليم والبلدان المجاورة والبعيدة كما يستدل على ذلك في الوثائق الاقتصادية المكتشفة من هذا العصر.

فقد بدأ بالسيطرة على مدينة لگش التي كانت تتمتع بالاستقلال في عهد الگوتيين، وقتل ملكها المعروف باسم نامخاني وهو صهر أور-باو ملك لگش، وعين شخص آخر حاكماً لهذه المدينة يدعى أورايا. وقاد حملات عدة على مناطق بلاد عيلام، وأخرى على مدن في أعالي الفرات، وفي مناطق الخليج.

ودونت وفاة الملك أور- نمو في أحد النصوص، إذ يسرد كيف أنه: (ترك في ميدان المعركة كأنه إناء مهشم)، ويصوره وهو يرقد في نعشه في قصره وكان يندبه على الأرجح حاشيته وأقربائه وشعبه، ومن ثم يصور عملية نزوله إلى العالم السفلي وما حمله من قرابين وهدايا لآلهة هذا العالم، ومنهم الإله دموزي.

مصادر الفصل الثامن

1 . الأحمد، سامي سعيد(1978). العراق القديم. ج1، بغداد.

2 . الأحمد ، سامي سعيد(1980). ملحمة كلكامش. بيروت، بغداد.

3 . الأحمد، سامي سعيد(1985). نظام الحكم والإدارة. حضارة العراق، ج2. بغداد.

4 . الأحمد، سامي سعيد(1990). السومريون وتراثهم الحضاري. بغداد.

5 . أوبنهايم، ليو(1981). بلاد ما بين النهرين. ترجمة. سعدي فيضي عبد الرزاق. بغداد.

6 . أوتس، جين وديفيد(1988). نشوء الحضارة. ترجمة، لطفي الخوري، بغداد.

7 . باقر، طه(1973). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1.

8 . باقر، طه(1976). مقدمة في أدب وادي الرافدين. بغداد.

9 . باقر، طه(1980). ملحمة جلجامش. بغداد.

10 . بشور، وديع(1981). سومر وأكد. دمشق.

11 . چرك، أوسام بحر(1998). الزقورة ظاهرة حضارية متميزة في العراق القديم. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار.

12 . حنون، نائل(2006). ملحمة جلجامش. دمشق.

13 . حمدان، حنان شاكر(2003). جوديا أمير سلالة لجش الثانية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار.

14 . خليل، غيث حبيب(2005). وادي الرافدين في عصر فجر السلالات. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار.

15 . ديلا بورت، ل(1997). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، محرم كمال، القاهرة.

16 . دياكونوف، ف، وآخرون(1970). ملحمة جلجامش. ترجمة، عزيز حداد، بغداد.

17 . دياكانوف، ف(1976).ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم. العراق

القديـم – دراسـة تحليليـة لأحوالـه الاقتصاديـة والاجتماعيـة.، ترجمـة، سـليم طـه التكريتـي، بغـداد.

18 . رشيد، صبحي (1979).الشرائع العراقية القديمة. بغداد.

19 . رشيد، فوزري(1979). الشرائع العراقية القديمة. بغداد.

20 . رشيد ، فوزي (1994). الأمير كوديا. بغداد.

21 . سارزيك، دي(1993). تنقيبات تلو. ترجمة، وليد الجادر، بغداد.

22 . سكر، عزمي(1999). السومريون في التأريخ. بيروت.

23 . سليمان، عامر(1987). القانون في العراق القديم. بغداد.

24 . السواح، فراس(1980). مغامرة العقل الاولى. بيروت.

25 . الصيواني، شاه محمد(1976). أور بين الماضي والحاضر. بغداد.

26 . الطعان، عبد الرضا(1981). الفكر السياسي في العراق القديم. بغداد.

27 . عبـد اللطيـف، سـجى مؤيـد(2004). قواعـد اللغـة السـومرية في ضـوء سـلالة لجـش الأولى. أطروحـة دكتـوراه غـير منشـورة، جامعـة بغـداد، كليـة الآداب، قسـم الآثـار.

28 . علي، فاضل عبد الواحد(1968).عشتار ومأساة تموز. بغداد.

29 . علي، فاضل عبد الواحد(1975). الطوفان في المراجع المسمارية. بغداد.

30 . عـلي، فاضـل عبـد الواحـد(1983). السـومريون والاكديـون، بحـث ضمـن كتـاب العـراق في التاريـخ. بغـداد.

31 . علي، فاضل عبد الواحد(1987). من ألواح سومر إلى التوراة. بغداد.

32 . عـلي، فضـل عبـد الـواح(1987). المنجـزات السياسـية والعسـكرية في عصـور فجـر السـلالات السـومرية، مجلـة المـورد.

33 . عـلي، فاضـل عبـد الواحـد(1987). وثيقـة حـرب التحريـر للملـك السـومري

أوتوحيـكال. في كتـاب الجيـش والسـلاح، ج1 ، بغـداد.

34 . علي، فاضل عبد الواحد(1997). سومر أسطورة وملحمة. بغداد.

35 . فرانكفــورت، هــنري (1965). فجــر الحضــارة في الــشرق الأدنى. ترجمــة ميخائيــل خــوري، بــيروت

36 . كريمــر، صموئيــل نــوح (2012). الســومريون تاريخهــم وحضاراتهــم وخصائصهــم . ترجمــة فيصــل الوائــلي، بغــداد.

37 . كريمر، صمؤيل نوح(1956). من ألواح سومر. ترجمة، طه باقر، بغداد، القاهرة.

38 . كيبرا ، ادوارد (1964). كتبوا على الطين . ترجمة، محمود الامين، بغداد.

39 . لنـزن، هانريـش(1989). العـمارة في منطقـة أي-أنـا في عـصر الطبقـة الرابعـة لمدينـة الـوركاء. ترجمـة، عبـد الـرزاق كامـل، مجلـة سـومر، مـج .46.

40 . لويد، سيتون (1980). آثار بلاد الرافدين. ترجمة. سامي سعيد الأحمد، بيروت.

41 . مالـوان، ماكـس(2001). حضـارة عـصر فجـر السـلالات في العـراق. ترجمـة كاظـم سـعد الديـن، بغـداد.

42 . موفق الطائي (2008). قانون أورنمو دراسة تاريخية قانونية مقارنة. بغداد.

43 . النجفي، حسن(1982). التجارة والقانون بدأ في سومر. بغداد.

44 . نيســن،هانز(1966). المقـبرة الملكيـة في أور وموقعهـا الزمنـي ضمـن التاريـخ البابـلي. ترجمـة، فـوزي رشـيد، مجلـة سـومر، مـج22. بغـداد.

45 . Carter Elizabeth(1989- 1990). A surface Survey of Lagash,. Al-Hiba1984.Jour. Sumer, Vol.46, Part. 2.

46 . Diakanoff, I. W., Some remarks on the reform of Uru- Kagina, RA, 52, 1958.

47 . Diakanoff.I.W(1991). Early Antiquity. Chicago.

48 . Edzard, D. O(1967). Gudea and his Dynasty.Toronto.

49 . Gadd,C.J(1963). The Dynasty of Akkad and gution Invasion.Vol.1, London.

50 . Gadd,C.J(1948). Ideas of divine rule in the Ancient East.London.

51 . George, A.R (2003).The Babylonian Gilgamesh epic.U.S.A .

52 . Hallo, W.W(1957). Early Mesopotamia Royal Titles, EMPRT. New Haven.

53 . Jacobsen, Th(1969). A survey of the Girsu, (Telloh).Jour. Sumer, Vol. 23, Part.2.

54 . Jacobsen, Th(1973). The Sumerian King List. Michigan.

55 . Jacobsen, Th(1976). The Treasures of Darkness, A History of Mesopotamia Religion. London.

56 . Jerrold, S(1984). Cooper, Sumerian and Akkadian Royal Inscriptions. Vol, 1, SARI. New Haven.

57 . Kramer,S.N(1952). Enmerkar and the Lord of Aratta. Philadelphia.

58 . Kramer, S. N(1954). Ür-Nammu Law Code, or (NS), 23.USA.

59 . Lambert, W.G, Millared, A.R (1971). Atrahasis,the Babylonian story of the flood.Syria,Vol.4.

60 . Langdon,S(1915). Sumerian Epic of,the Flood and the fall of man. Philadelphia.

61 . Mallawan, M(1964). Noah›s Flood Reconsidered. Iraq,Vol.26,N.2.

62 . McDonald,D(1988).The Flood: Mesopotamian Archaeological

evidence. Creation Evolution Journal,Vol,23.

63 . Meada, T(1988). Two Rulers by the name (Ur ningirsu) in pre-Ur III Lagash, Acta Sumerologica, No. 10, Tokyo.

64 . Mieroop,M.V(2004). A history of the Ancient Near East ca 3000323-B.C.London.

65 . Nissen, N. J(1990). The Early history of the Ancient Near East 9000–2000 B. C. Chicago.

66 . Oppenheim, A. L(1956). Dreams and their Interpretations, the interpretation of dreams in the Ancient near East, part (3),(Chicago.

67 . Oppenheim, A. L(1966). Gudea Ensi of Lagaš in Anet. New Jersey. USA.

68 . Porter, B.N(2003). Trees Kings and Politics Studies in Assyrian Iconography.Vandenhoeck.

69 . Postgate, J.N(1996).Early Mesopotamia. London .

70 . Postgate, J.N(1999). Early Mesopotamia.London.

71 . Postgate, J.N(2000). Royal Ideology and State A dministration. in Sumer and Akkad, Civilizations of the Ancient Near East, Vol. 1, U.S.A, pp. 395411-.

72 . Redman, C(1978). The Rise of civilization: from early farmers to urban society in the Ancient Near East. San Francisco.

73 . Rowton, M. B(1982). Sumer's Strategic Periphery in Topologial Perspective. Leiden.

74 . Sollberger, E(1954). New Lists of the king of Ur and Isin. Jour. J.C.S., Vol. 8,New Haven.

75 . Sollberger, E(1957). On Two Early Lagaš" Inscription in the Iraq museum.Jour. Sumer, Vol. 8.

76 . Sollberger, E(1967).The Rulers of Lagaš. JCS, Vol. 21.

77 . Stone,E(1995). The Development of Cities in Ancient Mesopotamia. Civilization of the Ancient Near East vol.1, New York.

78 . Woolley, C.L(1929). The Sumerians. Oxford.

79 . Vonstiphout, H(2003). Epics of Sumerian Kings The Matter of Aratta. Atlanta.

(9)
الآلهة السومرية

9-1 تمهيد

نـال الديـن ومنـذ أقـدم العصـور أهميـة كبـيرة في حيـاة الشـعوب، بـل إنـه مـن أهـم العوامـل المؤثـرة في سـير حياتهـا، وأسـلوب تطـور حضاراتهـا، إذ تحـدد المعتقـدات والأفـكار الدينيـة الإطـار العـام لسـلوك الإنسـان وحياتـه، وعاداتـه وتقاليـده، وأعرافـه وقوانينـه، وتكـون الخلفيـة المؤثـرة في حياتـه الاجتماعيـة والفكريـة والسياسـية، وقلـما نجـد أي عمـل قـام بـه الإنسـان القديـم أو أي أثـر تركـه إلا وكان للديـن فيـه تأثـير. وطالمـا احتـل الديـن ومـا يرتبـط بـه مـن رمـوز وشـعائر وطقـوس مـكان الصـدارة في حيـاة الإنسـان في جميـع مجالاتهـا الاجتماعيـة والسياسـية، ليـس لأنـه عنـصر حيـوي مـن عنـاصر المنظومة الثقافيـة ومكـون فاعـل مـن مكونـات بنيـة الوعـي الاجتماعي فحسـب، وإنمـا لخطـورة دوره وجسـامة وظيفتـه في التأثـير وتعبئـة الحشـود، مـما جعـل نابليـون بونابـرت يقـول مقولتـه الشـهيرة: «كيـف تقـوم للنظـام قائمـة في دولـة بـلا ديـن».

وقـد شـكل المعتقـد الدينـي للعراقيـين القدامـى محـوراً جوهريـاً مـن محـاور اسـتيعاب وتفهـم ذهنيتهـم وأسـاليب تفكيرهـم للتشـابك المفصـلي الـذي يقيمـوه أو يتصـوره عـن العـالم السـفلي وكذلـك العـالم

العلـوي، وتأثـير الآلهـة في صياغتـه وتدبـيره فتتحـول حياتهـم عبـارة عـن رحلـة قصـيرة. وإن عـلى الإنسـان العراقـي القديـم أن يذعـن في أثنـاء حياتـه القصـيرة هـذه لسلسـلة معقـدة مـن الطقـوس والشـعائر المتراكمـة بفعـل الزمـن والمرتبطـة بالعالمـين السـفلي والعلـوي، وإن المسـافة الفاصلـة بينهـما تشـكل الميـدان الواقعـي والفعـلي لتلـك الممارسـات التـي تهيمـن عـلى تفكـير الإنسـان القديـم في بـلاد الرافدين، ويوظـف لهـا جميـع مجهوداتـه العقليـة والروحيـة، ومـن ثـم تبـدأ إسـقاطات ذلـك عـلى مختلـف مناحـي الحيـاة مـن أدب وفـن وغيرهـا.

وكانـت نظـرة سـكان بـلاد الرافديـن القدامى للعـالم معقـدة. إذ كان العنـصر الأول في تصورهـم ومعتقدهـم عبـارة عـن هيـولي مـائي، وأول المحيطـات تصـوره عـلى شـكل امـرأة عملاقـة، ثـم نشـأت في داخلهـا اليابسـة عـلى شـكل جبـل ضخـم، فكانـت قمتـه هـي إلـه السـماء(آن)، أمـا قاعـدة هـذا الجبـل المسـطحة فهـي إلهـة الأرض(كي) أو أنـكي أو أيّـا. وقـد كانـت بعـض الآلهـة الكونيـة وفقـاً لاعتقادهـم تعبـد في كل مـكان، وهـي تشـكل آلهـة المجموعـة الرئيسـة أو الخالقـة. وكانـت تضـم كلاً مـن: (آن) إلـه السـماء، و(أنـكي) سـيد الأرض وإلـه عـالم المحيطـات السـفلى التـي يسـتقر عليهـا العـالم عـلى وفـق للأسـاطير القديمـة، و(أنليـل) سـيد الريـح و إلـه القـوى بـين الأرض والسـموات وهـو إلـه مدينـة نفـر الحـارس وابـن (آن) وكان الإلـه أنليـل أيضـاً إلـه الاتحـاد القبـلي السـومري المرتبـط بمدينـة نفـر. وكانـت هنـاك مجموعـة ثانيـة مـن الآلهـة النجميـة؛ أي الشـمس والقمـر وكوكـب الزهـرة، وكان «أوتـو= شـمش» يحتـل مركـزاً فريـداً، بوصفـه قـاضي

السـماء والأرض، وكان بوصفـه إلـه العـدل معنيـاً بحمايـة الفقـراء. أمـا «نانـا أو ننـار» وهـو إلـه القمر(سـين الأكـدي) فقـد كان يمثـل بالهـلال وهـو والـد الإلـه «أوتـو= شـمش» . وكان أشـكور (أدد) إلـه الجـو مـن الآلهـة المهمـة في هـذه المجموعـة.

وهنــاك أيضــاً أنــواع مختلفــة مــن مــا يعــرف بالإلهــة الأم؛ مــن أبرزهـن الإلهـة ننخرسـاگ التـي كانـت تقـف إلى جانب آلهـة المجموعة الرئيسـة، وهـي أم تحمـي الخصـب لـدى البـشر والحيوانـات، وكانـت تحمـل أسـماء عـدة وتعبـد في أماكـن مختلفـة. فكانـت تعـرف باسـم «بـاوا» في مدينـة «لگـش» وباسـم «نيدابـا» كإلهـة للكتابـة في مدينـة «أُومّـا». وهنـاك الإلهـة ذات الصـورة البهيـة «أينانـا» (سـيدة السـماء) التـي كانـت ذات هيئـة متبدلـة، فمـرة هـي الإلهـة الأم، وأخـرى إلهـة الزهـرة، وثالثــة هــي إلهــة للقطعــان، وكان حيوانهــا المقــدس هــو الخـروف. وكانـت الآلهـة المحليـة الحارسـة والحاميـة لـكل المجتمـع هـي الأكـثر أهميـة فيـما يخـص العراقـي القديـم التـي تكـون عـادة مـع القريـن (الـزوج أو الزوجـة) والابـن والحاشـية. وكانـت هنـاك آلهـة ثانويـة لا تعـد ولا تحـصى وآلهـة شريـرة تشـترك وتتداخـل جميعـاً مـع الحبـوب والماشـية والبيـت ومخـازن الحبـوب، فضـلاً عـن آلهـة لـكل مـن الأمـراض والكـوارث. وتختلـف هـذه الآلهـة عـادة مـن مجتمـع إلى آخـر، وكانـت تـسرد عنهـا أسـاطير مختلفـة ومتناقضـة. ويبـدو أن السـومريين هـم مـن أبـدع هـذه الكـم الكبـير مـن الآلهـة، إذ كانـوا يتمتعـون بمخيلـة خلاقـة.

لقد أضفى قدامى العراقيين على آلهتهم المقدسة صفات بشرية استناداً إلى مبدأ التشبيه، فالآلهة تتزوج وتتناسل وتأكل وتشرب غير أن ما يميزها عن البشر أنها خالدة تحيا في السماء ويعبدها البشر في الأرض، كما أعتقد العراقيون القدماء أن آلهتهم تحيا في مجتمع إلهي خاص بها له قوانينه وضوابطه الخاصة، وأنها قد خلقت الناس لعبادتها، وأن الآلهة العظام في المجتمع الإلهي هي التي تفوض بعض سلطاتها السياسية للحكام من الجنس البشري على وفق لمبدأ التفويض، أي أن هؤلاء الحكام البشر هم نواب عن آلهة السماء يحكمون باسمها وأن سلطاتهم التي يمارسونها في حكم الناس مستوحاة من تلك الآلهة السماوية، لذلك كانت الملوكية مقدسة لأنها هبطت من السماء إلى الأرض كما يعتقد أبناء الرافدين القدامى. كما أنهم لاحظوا أساليب تنظيم الحياة الاقتصادية وأهمية الوسائل المعتمدة فتصوروا أن الأمور تجري كذلك في عالم الآلهة، بل أنهم رأوا أن هذا العالم هو الذي عمد إلى إيجاد العالم الكوني وخلق الإنسان وجعله في خدمته

9-2 الآلهة الرئيسة في البانثيون السومري

أثرت الأفكار الدينية والمفاهيم الروحية التي طورها السومريون في أثناء الألف الثالث ق.م على نحو كبير في الديانات التي جاءت في العصور اللاحقة. إذ يمكن عد الديانة السومرية أول نظام ديني عميق ابتدأت منه العصور التاريخية للبشرية، فقد افتقرت أديان العصور السابقة إلى الشبكة النظامية الدقيقة التكوين وإلى الإيقاع

الموحد في الأمور العقائدية والطقوسية والميثولوجية، فشكل الدين السومري ثورة روحية عميقة في عصره كونه نظاماً دينياً شاملاً، فضلاً عن أنه اشتمل ضمناً على الكثير من جذور الأديان السابقة له. وكان أقدم شكل معروف لهذه الديانة في جوهره تأليه لقوى الطبيعة وعبادتها، لذا قسم السومريون الكون إلى السماء والأرض(آن-كي)، وكان يتولى أمرها ثالوث من الآلهة.

ونعرض هنا هذا الثالوث الإلهي وبعض الآلهة الأخرى المرتبطة بهم.

9-2-1 الإله (آن)

يقف الإله آن في مقدمة الآلهة السومرية وعرشه في السماء ويحرس مسكنه كل من الإله دموزي والإله ننگيشزيدا، وكتب أسمه في هيئة تشبه صورة النجمة ثمانية الرؤوس التي ربما تشير إلى جميع جهات الكون الجغرافية، وهو ما يؤشر وجود هذا الإله في كل مكان في الكون. وكانت مدينة الوركاء هي مركز عبادته، وعبد كذلك في مدن عدة منها دير وأكد. وهو رئيس مجمع الآلهة السومرية، وأعطي هذا الإله الرقم ستون، وهو الرقم الأعلى في البانثيون السومري، وقد أصبح هذا الرقم مقدساً وأساساً لنظام الحساب الستيني المعروف والمستخدم إلى الآن. وكان التاج المقرن أحد رموز هذا الإله وقد صور على الكثير من الشواهد الفنية، وظهر بأشكال مختلفة منها قبعة ذات قرون موضوعة على دكة، أو على شكل تاج طويل موضوع فوق دكة مطوقة بأزواج من القرون تتراوح ما بين ثلاثة إلى سبعة قرون تتجه نحو الأعلى.

ومـن رمـوزه أيضـاً القصبـة المعقوفـة، وعمـود ينتهـي بحلقـة جانبيـة.

وتعـده الكتابـات السـومرية ابنـاً للإلهـة نمّـو، وكانـت زوجتـه هـي الأرض الإلهـة (كي= Ki) أو (أُريـش)، وهـو الأب لكثـير مـن الآلهـة وفـق مـا جـاء في النصـوص المسـمارية مثـل: أنليـل إلـه الهـواء، وأشـكور(أدد) إلـه الجـو، وأينانـا (عشـتار) إلهـة الحـب والجـمال وسـيدة الحـرب، كـما أنـه والـد الآلهـة السـبعة الشريـرة. وتتألـف حاشـيته مـن سـبعة آلهـة: أنليـل، وبيليـت إيـلي، وأنـكي (أيّـا)، وننـار (سـين)، وأوتـو (شـمش)، وأشـكور(أدد)، وأينانـا (عشـتار)، وننورتـا، ونـرگال. وكان ينظـر إليـه عـلى أنـه النمـوذج الأول لـكل الآبـاء، وبمـا أنـه الملـك والحاكـم الأقـدم فهـو النمـوذج الأول لـكل الحـكام والملـوك. ويسـتمد هـؤلاء شـاراتهم مثـل: الصولجـان والتـاج وربـاط الـرأس وعصـا الراعـي منـه، إذ كان سـكان بـلاد الرافديـن يعتقـدون أن هـذه الرمـوز والشـارات الملكيـة كانـت قـد وجـدت قبـل أن يظهـر أي ملـك مـن البـشر وأنهـا كانـت في السـماء في عهدتـه ومـن ثـم نزلـت إلى الأرض. واعتقـدوا أن قـوة ومكانـة الملـك المقدسـة أُسـتمدت منـه، وأنهـا مصـدر كل سـلطة في المجتمعـين الإلهـي والبـشري. فهـو يجسـد السـيادة المطلقـة والقـوة العليـا، وهـو مصـدر السـلطات والأوامـر الإلهيـة:

(يا آن كلمتك هي العليا،

من يستطيع أن يقول لها كلا، يا أبا الآلهة إن أمرت،

فأمرك أساس السموات والأرض...).

وكانـت لـه أدوار عـدة في عـدد مـن الأسـاطير والملاحـم؛ منهـا ملحمـة

أترا-خاسيس، وفيها إشارات واضحة لدوره في خلق الإنسان بالتعاون مع مجموعة من الآلهة العظام؛ أنكي وأنليل. ونتيجة لحبه للإلهة أينانا(عشتار)، ورغبة منه في رفع مقامها فقد أشركها في تاجه، وطلب من كل من الإلهين أنكي وأنليل أن يتنازلا عن بعض صلاحياتهما لها وأن يجعلوها تحكم إلى جانبهم كما جاء في أسطورة تمجد هذه الإلهة. ومن منطلق حبه للإلهة عشتار قام بخلق الثور السماوي من أجل القضاء على البطل گلگامش وتحطيم مدينته الوركاء نتيجة لإهانة هذا الملك السومري لهذه الإلهة ورفضه الاقتران بها، كما جاء في أحد ألواح ملحمة گلگامش الذي أشرنا له عند الحديث عن هذا البطل السومري. وربما كان الإله المؤثر في اتخاذ قرار الطوفان وإهلاك البشر، إذ كان من بين الآلهة التي قررت إنزال الكوارث المدمرة على البشر مثل: الوباء والقحط والطوفان.

أستمرت عبادته في بلاد سومر لآلاف السنين، وبما أنه الإله المعظم من السومريين فإنه فقد مكانته بزوال نفوذهم مع مطلع الألف الثاني ق.م، وحلت مكانه آلهة قومية مثل: مردوخ البابلي، وآشور الآشوري.

2-2-9 الإله أنليل

يعد الإله أنليل واحداً من أبرز وأهم الآلهة السومرية، ويتكون اسمه السومري من مقطعين، الأول آن ويعني سيد، والثاني ليل ويعني الريح أو الهواء، فيصيح معنى أسمه سيد الهواء أو سيد الريح. وتشير النصوص السومرية إلى ولادة جيل كوني من الإله نمّو، يمثل الأرض والسماء متحدين، فالإله (آن) هو عنصر مذكر و(كي)

عنصر مؤنث، ومن اتحادهما ولد أنليل. ويحمل الإله أنليل ألقاب عدة منها؛ أبو جميع الآلهة، وسيد جميع الآلهة، والجبل الكبير، وصاحب العينين البراقتين، وهو من يقرر مصير الجميع، والذي لا رجعة لقراراته، والذي يمتلك ألواح القدر بين يديه. وتؤكد الكتابات المسمارية، ولا سيما الملاحم الخاصة بخلق الكون أنه هو الذي فصل السماء عن الأرض، وهو من خلق الفأس أداة العمل، وصار أسمه يعني الرب أو السيد، ومن هذا الاسم أُشتقت صفة الربوبية والألوهية. وكانت الآلهة جميعاً تسعى للحصول على بركته، فقد جاء في إحدى الأساطير كيف رحل الإله أنكي بعد أن أتم بناء بيته البحري في أريدو إلى معبد الاله أنليل في نفر من أجل الحصول على بركته، وعندما أراد الاله-القمر ننار(سين) إله مدينة أور الحامي أن يتأكد من تحقيق خير مملكته ورخائها ذهب إلى نفر في قاربٍ محملٍ بالهدايا من أجل الحصول على رضا ومباركة الإله أنليل.

وقد حمل الإله أنليل ألقاب آن وقام بدوره في قيادة مجمع الآلهة، فهو مصدر السلطة، وهو من يوقع العقاب بالملوك على خطاياهم، ويفخر أغلب الملوك في بلاد الرافدين أنه هو من أعطاهم السلطة لممارسة الحكم. وكانت مدينة نيبور (نفر) مركز عبادته، وفيها معبده الشهير (أي-گور)، الذي يعني الجبل العلوي، وهي من أهم المدن المقدسة في بلاد الرافدين، فيرد في أحد الكتابات: («نفر» المزار- الذي يسكنه الأب «الجبل العظيم» منصة البركة ،«إيكور» الذي يعلو... الجبل الشامخ، الموضع الطاهر...، أميره، «الجبل العظيم»، الأب «أنليل»).

وكان الحكام والملوك يسعون إلى نيل رضا هذه المدينة، لأن إلهها أنليل كان هو من يمنح الملوكية، لذا سعى الملوك إلى تعمير معبده وتقديم الهدايا والقرابين من أجل الحصول على رعايته لهم، (جميع النبلاء والأمراء يقدمون هناك هداياهم وقرابينهم المقدسة، ويقيمون صلاتهم ويتلون ابتهالاتهم وتضرعاتهم هناك. يا «أنليل»، إن الراعي الذي تنظر إليه بعين «رضاك»، والذي دعوته ورفعت مقامه في البلاد... والذي يذل البلدان الأجنبية حيثما يذهب، قد جلب سكائب ملطفة من كل مكان، وقرابين «أُختيرت» من غنائم كبيرة، وفي المخزن، وفي الباحات العظيمة، قدم قرابينه...).

وغالباً ما يصور على أنه كان ذا فضل كبير على البشرية، فقد شملهم بعطفه، ووضع الخطط لإخراج كل البذور والنباتات والأشجار من الأرض، فهو من يحقق الوفرة والبركة والرخاء في البلاد: (ولو لا «أنليل» الجبل العظيم، لما نمت النباتات والأعشاب، مفخرة السهل، ولما أزدهر القمح الوفير في الحقل والمرعى، ولما أثمرت الأشجار النابتة في غابة الجبل أثمارها...).

ومع هذا الإحسان العظيم فإنه يوصف أيضاً بأنه إله عنيف مدمر، كما جاء هذا في أدب الرثاء. ويرى السيد جاكوبسن إن الإله أنليل كان سيد ما بين الأرض والسماء من دون منازع، فهو ثاني القوى العظمى في الكون المرئي ولا يعلوه في المرتبة إلا إله السماء آن، وأنه في الوقت الذي كان فيه أن يمثل السلطة في المجتمع كان أنليل يمثل القوة أو البطش، إذ أن قوته كانت تسحق كل ما يعارضها، وتكره الخضوع. وقد أشارت بعض المراثي إلى أنه قام

بإحلال المحن المحزنة لبعض المدن، إلا أن السيد صموئيل كريمر يرى أنه كان يقوم بدور الإله حافظ البشر والذي يؤمن رخاءهم، ولا سيما سكان بلاد سومر. وكان الإلهة ننليل هي زوجته، وعرفت باسم سود قبل اقترانها بأنليل، وسميت كذلك «بيليت» وسيدة الأرضين. ومن أشهر أبنائه الإله ننكرسو إله لگش، وكذلك الإله (ننار) سين إله أور العظيم.

9-2-3 الإله أنكي

يعد هذا الإله من الآلهة الأشهر في مجمع الآلهة السومري، ويأتي بالمرتبة الثالثة في الأهمية والمكانة، وهو إله أريدو العظيم. ويتكون اسمه السومري من مقطعين (إين=En) و(كي= Ki)، وبهذا يعني اسمه سيد الأرض، ويحمل أسماً آخراً هو (أيا =Ea)، ويعني بيت الماء، فهو سيد الماء. ويسمى معبده باللغة السومرية(E. Abzu)، وتخيل السومريون أن تحت الأرض مساحة من الماء العذب هي مخزن ومنبع للجداول والأنهار التي تطفو فوق الأرض. ويعرف أنه ابن الإله آن إله السماء، وأمه نمّو التي عبدت في أريدو أيضاً، وزوجته دامگينا (دامگالنونا)، ومركز عبادتها أريدو، وهي غالباً ما أدمجت مع ننخرساگ، أي سيدة الجبل لإدائهما الوظائف والأعمال نفسها. ويعد الإله مردوخ من أبرز أبنائه، وأبنته هي الإلهة نانشة إلهة مدينة لگش. ومن أبنائه أيضاً اسالوخي، وهو إلهاً قديم خاص بمدينة كوئار. وكان وزيره ايسيمو (ذو الوجهين) أو أوسمو، وهو في الأصل ابنه وله علاقة بالمياه والقصب والزوارق

مثـل أبيـه. ومـن أبـرز ألقابـه الأمـير العظيـم، وسـيد العمـق، والخالـق (والـد البـشر)، وسـيد الحكمـة، وسـيد القـدر وغيرهـا. وكان بطـلاً لبعـض الأسـاطير مثـل: أسـطورة أنـكي وننخرسـاگ المعروفـة بالجنـة السـومرية، وأسـطورة أنـكي وتنظيـم الكـون.

وكان هـو المسـؤول عـن تنظيـم الأرض عـلى وفـق قـرارات الإلـه أنليـل الـذي لم يضـع سـوى الخطـط العامـة. ولأن جميـع آليـات الحيـاة المعقـدة والمهذبـة في بـلاد سـومر كانـت ترتكـز عـلى أنـكي، وكان هـو المصـدر والمنظـم في آن واحـد، لـذا عـد إلـه خـارق الـذكاء. ففـي نظـام كان الإدراك فيـه مسـتقطباً بالعمـل والإنتـاج والنجـاح رأوا فيـه نوعـاً مـن المهنـدس الفائـق الـذي يسـتطيع وحـده أن يجابـه كل معضلـة تقنيـة، وأن يجـد لهـا في الحـال الحـل الأمثـل والأنجـع. ويرد في أسـطورة (أنـكي ونظـام الكـون) كثـير مـن التفاصيـل عـن أعـمال هـذا الإلـه، وهـي تصـور علاقتـه بالآلهـة الرئيسـة في مجمـع الآلهـة السـومرية، والآلهـة الأقـل شـأناً، كـما أنهـا تقـدم تفاصيـل الشـعائر والطقـوس التـي يقـوم بهـا الكهنـة في معبـده مـن أجـل تقديـر دوره في رفـع قـدر بـلاد سـومر كونهـا المـكان الـذي اختـارت الآلهـة مسـاكنها فيـه.

وكان لـه دوراً كبـيراً في خلـق الإنسـان، فنتيجـة لمهاراتـه في السـحر وحكمتـه المتناهيـة فقـد خلـق الإنسـان عـن طريـق تشـكيل كتلـة مـن الطـين منحهـا الحيـاة اسـتجابة رغبـة الآلهـة في إيجـاد مـن ينـوب عنهـا في العمـل، كـما جـاء في القصيـدة الموجـزة (أنـكي وننـماخ: خلـق الإنسـان). إذ خاطبتـه أمـه الإلهة(نمّـو) قائلـة: (يـا بنـي انهـض مـن

سريـرك... افعـل مـا هـو حكيـم، اجعـل خدمـاً للآلهـة عـسى أن ينجـب هـؤلاء أضعـاف أعدادهـم). فيسـتجيب لنـداء أمـه:

(يا أمي إن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود،

فاسبغي عليه صورة الآلهة،

امزجي لب الطين الذي فوق اللج،

وسيكثف صانعوا الأشكال الخيرون الذين فيهم صفة الإمارة الطين،

أما أنت فاخلقي الأطراف وستعينك ننماخ (ننخرساگ)،

ستقف إلهة الولادة إلى جانبك عندما تخلقين، يا أمي قدري قدره،

أما (ننماخ) فستطبق عليه قالب الآلهة، إنه الانسان...).

ونقـرأ في الأسـطورة كيـف أن الإلـه أنـكي والإلهـة ننـماخ شربـا بـإسراف وتصيبهـما النشـوة فتقـول ننـماخ لأنـكي:

(ما مبلغ طيب جسد الإنسان وما مبلغ سوءه،

إن قلبـي ليوعـز إلي بأننـي أسـتطيع أن أجعـل الطيـب مـن نصيبـه أو السـوء).

فيجيـب أنـكي عـلى تحديهـا بالقـول: (أسـواء جعلـت نصيبـه الطيب أم السـوء فأنني سـأوازنه).

ويشـترك أيضـاً في أسـطورة (أنـكي وننخرسـاگ)، كونـه إله دلمـون، والذي يسـترعي الاهتـمام دوره الخـلّاق في إدخـال المـاء العـذب، وهـذه صفـة تتطابـق تمامـاً مـع دور كسـيد للأبـزو (الميـاه العذبـة)، وأهميتـه في عمليـة

الـري الاصطناعـي ومسـاهمته في (خلـق) الزراعـة واسـتعمال النباتـات المفيـدة في بـلاد خاويـة وصحراويـة، أي أدخـال التقنيـات الزراعيـة.

وعـرف بـدوره العظيـم في إنقـاذ البـشر مـن الطوفـان كـما أشرنـا في أثنـاء الحديـث عـن البطـل السـومري گلگامـش. ويسـجل لـه أنـه هـو الـذي كشـف صناعـات مختلفـة للإنسـان: (فهـو إلـه أمهـر الصنـاع) ومنبـع الـذكاء للملـوك، وأنـه هـو مـن سـاعد الكهنـة عـلى تأديـة وظائفهـم المقدسـة، ولا سـيما في طقـوس السـحر. وعـرف عنـه حـب العلـم والمعرفـة والحكمـة: (أنـكي هـو الـذي يمنـح الحـكام الفطنـة والعقـل). وكان ينظـر أليـه عـلى أنـه راعـي الثقافـة، ونوعيـة الحيـاة في بـلاد سـومر، ثـم في العـالم. فقـد عهـد إليـه رعايـة الوظائـف المقدسـة (مـي)، وهـي وظائـف وصلاحيـات مقدسـة غـير محـددة المعنـى، إلا أنـه يمكـن عدهـا ميـدان ثقـافي، وفي الوقـت نفسـه فإنهـا مكسـب للحيـاة المنظمـة والمتمدنـة، وهـي تضـم أكـثر مـن مائـة عنـوان؛ منهـا مـا يحـدد مظاهـر السـلطة الملكيـة وممارسـتها، ومنهـا مـا يتعلـق بالعائلـة والعمـل والفضائـل الاجتماعيـة وغيرهـا. وقـد أوردت أحـد الأسـاطير كيـف أن الإلهـة أينانـا (عشـتار) قـد حصلـت عليهـا منـه بطريقـة مخادعـة ونقلتهـا إلى مدينتهـا الـوركاء.

4-2-9 الإله ننار (سين)

إلـه مدينـة أور الشـهيرة، وكانـت حـران المقـر الثـاني لـه، وقـد كان يسـمى باللغـة السـومرية («Suen» أو «Nannar» «Nanna»)، وكان يدعـى في الأحيـان بالاسـمين معـاً (Nanna-Suen). ومـن أسـمائه الأخرى

(Asimbabbar، Namrasit) بمعنى الذي يضيء، و(Inbu)، والتي تعني الفاكهة أو ربما تشير إلى الشمع الطبيعي، أو محاق القمر. ويكتب أسمه أحياناً ببساطة بالرقم ثلاثون، وهو عدد أيام الشهر، وهو بهذا سيد الشهر. وهو ابن الإله آن، وهناك اشارات أخرى تقول أنه ابن أنليل، وهو والد الإله أوتو (شمش) إله الشمس وسيد مدينة لارسا. ويشار له برمز الهلال لوحده أو الهلال مع صورة على هيئة البشر.

ويمر القمر في ثلاثة أطوار منذ ظهوره في أول الشهر وحتى اختفائه تماماً في آخره. ويرى الباحث جاكوبسين بأن الاسم السومري لهذا الإله «ننار» يشير إلى القمر عندما يكون بدراً ، في حين يشير اسمه الأكدي «سين» إلى القمر عندما يكون هلالاً، ولا يدل الأسلوب الذي كتب به الاسمين على أنهما من أصل واحد لأن التسمية الأولى سومرية والتسمية الثانية أكدية كما أشرنا. إن أولوية الليل على النهار تستدعي أولوية القمر سيد الليل على الشمس وأسبقية الديانات القمرية على الديانات الشمسية.

ويعرف بأنه إله الحكمة، ويشترك مع ابنه أوتو(شمش) في شؤون العدالة، وتشير الكتابات المسمارية القديمة إلى رؤية السومريين فيما يتعلق بخسوف القمر، إذ أنه على يبدو قد تعرض لهجوم أرواح شريرة أو لهجوم شياطين سبعة وفقاً لمعتقدهم، ولهذا كانوا يصلون عند حدوث حالة الخسوف ويقربون القرابين حتى يظهر مضيئاً مرة أخرى، وخصصوا له زوجة هي ننگال وعبدت معه في معبد أور، وشيد له معبد آخر في حران شمال وادي الرافدين.

9-2-5 الإلهة أينانا (عشتار)

تعد من أبرز الآلهة الاناث في مجمع الآلهة السومرية، ورد اسمها بالسومرية بالصيغة الآتية: (Nin-an-na)الذي يعني (سيدة السماء)، وهي ابنة الإله ننار(سين) إله القمر، في حين كانت الإلهة ننگال أمها، وأوتو(شمش) أخيها، وكانت إلهة العالم السفلي أيريشگال أختها. ويشار إليها أحياناً على أنها ابنة الإله آن أو زوجته، وكان الإله دموزي زوجها، وكان وزيرها ننشبور. وقد أخذت هذه الإلهة أشكالاً عدة وصفات مختلفة، وكانت الوركاء مركز عبادتها الرئيس، وكان معبدها هو (أي-أنّا= بيت السماء أو البيت العالي). وكان لها معابد عدة في كثير من المدن الرافدينية. ويعد لقب سيدة السماء من أبرز ألقابها، إذ أنه لازمها طيلة حياتها، وتحت كل أسمائها وتجلياتها: (لقد منحني والدي السماء ومنحني الأرض، أنا سيدة السماء)، فضلاً عن ألقاب أخرى منها؛ عابرة السموات، ونور السماوات، وهي الساطعة المنيرة، وهي اللامعة، وهي ألقاب وصفات تشير إلى علاقتها بالقمر. وتحمل ألقاباً لا حصر لها منها؛ سيدة المناوشات، وهي إلهة الحب واللذة، وهي الأم الرؤوم، وملكة العوالم، وأم البشر والآلهة، وخالقة البشر، وعشيقة وزوجة الآلهة العظام التي تحدد الأقدار، وأطلق عليها محظية الآلهة العظيمة، وهي الخبيرة، وكاهنة السماء: (كاهنة الإله آن ذات الحلي العظيمة)، وهي سيدة جميع النواميس الإلهية ومحبوبة السماء والأرض:

(أنــتِ التــي رفعــتِ النواميــس الإلهيــة، وأنــتِ علقــتِ النواميــس الإلهيــة في يــدك،

انــتِ التــي جمعــت النواميــس الإلهيــة، وأنــتِ التــي ضممــت النواميــس الإلهيــة إلى صــدرك...) (الشــكل:رقم 20).

وقــد تميــزت بأنهــا الأم المنتجــة للحيــاة، فهــي تجســد أبهــى صــور الإلهــة الأم: (ســيدة النواميــس الكونيــة، أيهــا النــور المشــع يــا واهبــة الحيــاة وحبيبــة البــشر. أنــت أعظــم مــن كبــير الآلهــة آن، وأعظــم مــن الأم التــي ولدتــك. يــا مليكــة البــلاد الحكيمــة العارفــة، يــا مكــثرة المخلوقــات...). ومــع وجــود الكثــير الآلهــة التــي أتخــذن مظهــر الإلهــة الأم إلا أن أينانــا الســومرية وعشــتار الأكديــة كــن الصورتــين الرئيســتين اللتــين كان لهــما ديانــة منظمــة ومعابــد. وهــي إلهــة الحــب والحــرب، وتتمثــل في كوكــب الزهــرة، وخصهــا الآشــوريون بالتقديــس عندهــم لأنها آلهــة الحــرب، وســارت مــع بعــض ملوكهــم في طليعــة الجيــوش وأحــرزت النــصر، وقــد نعتــت باللبــؤة الضاريــة واتخذهــا تمــوز زوجــة لــه، ولكــن حبهــا قــضى عليــه، ولذلــك كانــت تندبــه وتمثــل تمــوز في خــضرة الربيــع، ويصــف قانــون حمــورابي مظهرهــا كمحاربــة بأنهــا «ســيد المعــارك» التــي تقــضي عــلى مــن يتنــاول القانــون بالتحويــر أو التغيــير.

وتشــير أســطورة (نــزول أينانــا= عشــتار)، وهــي واحــدة مــن أجمــل مــا أنتجــه الأدب الســومري، كيــف أن هــذه الإلهــة حينــما ســقطت في قضبــة أختهــا ســيدة العــالم الســفلي ارشــيكيكال توقفــت جميــع النزوات عــلى الأرض، وتعــرض للخطــر بقــاء الجنــس البــشري والحيــواني، وأصــاب

الآلهة بضرر كبير. لذا خلق أنكي مخلوقين بشريين، فنزلا إلى العالم السفلي وأغريا سيدة هذا العالم، وحررا أينانا من سجنها، فعادت للحياة فعالية الإنجاب. فهي سيدة الخصوبة والانبات تبعث من الأرض في فصل الربيع داخل أكمة صغيرة أشبه بالقبر، ومعها تصحو الأشجار والأغصان المزهرة والأوراق الخضر. وحول الإلهة عدد من أنصاف الآلهة يبتهجون لرجوعها.

وتظهر في أسطورة أنكي ونظام الكون، إذ أنها تشتكي للإله أنكي أنها تعاني الإهمال وأن أخواتها جميعاً تسلمن سلطاتهن والشارات الخاصة بكل واحة منهن، إلا أنه يذكرها بما تملك من امتيازات كبيرة مثل: العصا والصولجان وعصا الرعوية، وقدرتها على التنبؤ بكل ما يتعلق بالحرب والمعارك ومهارتها في صناعة الملابس وحياكتها، فضلاً عن الكثير من النعم الخاصة التي أغدقها عليها.

ونقرأ في أحد الأساطير قتل الإلهة أينانا لـ «كور»، وهو الجبل ابيخ الذي يقع في شمال شرق بلاد سومر، ومن ثم فهو بلد معادٍ لبلاد سومر. وتبدأ الأسطورة بتمجيد هذه الإلهة ومطالبتها كور بضرورة الإذعان لقوتها وجبروتها: (سأطعنه بالرمح الطويل،

الحربة والسلاح سأقذف بهما عليه،

وفي الغابة المجاورة سأضرم النار،

وفي... سأضع الفأس البرونزية،

سوف أجفف جميع مياهه وسيصبح مثل كيبيبل،

سأنقل إليه الفزع مثا أراتّا...).

ويحـذر الإلـه آن أينانـا مـن بطـش وقـوة أبيـخ، ولكـن الغضـب يأخذهـا فتهاجـم العـدو وتطرحـه جثـة هامـدة.

وشـكلت علاقتها مـع الملـك السـومري گلگامـش محـور الكثـير مـن الأسـاطير والملاحـم والقصـص، ففـي ملحمـة (گلگامـش وأنكيـدو والعالم السـفلي) نعـرف أنـه كان أخيهـا وأنـه قـرر مسـاعدتها في قتـل الأفعـى التـي كانـت قـد أقامـت وكرهـا في قاعـدة شـجرتها (شـجرة الخولوبـو= ربمـا شـجرة الصفصـاف) التـي غرسـتها في مدينـة الـوركاء. وتسـتمر القصـة في الإشـارة إلى أن الإلهـة السـومرية صنعـت مـن قاعدة الشـجرة بوكّو(طبـل)، ومـن أعلاهـا ميكّـو (ربمـا مـضرب الطبـل)، ويبـدو أن هذه الآلات سـقطت في العـالم السـفلي، ولم ينجـح گلگامـش في اسـتردادهما، فحـزن كثـيراً لهـذا الأمـر وقـرر النـزول للعـالم السـفلي، وحجـز هنـاك. وسـبق أن أشرنـا إلى دورهـا في ملحمـة گلگامـش وحبهـا لهـذا البطـل السـومري الـذي ازدراهـا وأخبرهـا بموقفهـا مـن عشـاقها الأمـر الـذي أثـار غضبهـا فطلبـت مـن أبيهـا أنـكي خلـق الثـور السـماوي الـذي قتـل مـن گلگامـش وصديقـه أنكيـدو. وسنشـير في الفصـل الأخـير إلى دورهـا في معاقبـة زوجهـا دمـوزي وقتلـه وحملـه إلى العـالم السـفلي.

مصادر الفصل التاسع

1 . الأحمد، سامي سعيد(2013).المعتقدات الدينية في العراق القديم. بيروت.

2 . إريش فون دانيكن (1995).عربات الآلهة. ترجمة، عدنان حسن. دمشق.

3 . اوتس، جون(1990). بابل تاريخ مصور. ترجمة . سمير عبد الرحيم الجلبي. بغداد.

4 . اوبنهايم، ليو (1981). بلاد ما بين النهرين. ترجمة. سعدي فيضي عبد الرزاق. بغداد.

5 . باقر، طه(1951). نصوص من الأدب العراقي القديم. مجلة سومر، مج 7.

6 . باقر، طه(1976) مقدمة في أدب العراق القديم. بغداد.

7 . بوتيرو، جان(1970). الديانة عند البابليين. ترجمة. وليد الجادر، بغداد.

8 . بوتيرو، جان(1990). بلاد الرافدين(الكتابة- العقل، الآلهة). ترجمة البير أبونا، بغداد.

9 . الدباغ، تقي(1992). الفكر الديني القديم. بغداد.

10 . زودن، ف. فون(2003). مدخل إلى حضارات الشرق القديم. ترجمة، فاروق إسماعيل. بيروت.

11 . السواح، فراس(1987). قرأة في ملحمة جلجامش. دمشق.

12 . السواح، فراس(2002). لغز عشتار. الالوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة. دمشق.

13 . حنون، نائل(1978). شخصية الأم ودور الإلهة أنانا عشتار. مجلة سومر، مج 34، بغداد.

14 . جاكوبسين، ثوركيلد، وآخرون (1960). ما قبل الفلسفة، الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى. ترجمة، جبرا إبراهيم جبر، بغداد.

15 . الجنابي، شيماء صلاح(2014). الإله أنكي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب ، قسم الآثار.

16 . الشاكر، فاتن موفق(2002). رموز الآلهة في العراق القديم. الموصل.

17 . علي، فاضل عبد الواحد(1973). عشتار وتموز وجذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين. مجلة سومر، مج 29. بغداد.

18 . علي، فاضل عبد الواحد(1985). الأدب. حضارة العراق ، ج1 ، بغداد.

19 . علي، فاضل عبد الواحد(1987). من ألواح سومر إلى التوراة. بغداد.

20 . فرانكفورت، هنري (1965). فجر الحضارة في الشرق الأدنى. ترجمة، ميخائيل خوري، بيروت.

21 . فيروللو، شارل(1990). أساطير بابل وكنعان. ترجمة ماجد خير بك. دمشق.

22 . كلشكوف، ن(1995). الحياة الروحية في بابل- الإنسان، المصير، الزمن. ترجمة، عدنان عاكف، دمشق.

23 . كريمر، صموئيل نوح (2012). السومريون تاريخهم وحضاراتهم وخصائصهم . ترجمة فيصل الوائلي، بغداد.

24 . كريمر، صموئيل نوح(1973). من الواح سومر. ترجمة طه باقر.

25 . لابات، رينيه (1988). المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ترجمة ألبير أبونا، وليد الجادر . بغداد.

26 . الماجدي، خزعل (1998). متون سومر، الكتاب الأول. الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.

27 . الماجدي، خزعل(1998). بخور الآلهة، دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين. بيروت.

28 . الماجدي، خزعل(2002). ميثولوجيا الخلود- دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة. عمان.

29 . ميغوليفسكي(2007). أسرار الآلهة والديانات. ترجمة، حسان ميخائيل إسحق. دمشق.

30 . الهاشمي، طه (1963). تاريخ الأديان وفلسفتها، دار مكتبة الحياة، بيروت.

31 . الهيتـــي، قـــصي منصـــور(1995). عبـــادة الإلـــه ســـين في حضـــارة بـــلاد وادي الرافديـــن. رســـالة ماجســـتير غـــير منشـــورة، جامعـــة بغـــداد، كليـــة الآداب، قســـم الآثـــار.

32 . يونـــس، عبـــد الرحمـــن عبـــد المالـــك(1975). عبـــادة الإلـــه شـــمش في حضـــارة بـــلاد وادي الرافديـــن. رســـالة ماجســـتير غـــير منشـــورة، جامعـــة بغـــداد، كليـــة الآداب، قســـم الآثـــار.

33 . Afanasieva,V.K. Sumerian Culture. (In). Early Antiquity.(ed). Diakanoff, I.M. Chicago- London,1991.

34 . Black,J(2004). Gods, Demons, and Symbols of Ancient Mesopotamia. London.

35 . Bottero, J. Religion in Ancient Mesopotamia. U.S.A. 2001.

36 . Brische,N(1984).Religion and power divine kingship in the Ancient World and beyond. USA.

37 . Crawford,H(2015). Ur The City of the Moon God. London.

38 . Dally, S.M. Myths from Mesopotamia. Oxford 1989.

39 . Donald.H(2002). Through the love Ishtar . ‹ in›› OF of pots and plans: papers on Archaeology and History of Mesopotamia and Syria presented to David Oates in Honour of his 75 th Birthday. Edited by Lamia al.Gailani Weir. London : NABU.

40 . Espak,P(2010).The God Enki in Sumerian Royal Ideology and Mythology.Estonia

41 . Falkenstein, A(1975). The Sumerian Temple city, 1954. Translation by Ellils, M., California.

42 . Grand,P.M. Prehistoric Art.London.1967.

43 . George, A.R(1993).House Most High, The Temples of Ancient Mesopotamia. India.

44 . Jacobsen, Th(1970). Toward Image of Tammuz and Other Essays on Mesopotamia History and Culture. Cambridge.

45 . Jacobsen, Th(1976). Early political development in Mesopotamia. U.S.A.

46 . Jemes, E . The Cult of Mother Goddess. London.1959.

47 . Kramer,S.N(1983).The Weeping Goddess: Sumerian prototypes of the Mater Dolorose. Jour. Biblical Archaeologist, Vol, 46,N.2.

48 . Lambert,W.G. Ancient Mesopotamian Gods. Superstition, philosophy, theology. London,1990.

49 . Matthews, R. The archaeology of Mesopotamia, theories and approaches . London, 2003.

50 . Miehkur,E.M(1990). The Mentary forms of Religious life. New York.

51 . Nissen, H,J(1988).The early history of the near east 90002000- B.C. Chicago& London.

52 . Odisho,A.Y(2004). The Akitu Festival in Mesopotamia.The Expression of Royal Ideology Through Religion, Ritual, and Architecture.U.S.A.

53 . Van Dijk,R.M(2016).The Form, Function and Symbolism of Standards in Ancient Mesopotamia during the Third and Fourth Millennia BCE: An Iconographical Study. South Africa.

(10)
الأدب السومري

يحتل الأدب السومري المحض، كونه نتاجاً أدبياً، منزلة عالية بين إبداعات الإنسان المتمدن الفنية، لدرجة أن المقارنة بينه وبين النفائس الإغريقية والعبرانية لا تؤدي إلى أحكام لغير صالحه إلى درجة كبيرة. إذ يعكس الحياة الروحية والفكرية لحضارة قديمة مثله مثل تلك الآداب، ولولاه لبقيت هذه الحضارة مجهولة بصورة عامة. ومهما قيل في أهمية هذا الأدب لتقييم التطور الحضاري والعقلي في كافة الشرق الأدنى القديم بشكل مناسب فإنه لا يكون قولاً مبالغاً فيه. فقد أخذ الأكديون والآشوريون والبابليون هذه الأعمال بكاملها تقريباً، وترجم الحثيون والحوريون والكنعانيون بعضاً منها إلى لغاتهم الخاصة، وقلدوها من دون شك تقليداً واسعاً. وتأثرت صيغة الأعمال الأدبية العبرانية ومحتواها، بل حتى أعمال قدماء الإغريق تأثرت إلى حد ما تأثراً عميقاً بالأعمال الأدبية السومرية.

لدينا الآن أكثر من مئة وخمسون عملاً أدبياً سومرياً، حفظ الكثير منها في شكل كسر محطمة متشظية. وتضم هذه الأعمال؛ حكايات أسطورية بشكل نظم شعري، وملاحم شعرية، وترنيمات مقدسة، وأغاني الحب الزوجية التي ترتبط بالزواج المقدس للملوك المؤلهين والكاهنات، والمراثي الجنائزية، والشكوى بشأن الفواجع والكوارث، وتراتيل الملوك الشرفية(تبدأ من عصر أور الثالثة 212-

2004 ق.م)، والمحاكاة الأدبية للكتابات الملكية. وهناك أعداد من النصوص التعليمية (الوعظية)، وتتضمن: الوصايا أو التعليمات الأخلاقية، والمناظرات في صيغة الحوار، ومجموعة من الخرافات (على لسان الحيوانات) والنوادر والأمثال والأقوال الشائعة، فضلاً عن نصوص أدبية متفرقة.

ونرى من الضروري الإشارة هنا إلى أن الاهتمام بإعداد الكشوف الخاصة بالنصوص الأدبية القديمة لم يكن من الإفرازات الحضارية لعصرنا الحديث، وإنما سبقنا إليه مبدعون من الحضارات القديمة نفسها التي أنتجت، قبل آلاف السنين، ذلك الأدب الذي نأتي اليوم على دراسته. فقد قام كتبة قدماء في بلاد الرافدين بإعداد قوائم على ألواح الطين بعناوين النصوص الأدبية. إذ وصلنا اثنان من الرقم الطينية التي تحمل مثل تلك القوائم من مدينة نفر(نيبور)، وآخر موجود الآن في متحف اللوفر في فرنسا، وقد درسهما عالم المسماريات صموئيل نوح كريمر في كتابه (من ألواح سومر).

وتمثل التراتيل أفضل نوع من أنواع الأدب السومري، وبضمنها الترانيم والابتهالات والأدعية، ولدينا من هذه التراتيل ما يقارب سبعة وعشرون نصاً. كانت صياغة التراتيل السومرية فناً عالياً يرعى بعناية، وكان مصقولاً إلى درجة عالية. وقد ظهرت أقدم التراتيل من منتصف عصر السلالات المبكرة (2900 - 2350 ق.م). وكانت التراتيل، من دون شك، ضمن مجموعة الوسائل الأقدم لمخاطبة الإله. وقد كتبت بحرص كبير على الشكليات، إذ ليس هناك كلمة منفردة يمكن أن تتغير على نحو اعتباطي لأنه لا

أحـد يتصـور في الترتيلـة وجـود شيء للصدفـة، فـكل منهـا لـه بعـض المحتـوى الأسـطوري الدقيـق. عمومـاً يمكـن تقسـيم التراتيـل، اسـتناداً إلى محتوياتهـا، إلى أربعـة أصنـاف رئيسـة:

التراتيل التي ألفت لتمجيد الآلهة.

التراتيل التي تمجد الملوك.

الأدعيـة الترتيليـة التـي تحتـوي عـلى أناشـيد الحمـد للآلهـة موشـاة بتبريـكات وصلـوات مـن أجـل الملـوك.

التراتيل التي كتبت تمجيداً للمعابد السومرية.

صممـت هـذه التراتيـل لـكي تقـرأ مـن كاهـن واحـد أو كـورس بصـوت عـالٍ، إذ أن العواطـف التـي تعـبر عنهـا هـذه التراتيـل وتحـث عليهـا كانـت جماعيـة. وتعكـس مثـل هـذه المؤلفـات الكاملـة قـوة مسـتوطنة في الإيقـاع اللغـوي، ويمكـن أن تـدرك سـحرياً وعاطفيـاً.

وغالبـاً مـا تمجـد هـذه التراتيـل الآلهـة وتـسرد مآثرهـا، وأسـمائها، وألقابهـا. وقـد وصلتنـا معظـم هـذه التراتيـل مـن تقاليـد مدرسـية مـن مدينـة نفـر. وكانـت في معظـم الحـالات مكرسـة للإلـه أنليـل، كبـير الآلهـة السـومرية والإلـه الحامـي لمدينـة نفـر، وكذلـك كرسـت للآلهـة مـن حاشـيته، فضـلاً عـن ذلـك هنـاك تراتيـل كرسـت للمعابـد والملـوك، ولا سـيما للملـوك المؤلهـين، وليـس لـكل الملـوك السـومريين الأكفـاء.

وتظهـر دائمـاً برفقـة التراتيـل مجموعـة مـن المـراثّي التـي تعـود إلى نصـوص العبـادة العامـة أيضـاً. ويعـد هـذا النـوع مـن الأدب، أدبـاً

سـومرياً نموذجيـاً جـداً، وبخاصـة الكـوارث الوطنيـة. وقـد وصلنـا مـن هـذا الـضرب مـن الأدب عـشر نصـوص، وكان العمـل الأدبي الأقـدم مـن هـذا النـوع الـذي نعرفـه لا يرتبـط بالعبـادة الإلهيـة، بـل إنـه مرثيـة عـن تحطيـم مدينـة لگـش مـن الملـك لـوگال زاگيـزي (2340 - 2316 ق.م)، ملـك مدينـة أُومّـا عدوتهـا اللـدود. وتتألـف هـذه المرثيـة 105 مقاطـع تقريبـاً، وتخبرنـا عـن الفواجـع التـي انصبـت عـلى مدينـة لگـش مـع إدانـة لهـذا للفعـل الإجرامـي. وتوجـد مجموعـة أخـرى مـن الأعـمال المماثلـة؛ منهـا مرثيـة سـومر وأكـد، وكذلـك عـن تحطيـم مـدن أور ونفـر وأريـدو وأوروك، وترتبـط جميـع هـذه المـراثّي بالطقـوس. وتؤلـف مثـل هـذه الأعـمال الأدبيـة عـادة عندمـا تتـم إعـادة إعـمار المـدن المحطمـة أو بمناسـبة تدمـير معبـد قبـل بنـاء معبـد جديـد في المـكان نفسـه.

ونجـد سلسـلة مميـزة مـن القصائـد أو الأغـاني الدينيـة مـن بـين نصـوص العبـادة، وهـي تـدور حـول إلهـة الحـب الطموحـة والمغامـرة والكثـيرة الطلبـات الإلهـة أينانـا (عشـتار) وزوجهـا الإلـه- الراعـي دمـوزي، وتبـدأ واحـدة منهـا بنـزول هـذه الإلهـة إلى العـالم السـفلي وتنتهـي بمـوت دمـوزي، وهـي تـروي أسـطورة حـول مـوت وإحيـاء الآلهـة، والتـي ترتبـط بطقـوس متماثلـة. ويقـع هـذا العمـل الأدبي الـروائي في نحـو 412 سـطراً، وهـو يعـرض لنـا كيـف تقـع إلهـة الحـب الشهواني(الجسـدي) والخصـب الحيـواني الإلهـة أينانـا في حـب الإلـه- الراعـي (أو البطـل الراعـي) دمـوزي، وتتخـذه زوجـاً لهـا. وفيـما بعـد، تنـزل إلى العـالم السـفلي عـلى مـا يظهـر، لتتحـدى سـلطة ملكتـه أختهـا ارشـكيگال. وقـد كانـت الإلهـة أينانـا قـد قتلـت، إلا أنهـا أعيـدت للحياة

بواسطة وسائل الخداع الذي قامت به الآلهة. فقد سمح لها بالعودة إلى الأرض تحت شرط واحد وهو أن تدفع فدية حية للعالم السفلي. وكانت الإلهة أينانا تبجل في مختلف المدن السومرية، وكان لها في كل مدينة زوج أو محبوب. جميع هؤلاء الآلهة خروا على ركابهم متعبدين مطالبين الرحمة منها. إلا أن الإله دموزي فقط هو من رفض الإذعان لها، وبدل من البكاء على هبوط زوجته إلى العالم السفلي حيث قاست ألوان العذاب والموت، فإنه «ارتدى ثياباً فخمة وجلس متربعاً على عرش» وتفاخر بذلك، فما كان من الإلهة إلا أن أشارت إلى الشياطين بأخذه بديلاً عنها على وفق الاتفاق الذي يقضي بإرسال من ينوب عنها بالعالم السفلي. وحاولت أخته المساعدة بالطلب من الإله أوتو(شمش) الإله البحار أن يحوله إلى حيوان لإخفائه، فعمل ذلك من غير احترام، وأخفاه لثلاث مرات. وأخيراً قتل دموزي وحمل إلى العالم السفلي، وعملت أخته گشتينانا على وضع نفسها كضمان ليعود دموزي حياً لنصف سنة، في حين نزلت هي لعالم الأموات، وحالما عاد الإله الراعي لحكم العالم فإن إلهة النبات كانت قد ماتت. عموماً فإن بناء الأسطورة كان أكثر تعقيداً من القصص البسيطة عن موت وبعث آلهة الخصب الشائعة في كتبنا الأدبية.

وتؤلف القصص والملاحم الخاصة بالبطولة والأبطال موضوعاً بارزاً في الأدب السومري بشكل خاص، وأدب بلاد الرافدين عموماً. وتضمن تقليد نفر(أي نسخ هذه الأعمال في الأيدوبا = المدرسة) تسع أساطير منظومة شعرياً عن أعمال الأبطال الذين يعودون

إلى السلالة الأولى شبه الأسطورية في مدينة الوركاء على وفق قائمة الملوك ، وهم كل من أينمرگار ولوگالبندا وگلگامش. ويبدو أن تقليد نفر أُبتدع في عصر سلالة أور الثالثة، إذ كان ملوكها يرتبطون على نحو قريب بمدينة الوركاء. إذ تتبع عائلة مؤسس هذه السلالة الملك أور-نمو (2112-2095 ق.م) الخط إلى گلگامش. وربما ضُمت أساطير الوركاء في تقليد مدينة نفر بسبب أن الوركاء كانت هي المركز والحضاري، ومهما حدث للمدينة كمركز للمملكة فأنها دائماً ما ترغب في أن ترتبط بها، أي بمدينة نفر. وكان التقليد الأدبي المنتظم من نفر يستمر في الأيدوبا في مدن أخرى في عصر سلالة أور الثالثة وسلالة إيسن الأولى.

وكانت جميع الأساطير البطولية (الملاحم) المعروفة لدينا من تلك الأوقات في مرحلة ما تشكل سلسة أو دورية، تقدم نموذج من الملاحم (على سبيل المثال مجموعة من الأبطال في مكان ولادتهم الذي كان أحد المراحل في هذه المتسلسلات). ونستطيع القول بثقة كبيرة أن السومريين هم أول من أوجد وطور الأدب الملحمي المؤلف من روايات قصصية بطولية وضعت في صيغ شعرية. ومر السومريون، كما مر الإغريق والهندوس والتيوتونيون القدامى، في تأريخهم المبكر بعصر بطولي تتكشف روحه ومزاجه في تقاليده الملحمية. وبدافع تعطشهم ورغبتهم بالشهرة والصيت، ذلك الدافع الذي هو من خصائص الطبقة الحاكمة المميزة في أثناء أي عصر بطولي، كان الملوك والأمراء يأمرون المنشدين والمغنيين الملحقين بالقصر بارتجال قصائد أو أغنيات قصصية تمجد

مغامراتهـم وإنجازاتهـم. وكانـت هـذه الأناشـيد الملحميـة، والتـي كان هدفهـا الرئيـسي تسـلية المدعويـن في ولائـم القـصر والأعيـاد المتعـددة، تنشـد عـلى مـا يرجـح مصحوبـة بالعـزف عـلى القيثـارة أو عـلى آلـة موسـيقية أخـرى شـبيهة بهـا. وتتميـز هـذه القصـص بخـواص أو عناصر مختلفـة ليسـهل جمعهـا معـاً مثـل : ملاحـم ومؤلفـات الأنسـاب مـن مختلـف العصـور، وكان بعضهـا أكـثر إنجـازاً واكتـمالاً مثـل القصيـدة المميـزة حـول لوگالبنـدا والنـسر الضخـم، وبعضهـا الآخـر أقـل منهـا بكثـير. ويصعـب إلى حـد كبـير جـداً أن تحـدد، حتـى ولـو تقريبيـاً، متـى أُلفـت هـذه القصـص، كـما أن بعـض موضوعاتهـا هـي إضافـات متأخـرة. ويمكـن للمـرء أن يصطلـح عـلى وصفهـا بالأسـاطير الإبداعية أو الابتداعيـة لأن الموضـوع الـذي تـدور حولـه قـد تـم إبداعـه وتشـكيله كلـه باعتـماد بسـيط عـلى القصائـد الأسـطورية القديمـة، ثـم جـرت صياغتـه وتكييفـه عـلى وفـق النسـق الأسـطوري الـدارج. وقـد خضعـت الأسـاطير للتحـول عـلى مـر القرون، ومـن الواضح أنها شـكلت نـوع أدبي مبكـر، والـذي تطـور أخـيراً إلى الملحمـة. ولم يكـن البطـل في مثـل هـذه المؤلفـات لحـد الآن بطـلاً ملحميـاً نموذجيـاً، بـارز في خواصـه، وغالبـاً تراجيـدي، ولكنـه أكـثر مـن رجـل محظـوظ في الحكايـات السـحرية أو حكايـات الجـن، ويرتبـط بالآلهـة، ولكنـه ليـس إلهـاً بنفسـه؛ أو أنـه ملـك كامـل القـوة بصفـات إلهيـة محـددة.

وغالبـاً مـا يكتشـف المؤرخـون لـلآداب التبايـن بـين الملاحـم البطوليـة أو القصـص الممهـد لهـا أو مـا يسـمى بالملاحـم الأسـطورية، إذ كان الأبطـال في النـوع الأول رجـالاً، أي مـن الجنـس البـشري، في حـين أنهـم

كانـوا في النـوع الثـاني مـن الآلهـة. إن مثـل هـذا التصنيـف غـير قابـل للتطبيـق في الأدب السـومري الـذي كان فيـه تصويـر مشـهد قتـال الآلهـة أقـل مـن النـماذج التـي تصـور مشـهد البطـل الدنيـوي أو البـشري.

فضـلاً عـما ذكرنـاه أعـلاه مـن مؤلفـات لدينـا اثنتـين أو أكـثر مـن الحكايـات الملحميـة، أو مـما يمكـن أن تـدرج في مـا يسـمى مـا قبـل الملحمـة بأبطـال إلهيـين معروفـين. وتخبرنـا الأولى، وهـي تتألـف مـن 183 سـطراً، عـن حالـة قتـال بـين الإلهـة أينانـا وكائنـات بأجسـاد بشريـة مـن العـالم السـفلي(أيبخ) كـما يسـميهم النـص، ويصـف النـص الثـاني حـرب الإلـه نينورتـا ضـد العفريـت الشيطان(آسـاگ) الـذي كان يسـكن في العـالم السـفلي كذلـك. ويبـدو نينورتـا في ذات الوقـت كأنـه مـن سـلف الأبطـال. وقـد بنـى خنـدق مـن دعامـات ضخمـة مـن الأحجـار لغـرض حمايـة سـومر مـن ميـاه المحيـط الأوليـة التـي تتدفـق عـلى الحقـول، وهكـذا حولهـا إلى نهـر دجلـة.

وهنـاك جنـس أدبي يمكـن تسـميته بالأسـاطير التفسـيرية، وهـي الأكـثر عموميـة في الآداب السـومرية، وتتعلـق بدراسـة الأسـباب، أي تقديـم الأسـباب الكامنـة وراء كثـير مـن الظواهـر التـي يراهـا الإنسـان في العـالم الواقعـي. وقـد كانـت في الأسـاطير السـومرية تتعامـل مـع أعـمال الإبـداع الإلهيـة. وقـد وصفـت هـذه الأسـاطير، مـن ضمن أشـياء أخـرى، خلـق العـالم كـما تصـوره السـومريون. وربمـا لم تنتـج سـومر أسـاطير نشـؤ الكـون الشـاملة أو، عـلى الأقـل، لم تكـن مكتوبـة لديهـم. ويصعـب شرح مثـل هـذا الأمـر، ومـن غـير المحتمـل أن لا تكـون لفكرة

صراع القوى الطبيعية الهائلة- (الآلهة والكائنات الخرافية الضخمة، والآلهة الأكبر والأصغر سناً إلخ...)- مكان في الفهم السومري للعالم، ولا سيما أن موضوع موت وانبعاث الطبيعة(عندما يموت الإله ثم يعود من العالم السفلي) كان قد تطور فعلياً وعلى نحو جيد في الأساطير السومرية، كما شاهدناها في قصص أينانا ودموزي والآلهة الأخرى مثل أنليل.

وربما كان تنظيم الحياة على الأرض- ترسيخ التنظيم والرخاء الاقتصادي- هو الموضوع الأكثر تفضيلاً في الشعر السومري. إذ تضمنت مثل هذه المؤلفات قصص حول خلق الآلهة التي كانت واجباتها ومهماتها الإشراف على تنظيم الأرضي، وتعيين مهمات وواجبات الآلهة، وترسيخ سلطة الآلهة، وتزويد الأرض بالكائنات الحية، وحتى لخلق آلات الفلاحة المتنوعة. وقد أشرنا في الفصل السابق إلى الآلهة الرئيسة التي عملت كآلهة خلق وهي أنكي وأنليل.

ويمكن القول أن كثير من الأساطير التفسيرية قد بنيت بشكل حوارات بين ممثلين من الفروع المتنوعة في الاقتصاد أو حتى بين أشياء مختلفة من الحياة اليومية، إذ تحاول كل واحدة منها أن تثبت تفوقها على الأخرى، ويوجد لدينا نحو سبعة عشر نصاً مدوناً باللغة السومرية؛ منها المحاورة أو المناظرة بين الماشية والغلة، والخشبة والقصبة، والراعي والفلاح، والصيف والشتاء وغيرها. وقد أدت الأيدوبا السومرية (المدرسة) دوراً كبيراً في انطلاق هذا النوع من الجنس الأدبي، والذي كان النموذج للعديد من

الآداب الشرقيـة اللاحقـة. وقـد ظهـرت محـاورات عـدة ترتبط بالمدرسـة السـومرية (الأيدوبـا) مثـل: الحـوار بـين التلميـذ والخريـج، والكاتـب وناظـره، وكذلـك نظـم المدرسـة. ونعـرف القليـل مـن المعلومـات عـن هـذه المدرسـة في مرحلتهـا المبكـرة، إذ نعـرف فقـط أنهـا وجـدت، وأن العديـد مـن الأدوات التعليميـة مـن عـصر قبـل الكتابـة كانـت متاحـة. وقـد أصبحـت الأيدوبـا مؤسسـة محـددة بوضـوح عـلى الأقـل في مرحلـة مبكـرة مـن الألـف الثالـث ق.م، وكان الهـدف الأسـاسي لهـا الممارسـة المجـردة، فهـي تعـد النسّـاخ أو الكُتّـاب والمسـاحون وآخـرون مـن المحترفـين (ذوي الاختصاصـات العمليـة). ونتيجـة للتطـور الـذي طـرأ عليهـا فـأن تعلمهـا أصبـح أكـثر شـمولية، وكان ذلـك في نهايـة الألـف الثالـث ق.م، وبدايـة الألـف الثـاني ق.م، تقريبـاً، وقـد أصبحـت المدرسـة مركـزاً أكاديميـاً في زمانهـا.

وكانـت جميـع الفـروع المعروفـة الموجـودة فكريـة؛ منهـا الرياضيـات، والقواعـد، والغنـاء والموسـيقى، والقانـون. وتضمنـت الدراسـات التعليـم بواسـطة قوائـم روتينية طبيـة، ونباتيـة، وجغرافية، والعقاقـير، والمصطلحات القانونيـة (والقوانـين كذلـك) إلـخ. فضـلاً عـن قوائـم بالمؤلفـات الأدبيـة.

وجـاءت معظـم المؤلفـات التـي ذكـرت أعـلاه عـلى شـكل نصـوص كتبـت بواسـطة المعلمـين أو الطـلاب في هـذه المـدارس، فضـلاً عـن وجـود مقـالات أدبيـة تصـف الحيـاة في المدرسـة مـع ذكـر قواعدهـا وأعمالهـا التعليميـة ومنهـا؛ الوصايـا الأخلاقيـة، والنصائـح الأخلاقيـة، والتعليـمات. وتوجـه جميـع التعليـمات إلى الطـلاب وتأخـذ شـكل

حـوارات بقالـب شـعري. وتتعلـق بعـض هـذه النصـوص بالحكمـة والأمثـال والأقـوال والخرافـات. ويوجـد مثـال وحيـد معـروف عـن حكايـات الجـن السـومرية بشـكل نـثري كان عبـارة عـن نـص مـدرسي.

ونسـتطيع أن نتلمـس غنـى وتنـوع الأدب السـومري حتـى في هـذا الإيجـاز المختـصر. فقـد نشـأت هـذه المـواد الضخمـة المتعددة الأشـكال في أوقـات مختلفـة، وإن كان معظمهـا قـد كتـب في نهايـة الألـف الثالـث ق.م وربمـا مطلـع الألـف الثـاني ق.م. وقـد حفظـت الكثـير مـن إبداعـات الفـن الأدبي الشـفهي. إذ تمتـد جـذور الشـعر السـومري المكتـوب- ومعظـم الأعـمال الأدبيـة السـومرية التـي جاءتنـا في صيغـة الشـعر- إلى شـاعر البـلاط الأمـي، وعصـور قبـل الكتابـة وإلى المنشـد والموسـيقار في المعبـد. وقـد كان الأسـلوب الـسردي الأسـاسي لمعظـم القصـص الملحميـة الأسـطورية والقصـص قبـل الملحميـة هـو التكـرار المسـتمر للحـوارات نفسـها التـي كانـت قـد صيغـت في الكلـمات نفسـها، وإن كانـت تلقـى بـين متحاوريـن مختلفـين عـلى التـوالي. ولم تكـن مجـرد نمـوذج ثـلاثي متكـرر في الملاحـم وحكايـات الجـن، ويكـون التكـرار في الأدب السـومري في بعـض الأحيـان لتسـع مـرات، وقـد عـد هـذا الأداة الجماليـة عنـد المداحـين والمغنـين الشـعبيين، وهـو أحـد الملامـح الأسـلوبية السـائدة. وكان أكـثر أهميـة لمسـاعدة الذاكـرة. وقـد ورث هـذا الأسـلوب الـسردي عـلى مـا يبـدو مـن التحـول الشـفهي للأسـاطير والقصائـد والـكلام ذو الصفـة الإيقاعيـة والسـحرية، وتذكـير تعزيمـات الشـامانت (الكهنـة).

ونظمت هذه المؤلفات في معظمها على شكل حوارات متكررة ومونولوجات، إذ أن الفعل كان بطيئاً ويبدو وكأنه فضفاض وجاف، ثم غير كامل- ولو أنه من المؤكد أن القدماء لا يرونه بمثل هذه الكيفية-. فإذا ما كانت القصة التي كتبت على لوح الطين قد صممت كنوع من الإيجاز ليوجه ويرشد ذاكرة القاص؟ فلماذا كان من الضروري تكرار الجملة ذاتها تسع مرات على الأكثر؟، ويبدو هذا الأمر غريباً تماماً بسبب أن كتابة الألواح كانت عملية شاقة وغير واسعة النطاق. وتحتاج مثل هذه الحقيقة لوحدها إلى أن تشير إلى الحاجة إلى الاختصار وحفظ الحيز، والتي عادة ما تأخذ بالحسبان في الأدب الأكدي في نحو منتصف الألف الثاني ق.م). ويشير كل هذا إلى أن الأدب السومري، وإلى درجة كبيرة، لم يكن أكثر من تسجيل الأدب الشفهي. إذ لم يكن في نية الكُتاب الانحراف من الكلمة المحكية التي وضعوها على الطين لتحفظ كل الصفات الأسلوبية والمزايا للكلام الشعري المحكي. ومع ذلك، فإنه من المهم أن نلاحظ أن السومريين، وتحديداً رجال الأدب (النسّاخ) لم يكونوا ينوون أن ينتجوا أو ينسخوا في الكتابة كل المعارف الشفهية وجميع أنواعها. وقد كان الاختيار يتحدد عن طريق حاجات المدرسة وجزئياً العبادة. ويبدو أن الموازي إلى كتابة العصر الشبيه بالكتابي من المؤلفات الشفهية استمرت بالوجود، وإن كانت قد بقيت غير مسجلة. ومن المؤكد فن الكلام المحكي كان أكثر غنى من الكتابة. ويبدو الاستنتاج من أن الأدب السومري الأولي يفتقر إلى القيمة الفنية والعاطفية مغلوطاً. إذ تعزز الطريقة المجازية للتفكير نفسه

الكلام الخيالي وتعمل كذلك على استعمال سمة التناظر النموذجية للشعر الشرقي القديم. وقد كانت القصائد السومرية عملياً كلام إيقاعي. ولم يكن لديهم مقياس صارم؛ لذا سوف يفشل من يحاول إيجاد أية إشارات عن النظم الشعري وفقرات نوعية من التفعيلة أو الوقفات (فواصل) أو المقاطع المشددة. ولا نزال من دون أدنى شك إلى اليوم غير قادرين على التمييز بشكل جازم بين المنظومات النثرية والشعرية، ولا على البت في تحديد المقاطع النثرية الواردة ضمن المنظومات الشعرية. وأن محاولة تحليل الإيقاع الشعري في القصائد السومرية مازالت في البدايات تماماً، ولا يمكن حالياً توقع ما إذا كانت ستحقق نجاحاً.

وكان من بين الأساليب الشعرية الرئيسة المستعملة لتوكيد الإيقاع؛ التكرار، والسرد الإيقاعي للألقاب الإلهية، وتكرار اللفظة المتعاقبة من الكلمات الأولى من بيت الشعر للعديد من الأبيات وهكذا. وتعزى جميع هذه الأساليب إلى الشعر الشفهي الذي كان تأثيره العاطفي قد حفظ هنا في الأدب المكتوب.

وقد عكس الأدب الكتابي السومري أيضاً التحول من طريقة التفكير البدائية (الأولية) إلى ذلك المجتمع النوعي الجديد. فعند فحص النصوص السومرية القديمة، ولا سيما المؤلفات الأسطورية فإننا سنصدم بالنقص في الصورة الشعرية من (طراز عالي). إذ لم تكن الآلهة السومرية ببساطة مخلوقات أرضية وفقاً للمقياس الأرضي. ولم يكن عالمها عالم المشاعر والأعمال الإنسانية. ولكن من السهل

أن نـرى كيـف أن النـاس الأوائـل، مـع شـعورهم بالعجـز أو الوهـن في مواجهـة القـوى الطبيعيـة الأعظـم التـي لا تقهـر، يـرون أنفسـهم مـن دون مسـاعدة في رحمـة هـذه القـوى. ويمكـن أن نتصـور عـلى نحـو جيـد الآلهـة ككائنـات تخلـق أشـياء حيـة مـن التربـة تحـت أظافرهـم وككائنـات تسـتطيع أن ترسـل الطوفـان ليدمـر جميـع البشريـة.

لقـد أطلـق السـومريون عـلى العـالم السـفلي اسـم (كـور) التـي ربمـا تعنـي الجبـل، ومـن الأوصـاف المتاحـة، يبـدو أنـه كان مـكان هيـولي ومـن دون أمـل بالعـودة. وليـس هنـاك قـاضٍ للميـت وليـس هنـاك مقاييـس لتـزن أعـمال النـاس. وهنـاك القليـل أو ليـس هنـاك تصـورات عـن العدالـة بعـد المـوت. وقـد كانـت الايدولوجيـة التـي تحسـب هـذا الشـعور الطبيعـي بالرعـب وفقـدان الأمـل، كانـت عـلى كل حـال، نفسـها عاجـزة في بـادئ الأمـر.

ونقـول أخـيراً أن المؤلفـات الكتابيـة السـومرية تحـاكي الموضوعـات والأشـكال مـن الشـعر الشـفهي الأولي. ولأن ايدولوجيـة المجتمـع النوعي قـد تطـورت وبالتدريـج أصبحـت شـائعة في القسـم الجنـوبي مـن بـلاد الرافديـن، فـإن محتـوى الأدب قـد تغـير أيضـاً. إذ بـدأ يطـور أشـكالاً وأنواعـاً جديـدة، وإن الفجـوة بـين الـدور الكتـابي والشـفهي بـدأت تتسـع وتصبـح واضحـة تمامـاً. ويرينـا الأدب التعليمـي والموضوعـات الأسـطورية المتسلسـلة نمـو اتجاهـات مسـتقلة ومختلفـة عـلى نحـو ظاهـر مـن تطـور الكلمـة المكتوبـة في المرحلـة المتأخـرة تقريبـاً مـن تطـور المجتمـع السـومري. إن هـذه المرحلـة الجديـدة في الأدب كانـت، عـلى كل حـال، لم تفصـل كثـيراً مـن السـومريين ولكـن مـن ورثتهـم الحضاريـين أي مـن الأكديـين.

مصادر الفصل العاشر

1 . الأحمد، سامي سعيد(1978). العراق القديم. ج1، بغداد.

2 . الأحمد، سامي سعيد(1990). السومريون وتراثهم الحضاري. بغداد.

3 . إريش فون دانيكن (1995).عربات الآلهة. ترجمة، عدنان حسن. دمشق.

4 . إسماعيل، بهيجة خليل(1985).الكتابة .، حضارة العراق، ج1.بغداد.

5 . اوتس، ديفيد وجين(1988). نشوء الحضارة. ترجمة، لطفي الخوري، بغداد.

6 . باقر، طه(1951). نصوص من الأدب العراقي القديم. مجلة سومر، مج 7.

7 . باقر، طه(1973). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1.

8 . بشور، وديع(1981). سومر وأكد. دمشق.

9 . بوتـيرو، جـان(1990). بـلاد الرافدين(الكتابـة- العقـل، الآلهـة). ترجمـة البـير أبونـا، بغـداد.

10 . ديلا بورت، ل(1997). بلاد ما بين النهرين. ترجمة، محرم كمال، القاهرة.

11 . رشيد ، فوزي (1972). قواعد اللغة السومرية. بغداد.

12 . رشيد، فوزي(1990). الأمير كوديا. بغداد.

13 . ساكز، هاري(1979). عظمة بابل. ترجمة، عامر سليمان، الموصل.

14 . السواح، فراس(1987). قرأة في ملحمة جلجامش. دمشق.

15 . السـواح ، فـراس (2002). لغـز عشـتار. الالوهـة المؤنثـة وأصـل الديـن والأسـطورة. دمشـق.

16 . سليمان، عامر(200). الكتابة المسمارية . الموصل.

17 . كريمـر، صموئيـل نـوح(1974). أسـاطير العـالم القديـم. ترجمـة، أحمـد عبـد الحميـد. القاهـرة.

18 . كريمـر، صموئيـل نـوح (2012). السـومريون تاريخهـم وحضاراتهـم

وخصائصهـم. ترجمـة فيصـل الوائـلي، بغـداد.

19 . كريمر، صموئيل نوح(1956). من ألواح سومر. ترجمة، طه باقر، بغداد، القاهرة.

20 . كييرا ، ادوارد (1964). كتبوا على الطين . ترجمة، محمود الامين، بغداد.

21 . لوكاس، كريستوفر(1981). حضارة الرقم الطينية. ترجمة ، يوسف عبد المسيح. بغداد.

22 . فرانكفورت، هنري (1965). فجر الحضارة في الشرق الأدنى. ترجمة ميخائيل خوري، بيروت.

23 . فون زودن، ف(2003). مدخل إلى حضارات الشرق القديم. ترجمة، فاروق إسماعيل. دمشق.

24 . فيروللو، شارل(1990). أساطير بابل وكنعان. ترجمة ماجد خير بك. دمشق.

25 . علي، فاضل عبد الواحد(1983). السومريون والأكديون. العراق في التأريخ. بغداد.

26 . علي، فاضل عبد الواحد(1985). الأدب. حضارة العراق ، ج1 ، بغداد.

27 . علي، فاضل عبد الواحد(1986). من ألواح سومر إلى التوراة. بغداد.

28 . علي، فاضل عبد الواحد(1997). سومر أسطورة وملحمة. بغداد.

29 . علي، فاضل عبد الواحد(1999).الكتابة والكتاب في حضارة الرافدين. مجلة أقلام،34/6. بغداد.

30 . الوائلي، فيصل(1964). من أدب العراق- ترانيم وأدعية سومرية وأكدية. مجلة سومر، مج20، بغداد.

31 . الوائلي، فيصل(1963). من أدب العراق. مجلة سومر، مج 19، بغداد.

32 . الوائلي ، فيصل(1965). من أدب سومر. مجلة سومر، مج 21. بغداد .

33 . Espak,P(2010).The God Enki in Sumerian Royal Ideology and Mythology. Estonia.

34 . Green,M.W(1975). Eridu in Sumerian Literature. Chicago.

35 . Jacobsen, Th(1973). The Sumerian King List. Michigan.

36 . Karlovsky, C, (1974). The Rise and Fall of Civilization. California.

37 . Koeford, A(1983).Gilgamesh, Enkidu and the nether world. Jour. ASJ,Vol, 5.

38 . Kramer, S. N(1943).Gilgamesh and the land of Living .Jour. JCS, Vol. I.

39 . Kramer, S. N(1949).Gilgamesh and Agga. Jour. AJA, Vol. LIII.

40 . Nissen, H,J(1988).The early history of the near east 90002000- B.C. Chicago& London.

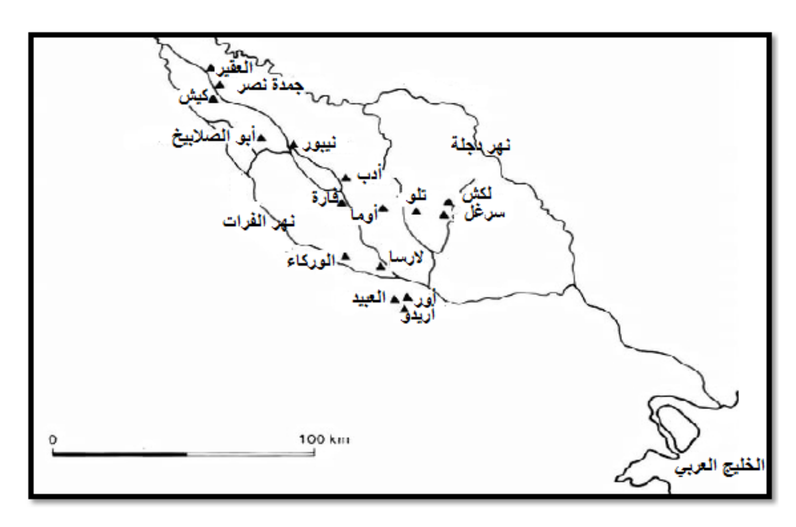
41 . Postgate, J. N(1996). Ancient Mesopotamia.Cambrigde.

42 . Postgate, J. N(2003). Early Mesopotamia. New York.

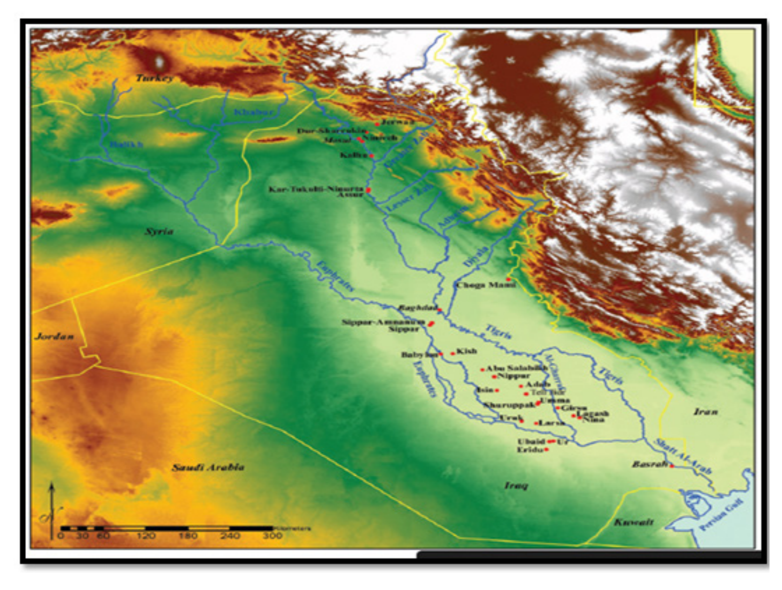
43 . Sollberger, E(1960).Note on the Early Inscription from Ur and Al – Ubaid. Iraq, Vol. XXII.

44 . Van Dijk,R.M(2016).The Form, Function and Symbolism of Standards in Ancient Mesopotamia during the Third and Fourth Millennia BCE: An Iconographical Study. South Africa.

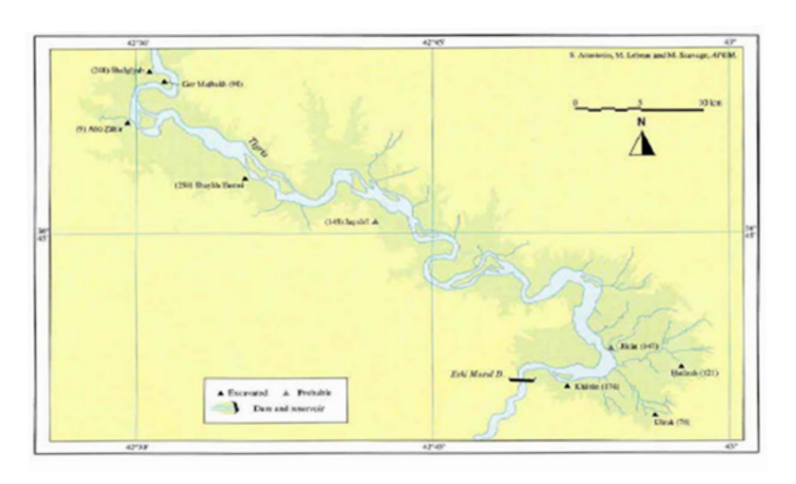
الخرائط والأشكال



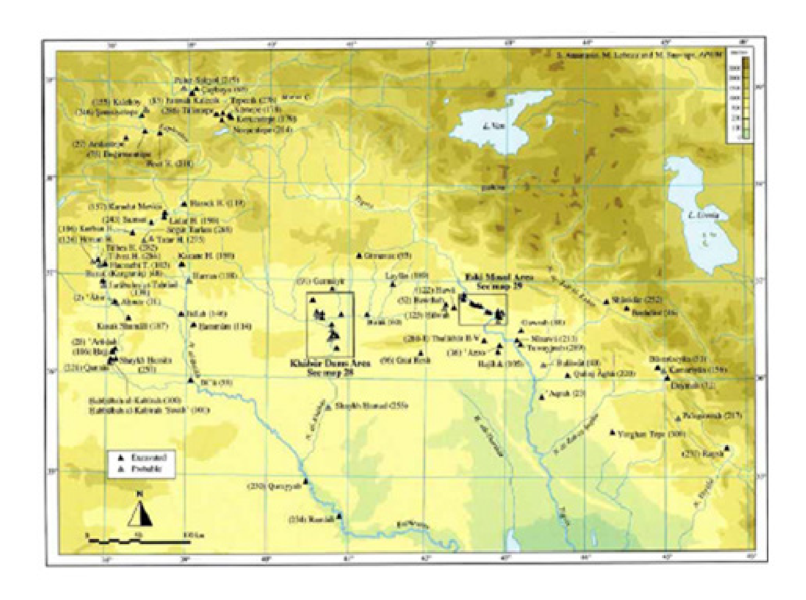
الخريطة رقم:(1) بلاد سومر



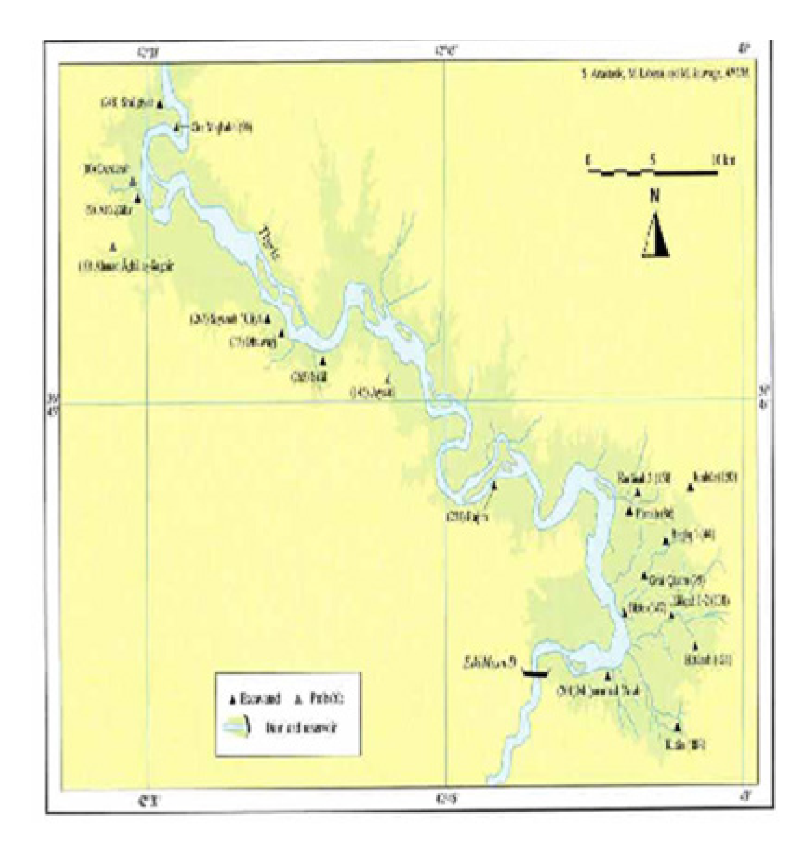
الخريطة رقم (2) نهر دجلة والفرات



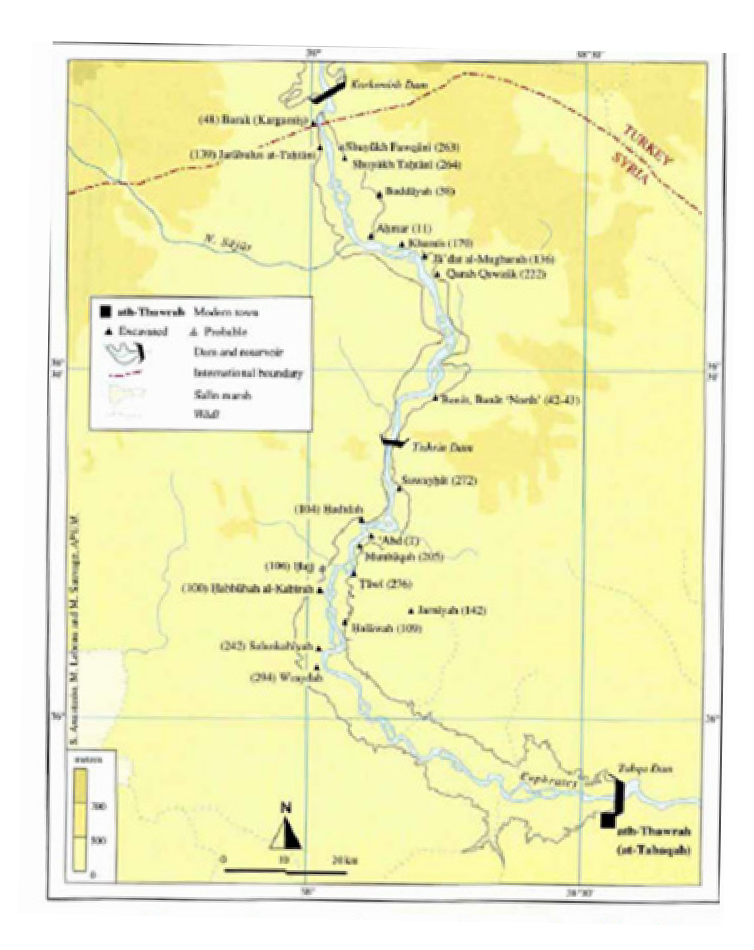
الخريطة رقم (3) انتشار مستوطنات عصر العبيد.



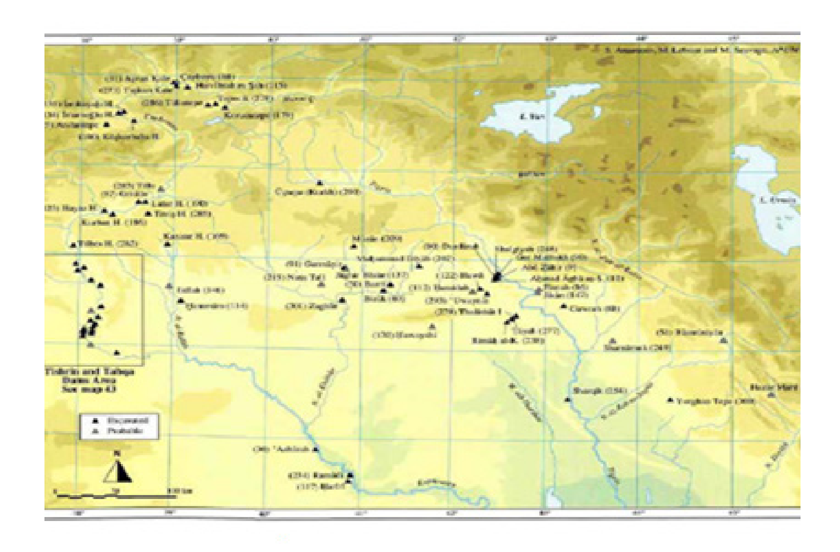
الخريطة رقم (4) انتشار مستوطنات عصر الوركاء.



الخريطة رقم (5) انتشار مستوطنات جمدة نصر.



الخريطة رقم (6) انتشار مستوطنات عصر السلالات المبكرة.



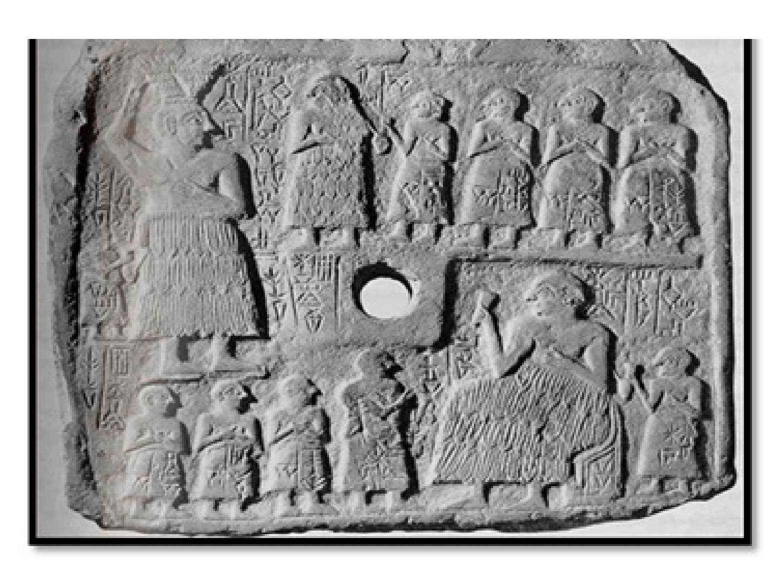
الخريطة رقم (7) امتداد دولة سلالة أور الثالثة.



الشكل رقم (1) صولجان مسيليم ملك كيش.



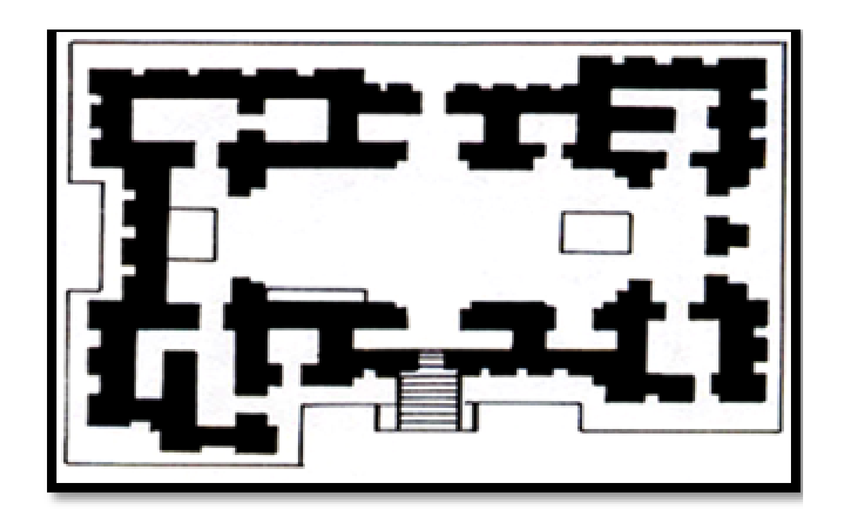
الشكل رقم (2) ختم أسطواني يحمل مشهداً يصور
صعود الملك أيتانا إلى السماء.



الشكل رقم (3) لوح الملك أور ــــ نائشة.



الشكل رقم (4) جزء من مسلة العقبان.



الشكل رقم (5) المعبد السابع في مدينة أريدو.



الشكل رقم (6) أسد مدينة أريدو.



الشكل رقم (7) رقيم طيني.



الشكل رقم (8) أشكال متنوعة مما يعرف بـ(توكين)



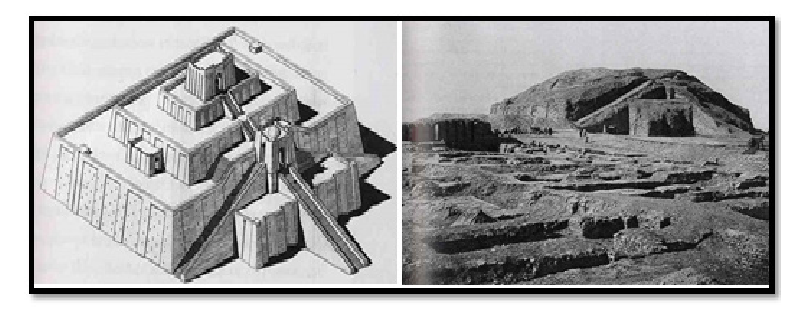
الشكل رقم (9) الكتابة السومرية في المرحلة الصورية.



الشكل رقم (10) رسم تخيلي لطوفان نوح.



الشكل رقم (11) بعض موجودات المقبرة الملكية في أور.



الشكل رقم (12) زقورة أور.



الشكل رقم (13) بقايا من مسلة الملك أور- نمو.



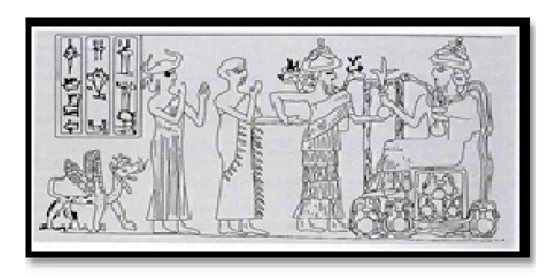
الشكل رقم (14) أشكال ربما تمثل البطل السومري كلكامش.



الشكل رقم (15) بعض تماثيل الملك السومري كوديا.



الشكل رقم (16) جزء من أسطوانة الملك كوديا.



الشكل رقم (17) ختم الملك كوديا.



الشكل رقم (18) راية أور.



الشكل رقم (19) تمثالين للملك أور-نمو.



الشكل رقم (20) الإلهة أينانا- عشتار

على مسلة من تل بارسيب.

المحتويات